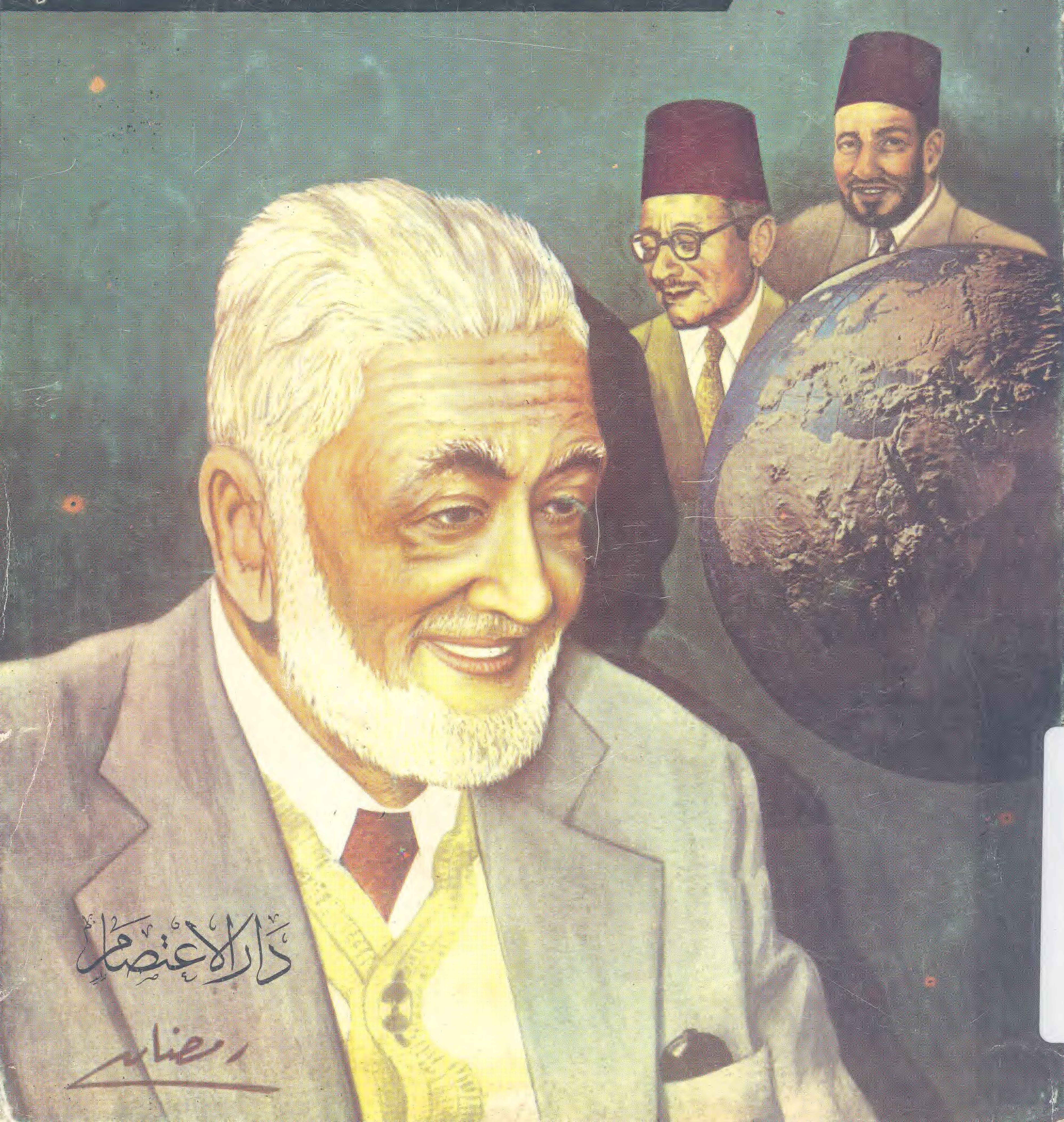
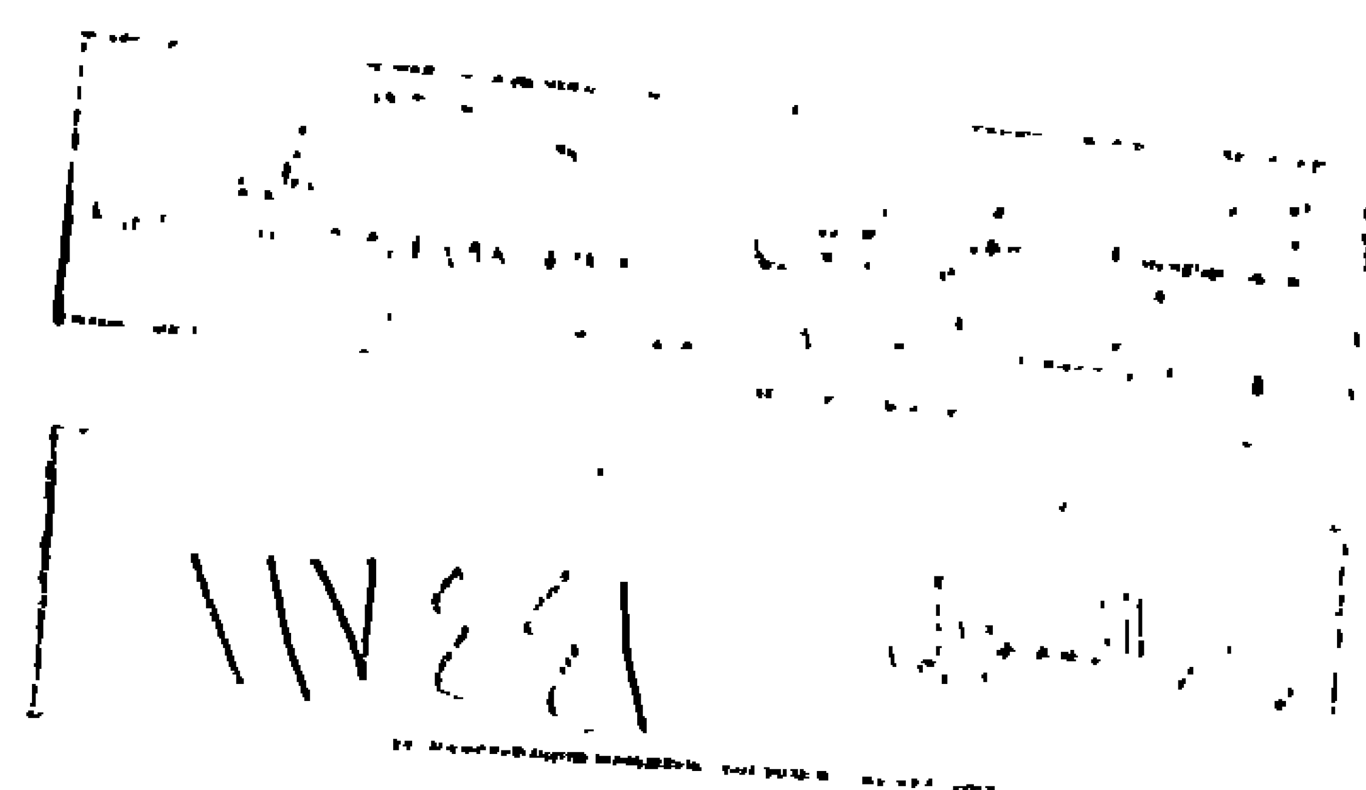
# عمر التلمساني

## ذكريات .. لا مذكرات



عمر التلمسانى

# ذكريات لا مذكرات




دار الاعتصام

# ذكريات لامذكرات

## مقدمـة

دار بخلدى من سنين أن أكتب مذكراتى، وقد كان هذا المعنى يراودنى منذ سنة ١٩٢٦، عندما بدأت أن أدون مامر بى من أحداث منذ ذلك العام إلى حين نشر المذكرات، مع مايحضرنى مما مر بى قبل سنة ١٩٢٦. كنت أدون الأحداث الداخلية والخارجية فى مفكرات (أجندات) وكنت أعتز بها وأجد فيها هواية تجذبنى نحو أحداث العالم مايختص بمصر وما يتعلق بغيرها. ولكن لما فتشوا بيتى فى نوفمبر سنة ١٩٥٤. أخذوا كل مافيه من أوراق حتى تلك المذكرات، وحتى ملفات الجنايات التى كنت أدرسها لأترافع فيها، وظللت منذ ذلك التاريخ نزيل سجون عبد الناصر، طوفتُ خلالها كل سجون المحافظات فى الوجه القبلى تقريباً، ولما خرجت من السجن بعد استيفاء مدة العقوبة (١٥ سنة) مضافاً إليها اعتقالٌ فى مزرعة يمان طرة دام حوالى العامين، حدث عندى عزوف عن الاسترسال فى هذه الهواية من الناحية النفسية ومن بعض الظروف التى تحيط بالموقف من جميع نواحيه.

هذا إلى أن نظرتى إلى مثل هذه المذكرات، يجب أن تكون صادقة مع الأحداث، لامع وجهة نظر من يتولى كتابة مذكراته، لأن الأمر أمر تاريخ، والتاريخ إما أن يسرد فى صدق وأمانة، وإما البعد عنه تحسبا من الخطأ والتضليل للأجيال القادمة، إذا قرىء من ناحية واحدة. إذا أضفنا إلى ذلك أن فى حياتى بعض مالا يرضى المتشددين من الإخوان أو غيرهم، كالرقص الأفرنجى والموسيقى، وحبى للانطلاق فى حياتى بعيداً عن قيود التزمت، التى لم يأمر به دين من الأديان خاصة إسلامنا الذى وصفه، نبينا بما معناه أنه سمْحٌ لن يشاده أحد إلا غلبه، وطلب منا الإيغالَ فيه برفق لأن المنبت لاأرضا قطع ولا ظهراً أبقى، كنت أحجم دائماً عن التعرض لكتابة المذكرات خاصة بعد أن خلت من يدى مراجعى الخاصة التى كتبت بها الأيام وأحداثها كما هى تماماً.

وذات يوم زارنى فى مكتبى بمجلة الدعوة الأستاذ عصام غازى مندوب جريدة الشرق الأوسط فى القاهرة، وتحدث معى فى كتابة مذكراتى، فكان جوابى أننى لاأستطيع كتابة مذكرات صحيحة مطابقة للواقع، لأن مرجعى سلب من بين يدى، ولكنى إذا كتبت فسأكتب ذكرياتى، أى مايعلق بذهنى مما مَرّ بِى فى حياتى، ومن المقطوع به أن الذاكرة ليست العماد الراسخ فى سرد الأحداث، لأنها عرضة للخطأ حيناً وللنسيان أحياناً، فقبل الرجل متفضلاً، ولما كنت أعرف أن مثل هذا العمل يأخذ صاحبه مقابلاً مادياً، ولما كنت لاأريد أن أنزل بذكرياتى إلى سوق المزايدة، فاشترطت على المندوب أن يوضح توضيحاً تاماً، أن ماأكتبه لم أتناول عليه ثمناً، لأنه تاريخ، والتاريخ لاينزل إلى عالم البيع والشراء، لأنه ليس ملكاً لفرد ولكنه حق أجيال قادمة، لزاما علينا أن ننير لها الطريق فى إباء الصدق وشمم الصراحة اللائق بكل من يتعرض لمثل هذه الأمور، ولرغبتى الصادقة فى تصحيح الخطأ، والتذكير بما نسيت، شاكراً راضياً.

وقبل الرجل، وأقدمت على التدوين معتمداً على صاحب الفضل الأول والأخير جل جلاله، معتصراً لذاكرة، باضت عليها طيور الزمن، وسكنها صغار الطير يرزقها الله إذ تغدو خماصا وتروح بطانا.

وحدث ماتوقعت فقد غضب البعض لبعض ماكتبته عن خصوصياتى. والحق أنى راض عما كتبت ليعلم الناس قاطبة أن الإخوان المسلمين بشر من البشر يعرض عليهم كل مايعرض على غيرهم، دون ادعاء بزهاده باطله أو ورع مصطنع، وأن الإخوان المسلمين حلبوا أشطر الدهر فذاقوا حلوه ومره وأنهم إذ يدعون إلى الله لايدعون عن تعصب، أو من بطن بوتقة عاشوا فيها بعيداً عن مجتمعهم، بل إنهم يعرفون مايعرف الناس، وأنهم ليسوا أحلاف تعصب أو أنضاء تخلف عقلى أو اجتماعى.

أحببت أن اكتب هذه المقدمة، لأسباب عدة، منها، مطالبتى كل قارىء أن يبادر إلى تصحيح مايراه من وقائع خاطئة سببها اعتمادى ــ بعد الله طبعا ــ على ذاكرتى والذاكرة كثيراً ماتنسى، والنسيان ليس بذنب فقد رفع الله به المسئولية عن المسلمين مع الخطأ والإكراه. ومن بين الأسباب استجابتى للكثيرين الذين طالبوا بجمع هذه الذكريات فى كتيب واحد، ومن الأسباب أننى أحببت أن اعلن عن حقيقتى فى مختلف مراحل حياتى كما جاء فى الذكريات وأثبته هنا للتأكيد والتذكير. لم أخف شيئا إذ ليس فى حياتى ماأخجل من ذكره وطرحه على الناصية، وإن خالفنى البعض فى هذا بحجه أن هذا يليق وهذا لايليق؟ والأمر فى نظرى ليس لياقة ولكنه أمر الصراحه التى يجب أن

يتسم بها كل من تعرض لهذا الأمر حتى يعرف الناس مالم يكونوا يعرفون. وفوق هذا كله فإنى ألفت النظر بهذه المقدمة أننى كنت حريصاً كل الحرص على شرح منهاج الإخوان المسلمين فى شتى نواحى النشاط الاقتصادى أو السياسى أو الاجتماعى، علما وتربية،وليعلم الخاص والعام أن للإخوان منهاجاً وأنهم لايتحدثون من فراغ، وحرصت على أن أبين مالهم من أثر فى حياة المجتمع المصرى بل والإسلامى كله، هذا الأثر الذى لاينكره إلا صاحب هوى، لايريد إلا طمس معالم كل مجهود إسلامى، وخاصة إذا كان هذا المجهود إخوانيا محضا.

ويعلم الجميع أن الصحف تدفع المقابل لهذه الذكريات، فأردت أن أظهر طابع الإخوان فى مثل هذه المناسبات، وأنهم لايتاجرون بالتاريخ ولا ينزلون به إلى سوق المبيعات والمشتريات، وإن كان هذا الكتيب يباع بثمن فماهى إلا تغطية نفقات الورق والطبع والنشر والتوزيع. وعلى القارىء أن يلاحظ بدقة أننى لم أتعرض لخلافات أو غيرها حدثت داخل الجماعة، لأنها أمور وقعت وانقضت ولا مصلحة لأحد فى نبشها وإخراجها من مثواها لتكون محل نقاش من جديد.

لقد ران التعتيم الإعلامى على الإخوان من سنة ١٩٨٠ فأحببت أن أعيد الناس إلى التذكير بهذه الجماعة الطاهرة التى اجتمعت كل القوى المعادية للإسلام على مهاجمتها والتشهير بها بغير الحق، محاولة أن تحد من نشاطها فى ميدان الدعوة الإسلامية وكانت إرادة الله فوق كل إرادة فما من محنة حلت بهذه الجماعة إلا خرجت منها أصلب عوداً وأكثر عدداً وأصدق عزماً وأصفى نية على مواصلة العمل فى سبيل الله، ولا أتجاوز الحقيقة كثيراً، إذا قلت إن هذه المحن عرَّفت الناس بهذه الجماعه المخلصة الخالصة على أوسع نطاق وبأكبر مما كان يمكن أن يعرف الناس بها وعنها.

| | |
|---|---|
| عِدَاىَ لهم فضل علىّ ومِنّةٌ | فلا أبْعد الله عنى الأعاديا |
| هم بحثوا عن زَلّتى فاجْتَنَبْتُها | وهم نافَسُونى فاجْتنيتُ المعاليا |

وهكذا فشلت جميع خصوم هذه الدعوة فى إخفاء نورها وصرف الناس عنها بعد أن تكسرت النصال على النصال، فلم يعد لسهم منفذ إلى صميم هذه الدعوة التى ستبقى مابقى الوجود بفضل الله ومعونته لأنها دعوة من أجله وفى سبيله وابتغاء مرضاته.

هذه الذكريات منهاجٌ إخوانى، وجهاز إعلامى يستطيع القارىء معه أن يعرف الكثير مما لم يكن يعرفه عن الإخوان المسلمين، ومدى نشاطهم وما إذا كان لهم منهاج

أو ليس لهم كما حرصت على البعد عن الشخصيات، كى لاأدخل فى نقاش مع أحد فى مسائل لاجدوى من ورائها على أى حال.

ولولا إلحاح الكثيرين على نشر هذه الذكريات ماعنيت بها، خاصة وأنها كتبت على عجل ودون مَرَاجع أو مُرَاجعَةَ.

وأسأل الله أن يكون فيها من النفع ماانعقدت عليه النية والله من وراء القصد.

عمر التلمساني

*　*　*

# الحلقة الأولى

- صليت فى السينما وتعلمت العزف على العود وفشلت كشاعر .
- جدى كان رجل علم وحصل على الباشوية من السلطان عبد الحميد .

يفتتح الأستاذ « عمر التلمسانى » المرشد العام للإخوان المسلمين سجل ذكرياته . يروى شهادته حول الدعوة والدعاة ، والأحداث التى هزت العالم الإسلامى كله خلال الأعوام الخمسين الماضية .

إن الشيخ الجليل الذى يتزعم أهم منظمة شعبية إسلامية فى التاريخ الحديث ، والذى ينهى العقد الثامن من عمره الحافل فى الرابع من نوفمبر ( تشرين الثانى ) ١٩٨٤ ، يعيد صياغة تاريخ جماعة الإخوان المسلمين ، كما عاصره حلما ودعوة ، وكفاحاً وسجناً لمدة ثمانية عشر عاما ، فيحكى لقاءه الأول بالإمام الشهيد « حسن البنا » فى بيته المتواضع فى المغربلين ، ومبايعته له فى العام ١٩٣٢ م . ويروى كيف نشأت الجماعة ، والأطر الفكرية والعقائدية التى التزمتها طوال مسيرتها والمعارك التى خاضتها من أجل إظهار الدعوة ونشر العقيدة .. كما يسلط الأضواء على « النظام الخاص » التنظيم السرى للجماعة .. وممارساته ووسائل تمويله وتسليحه .. وعلاقة الإخوان بالسعديين والوفد ، ومصر الفتاة ، والضباط الأحرار قبل وبعد ٢٣ يوليو ( تموز ) ١٩٥٢ ، وصراعه مع عبد الناصر والسادات .

وقد رفض المرشد العام للإخوان المسلمين أن يتقاضى حقه فى ثمن « المذكرات » من « الشرق الأوسط » معلناً أنه « لن يتاجر أبداً بتاريخ الإخوان المسلمين » وقبلت « الشرق الأوسط » هديته إليها بالامتنان والتقدير . وقد أعد حلقات المذكرات للنشر عصام الغازى .

## سيرة ذاتية

فى الحلقة الأولى يسلط الأضواء على طفولته و شبابه ، ويؤكد أنه كان إنسانا عاديا ، أقبل على الحياة بكل مباهجها ، مثله مثل كل أبناء الطبقة الغنية .. فيقول : « تعلمت الرقص الأفرنجى فى صالات عماد الدين ، وكان تعليم الرقصة الواحدة فى مقابل ثلاث جنيهات ، فتعلمت الدن سيت والفوكس تروث ، والشارلستون والتانجو ، وتعلمت العزف على العود » .

كما يقول إن له محاولات فى كتابة الشعر والأدب ، لكنه يؤكد أنه لم يجنح إلى المعصية فى حياته لأسباب كان من أهمها زواجه المبكر والوازع الدينى الذى كان يملأ روحه ووجدانه .

● يقول « عمر التلمسانى » :

## من أنا ؟

مواطن مسلم مصرى على وشك أن يتم الثمانين من عمره فى هذه الحياة ، ولدت فى القاهرة ، حارة خوش قدم فى الغورية ، قسم الدرب الأحمر — فى ٤ نوفمبر ( تشرين الثانى ) ١٩٠٤ — فى حى قديم بكل معنى القدم ، قديم فى هندسة مبانيه ، فى ضيق الحوارى ، واتساع الغرف بشكل غير مألوف .. الحمامات تسخن مياهها خارجها — بما يشبه سخانات اليوم الكهربائية والبوتاجازية — و « الليوان » خارج الحمام مباشرة لتستريح فيه قليلا ، قبل أن تخرج إلى الشقة ذاتها ، مساحة المنزل ثمانمائة متر مربع شقة واحدة . فى الشقة والحوش والسطح ثمانية حمامات بدورات مياهها ، بعضها بالرخام ، وبعضها بالبلاط العادى .

وما أن بلغت الثالثة من عمرى ، حتى رحلت العائلة .. جدى وأبى ومن معهما إلى العزبة — فى قرية نوى مركز شبين القناطر من أعمال مديرية القليوبية — قبل أن تسمى محافظة — بينها وبين القاهرة حوالى الاثنين والعشرين كيلو متراً ، فيها محطة للقطارات . وكانت القطارات فى تلك الأيام غاية فى النظافة ومتوفر بها كل وسائل الراحة من الدرجة الثالثة إلى الثانية إلى الأولى ..

بدأت أتبين ما حولى فى الرابعة من عمرى فإذا بالمسكن الذى نقيم فيه ـــ يسمونه ( السراية ) ـــ جدى يسكن شقتين بزوجتيه ، وأبى يشغل شقتين بزوجتيه ، أمى وضرتها فى شقتين متقابلتين ، وعمى يشغل شقة بزوجة واحدة ، لأنه لم يكن بعد قد ملك من أمره شيئاً .

## ســراية ضــخمة

فى السراية أربع جوار « حسيبة وبرلة وسعيدة وبخيتة » وثلاثة عبيد « سرور وريحان وتحسين » ويتبع السراية مطبخ يعمل فيه طباخ ومرمطون ، و « عربة خانة » للعربة ذات الحصان الواحد ، ويعمل عليها العربجى والسايس ، وفى المؤخرة زريبة للمواشى بها ثور وثمبرى وبقرة وجاموستان وجملان وثلاثة حمير يعمل عليها الكلاف ومساعده . وتحيط بالسراية خمسة فدادين موالح بها البرتقال واليوسفى والمانجو والعنب والبلح بأنواعه والمشملة والموز والتفاح والسفرجل والليمون الحلو والمالح والمشمش والبرقوق والعناب ، وعلى وجه التقريب كل أنواع الفواكه التى كانت معروفة حين ذاك « منذ أكثر من سبعين عاما » .

وكان فى حرم السراية حديقة للزهور بها الورد بأنواعه والسوسن والياسمين والفل المجوز والمفرد والأراولة والجارونيا والقرنفل والعطر ، ويقوم على رعايتها الجناينى .

كانت ثروة الجد « عبد القادر باشا التلمسانى » ثلاثمائة فدان منها مائة وثمانون فى قرية نوى قليوبية ومائة وعشرون فى قرية المجازر شرقية ـــ وسبعة منازل فى بعض أنحاء القاهرة ـــ فى منشية الصدر وحى العشماوى فى شارع عبد العزيز بالقرب من العتبة الخضراء ـــ كانت أوامر الجد « همايونية » لا يجرؤ أحد على مخالفتها وإلا كان نصيبه « الفلقة والخيزرانة » .

وكان سبب الإنعام بالباشوية على الجد من السلطان عبد الحميد ، لأن جدى اعتاد فى أواخر أيام الحج أن يجمع كل من عجز ماليا عن العودة إلى بلاده من جنوب أسيا وأندونسيا فقط ويستأجر لهم من المراكب ما يوصلهم إلى بلادهم . وحقا كان الجد سخيا حتى أنه كان كل يوم سبت من كل أسبوع وهو يوم السوق فى قرية نوى ، يشترى من اللحم ما يكفى لإعداد وجبة عشاء لكل فلاحى العزبة ، ويجلس بينهم يتناول طعام العشاء معهم حتى ينتهى العشاء وتعود الأوضاع إلى حالتها .

فاتنى أن أقول إن عائلتنا أصلا من الجزائر ، من بلد اسمها تلمسان « وهذا سر اللقب » فلما دخل الفرنسيون الجزائر ، كانت تلمسان آخر بلد احتلوها ، بعد أن دافع أهلها عنها دفاع المستميت ، حتى اعترف الفرنسيون بهذه البطولة .. فأفردوا فى متحف « اللوفر » فى باريس جناحا خاصا ، فيه كل الأسلحة التى دافع بها التلمسانيون عن بلدهم حتى آخر لحظة من قدراتهم .

وفى تلك السنة ( ١٨٣٠ ميلادية ) هاجر جد أبى ومعه عائلته إلى مصر ، واشتغلوا بتجارة الحبوب والأقمشة بين مصر والخرطوم وسنغافورة ، ثم لما وصل الأمر إلى جدى ، صفى أعماله التجارية ، واقتصر فى دخله على العزبتين والمنازل التى فى القاهرة .

## الينابيع الأولى

كان الجد من أتباع « محمد بن عبد الوهاب » ، وقد طبع كثيرا من كتب الوهابيين على نفقته الخاصة ، ومنها ما هو موجود فى مكتبات الحكومة السعودية . وكان عالما يلبس العمامة ، كل أصدقائه من علماء الأزهر من أمثال المرحوم الشيخ « إمام السقا » .

وكان كثيرا ما يدعو هؤلاء العلماء لقضاء يوم بزهائه فى العزبة . فإذا جاء موعد القطار الذى يقلهم من القاهرة ، يستقبلهم على « المزلقان » الذى يمر عليه القطار .. وكان حاضر البديهة ، فإذا ما جاءوا جميعا ، استقبلهم بقوله : « ما شاء الله ! آتونى بأهلكم أجمعين . ألا يعتذر واحد منكم ولو مرة ! »

فإذا مر بهم بعض الأوز أو البط أو الديكة الرومية صاح فى الدجاج : « لاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة » . حتى إذا ما انتهت فترة الاستقبال ، بدأت المناقشات العلمية ، واحتدت ، حتى ليخيل للسامعين ، أنهم على وشك الاشتباك بالأيدى من حدة المجادلة والتمسك بالرأى حتى إذا ما حان وقت الغداء صفا الجو ، واختفت حدة المناقشات ، وحلت الابتسامات والقفشات ، كأنه لم يكن هناك شىء بالمرة ، وكان يطيب لى أن أشهد تلك الجلسات ، وأصغى لتلك المناقشات ، حتى تكونت لدى الانعطافات والميل إلى علوم الدين والوقوف على الكثير مما لم يتوفر لأترابى ، بل حتى لأخوى اللذين يكبراننى فى السن . وبدأ ذهابى إلى الكتاب فى القرية « كتاب سيدى على » ، ويقوم بالإشراف عليه المرحوم « الشيخ عبد العزيز القلماوى » والمرحوم الشيخ « أحمد الرفاعى » من أهل قرية « نوى » .

كنت مواظبا على الحفظ ، وكنت أحب العلم للعلم ، خاصة ما تعلق منه بأمور الدين ، نشأت فى العزبة ، فأحببت الريف وحياة الفلاحين حبا ملك على كل عواطفى ، استحممت فى الترعة ، وسبب لى ذلك مرض البلهارسيا الذى عانيت ومازلت أعانى منه كثيرا . كنت أنزل إلى بطن الساقية على القواديس وأسبح فيها كذلك ، وإن كنت قد نسيت الكثير من قواعد السباحة . كنت أيام « دراس » القمح ، أسوق النوارج وأنام على رمية القمح ، كنت أركب الخيل بلا سرج ، وأطلق لها العنان فى رمال كانت بالقرب من العزبة .

كنت أعشق كل ما فى الريف : الشجر .. الطير .. البساطة . أسبح وأنا بمفردى ليلا

فى عالم لا أدرى ماهو . وتمسكا بالصدق ما كنت اسبح فى ذلك الجو مسبحا أو مفكرا أو متدبرا . ولكنى أهيم فى جو لاأدرى ما هو ما مبتداه وما منتهاه لماذا أهيم فى ملكوته ؟ لماذا أعشق ذلك المجهول الذى كنت مدلها فيه ؟ لماذا هذا « السرحان » الذي كنت أتوه بين لانهائيته ؟ لست أدرى ، لكنى كنت به سعيدا كل السعادة . كنت عاشقا لمن أو لماذا ؟ لست أدرى . هل كنت خياليا ، وهل كنت واهما ؟ هل كنت مصابا بنوع من أنواع الأمراض النفسية ؟ كنت أحس فى تلك اللحظات بأنى أستطيع أن أطير بلا جناحين فى أجواز الفضاء، أطير بغير ما هدف !

## حـب الطيـران

أين تذهب بى أجنحتى أين يستقر بى مقامى ؟ وإلى أى مدى أرتفع عن سطح هذه الأرض ؟ كل ذلك ما كان يشغل بالى ، ولكن الذى كان يستهوينى أنى كنت أحب أن أطير ، وقد بلغ بى هذا الهوى حد مزاولته فى عالم الأحلام ، ربما إلى اليوم . فأنا فى النوم كثيرا ما أطير . ولا تدهش إذا قلت لك إن رحلاتى إلى أوروبا وأمريكا وأسيا فى سبيل الدعوة الإسلامية ، بلغت عشرات العشرات بلا سآمة ولا ملل .. طيران يسلمنى إلى طيران . وطائرة تحملنى إلى غيرها رغم ما بلغت من العمر ، ورغم تحالف الأمراض على هذا الجسد الذى باضت عليه صقور الدهر ، وأفرخت نسوره . وكم أتمنى حتى هذه اللحظة أن أعود لأحيا فى الريف ، بين أحضان السكون الغامر ، والليل الساجى ، مع النجم الساهر ، وصيحة الديكة فى الفجر الباكر ، وزقزقة العصافير التى تبدأ فرادى ، كأنما يوقظ بعضها بعضا ، حتى إذا استيقظت كلها ، راحت تعزف ترنيمة الصباح ، مسبحة بحمد المبدع العلام ، الذى جعلها تغدو خماصا ، وتروح بطانا . ولو أن البشر استمعوا إلى هذا الدرس الذى تطالعه بهم الطير كل صباح ، لعاشت الدنيا فى أمن وافر ، وسلام غامر . ولكن لذلك خلقهم بحكمة اقتضت ما عليه . وما كان لنا أن نناقش ربنا الحساب ، فهو الذى خلق وهو الأعلم بما يصلح لما خلق . وكل الذى علينا أن يعود كل منا إلى تعاليم دينه ، فينفذ منها الأمر ويتجنب النهى .

وعابث وطائش وغافل ومتطفل من يحاول بعقله المحدود معرفة حكمة الذى برأه وسواه ، وإرادته ومشيئته فى قضائه وقدره . ولست أهضم اشتغال الناس بأمور لا تنقص من إسلامهم ولا تزيده إذا تركوها لحكمة مصرف الأكوان .

تستطيع أن تقول إننى كنت رومانسيا ولا أزال . أحب الأدب الخلقى والفنى وأعيش فى الحياة ..

## فشـــل فني

لست ميالا إلى الجدل ، وكثيرا ما كنت أتركه إذا ما رأيت فى محدثى ميلا إليه رغم وضوح الحق فى موضوع الجدل . أحب الجمال فى كل شيء ، فى الإبداع التكوينى للبشر .. فى جمال الطير وتحليقه فى رقة الغزال ونحافة سيقانه .. فى صبر الأفيال،فى بريق عينى الأسد والنمور ، فى خرير الماء ، فى حفيف أوراق الشجر ، فى القطار يمضى ، وكأن الأرض هى التى تطوى وليس هو الذى يطويها ، فى كل شيء جميل يمكن أن يخطر فى بال إنسان . ورغم أنى وعيت الدنيا فوجدتنى أصلى وأصوم ورغم بدء حفظى للقرآن وبعض الاحاديث والكتب الدينية فى سن ما أظن حدثا أو يافعا مـارسها فيه ، فقد كانت تستهوينى أعمال البطولة وحماية الشرف والعشق والهيام .. فقرأت أول ما قرأت كتب أبى زيد الهلالى سلامة ، وقرأت عن عنترة بن شداد ، وسيف بن ذى يزن . ثم تدرجت إلى قراءة كل روايات « اسكندر ديماس » وابنه وتعرفت إلى أبطال قصصه الذين كانت شجاعتهم والدفاع عن معشوقاتهم ، تملك على كل أوقاتى فى شهور الأجازة . قرأت الأرض لأميل زولا ، فلم تنل منى اهتماما لوقاحتها وخروجها عن حيز الذوق واللياقة رغم الطنطنة التى اثيرت حولها .

قرأت البؤساء وكل ما كتبه المنفلوطى ، وبكيت بحرارة مع مآسيه ، كنت نهما فى القراءة ، ورغم كل هذا العشق للأدب ، لم استطع أن أكون أديبا ، أو موسيقياً رغم حبى للموسيقى ، وعزفى على العود لسنين ، ولم استطع أن أكون شاعرا رغم كل محاولاتى الفاشلة وعرضت ما أكتب من الشعر على بعض الشعراء فقالوا لى إن ما تكتبه كلام مسجوع فى أبيات وليس شعرا .

وكان آخر بيت شعر كتبته :

**خضـعت لوحى قريحتـى الأشـعار**

**ورنـت إليها الغـرد الأطيـار**

ومن هذا البيت تستطيع أن تحكم إن كان هذا شعرا أو تخريفا .. فكففت . ولسبب لا أدريه صرفنى الله عن كل هذه المحاولات الفنية التى فشلت فيها فشلا لامثيل له ، إن لم تكن مثالا للهزال الفنى ، أو الفن الهزيل السخيف .

وأقبلت على القراءات الدينية فقرأت تفسير الزمخشرى وابن كثير والقرطبى وسيرة ابن هشام وغيرها من السير . قرأت أسد الغابة والطبقات الكبرى ونهج البلاغة والأمالى والعقد

الفريد لابن عبد ربه والعقد الفريد لابن سيده والبخارى ومسلم .. من الجلدة إلى الجلدة ، ورغم كل ذلك فإنى أومن بأن ما قرأته قطرة من بحر لا تروى ظمأ .

الشيء الوحيد الذى استفدته من وراء كل هذه المعاناة ، أننى أعرف للناس أقدارها ، فلم أمس إنسانا بقلمى ولا بلسانى ، حتى الذين هاجمونى ، ونالوا منى لخلافى معهم فى الرأى .

## صليت فى السينما

ولأنى احترم رأيى ونفسى ، فقد كنت احترم رأى الغير وشخصياتهم ، والتزمت جانب الموضوعية فى ما أكتب ، مع تمسكى برأيى الذى اقتنع به مهما كلفنى ذلك ، وقد قاسيت ، ومازلت أقاسى من هذا الكثير والكثير ، حبسا وإيذاء فلم ولن انصرف عما أخذت نفسى من الحق ابتغاء وجه الله . إنه عقيدة سرت مسرى الدم فى العروق والشرايين ، وزادها تعميقا ، أننى نشأت فى بيت رأيت كل من فيه يصلى ويصوم ، رجالا ونساء ، فتيانا وفتيات ، حتى أننى لاأستطيع أن أتذكر متى صمت ، ومتى بدأت أصلى ولكننى لما تفتحت الدنيا أمام عينى وذهنى وجدتنى أصوم وأصلى ، ولا أذكر أنه فاتنى فرض من وقتها إلى الآن .

حتى أننى لما كنت أباشر عملى كمحام ، وأنزل يوم الجمعة لأحضر بعض الأفلام السينمائية ، وكنت انتهز فرصة الاستراحة ( الانتراكت ) لأصلى الظهر والعصر مجموعين مقصورين فى أحد أركان السينما التى أكون فيها . كنت أرى بعض الناس إذا كان على موعد للذهاب إلى إحدى دور السينما أو المسرح ، اعتذر لمن معه فى المجلس عن البقاء وطلب الانصراف لأمر مهم .

أما أنا فما كنت أتحرج من الاعتذار بسبب الذهاب إلى السينما ، فإذا تعجب الحاضرون أو غضبوا ، فإن ردى الوحيد الدائم : إن الله يعلم إلى أين أذهب فكيف لا أخشى الله ثم أخشى الناس ، والله أحق أن أخشاه ، خاصة وأن ما أفعله ليس حراما ، وإن دخل فى دائرة المكروه .

هكذا كانت طفولتى هادئة سعيدة ميسرة ، كل ما أطلبه فى متناول يدى . كان لجدى سبعة من الأبناء هم رجلان وخمس سيدات ، أما أبى فتوفى عن سبعة عشر ، ثمانية ذكور وتسع إناث ، وكنت موضع الحب الأول عند أبى لأنى أنجح سنة بعد سنة دون رسوب ، أما أخواى اللذان يكبراننى فقد زهدا فى التعليم واشتغلا بالتجارة وحتى هذه لم يفلحا فيها . وكان بعض المدرسين من أصدقاء الوالد يحاولون مساعدتى بدروس خاصة ، ثم يرون أننى لست فى حاجة إلى شيء من ذلك بالمرة . إذ نجحت من أولى ثانوى إلى ثانية ثانوى ، أذاكر كل

دروس سنة تالية فى الأجازة : الدروس النظرية .. التاريخ والجغرافيا والأشياء واللغة وما إليها ، ولذلك ما كنت أجد كبير معاناة فى متابعة المدرسين طوال العام . وكان ترتيبى فى الفصل لا يقل عن الثالث ، وإن لم أفز بأولوية أبدا . وكان مدرس اللغة الإنجليزية « مستر جاكسون » إذا سأل طلبة الفصل عن معني كلمة ، عقب على السؤال بقوله ما عدا « معربة والبشرى والتلمسانى » . فقد كان يعلم أن ثلاثتنا نستذكر دروسنا تماما .

كنت أقرأ جريدة « المقطم » وأنا فى سن العاشرة وأتابع أحداث الحرب العالمية الأولى فى شغف ، وكنت أرجو أن يهزم الإنجليز لتتخلص مصر من الاستعمار البريطانى . وما شاهدته فى ذلك الحين من تصرفات تعسفية للمندوب السامى البريطانى — كما كانوا يسمونه — كانت الأوامر تصدر من المندوب السامى إلى رئيس الوزارة ، فإذا بنا نرى الرجال تساق رغم أنفها إلى العمل فى الجيش البريطانى .

- وكانت الجمال والحمير تجمع بالقوة،وكذلك القمح والذرة بأثمان زهيدة وبالإكراه فتولدت لدى جيلنا كراهية الحكم البريطانى ، وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى هب الشعب بثورته عام ١٩١٩ ، ومازالت تلك العوامل تتفاعل فى نفوس المصريين حتى انتهت بخروج الإنجليز من مصر نهائيا عام ١٩٥٦ . بموجب اتفاقية عام ١٩٥٤ .

وبدأت مرحلة الدراسة الثانوية . فالتحقت بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية ، ثم بمدرسة الرشاد الثانوية والإلهامية الثانوية بالحلمية .

## بيت بلا نوافذ

بعد وفاة الجد ، انتقل أبى وزوجتاه وبنوه إلى بيتنا فى حارة « خوش قدم ، عطفة السكرى رقم ٧ » وكما سبق القول ، كان المسكن غاية فى الاتساع . والشيء العجيب فى هذا المنزل الذى تبلغ مساحته ثمانمائة متر مربع ، أنه ليس فيه نافذة واحدة تطل على خارج المنزل ، كل نوافذه كانت تطل على الحوش الواسع .

كان السبب فى تنقلى بين المدارس الثانوية الثلاث موقفا حدث عندما كنت فى السنة الأولى بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية ، إذ حدثت شوشرة بالفصل خلال الفسحة ، فحضر ضابط المدرسة وانتهرنا ، وطلب الصمت الكامل ، وأخذ يمر بين المقاعد ، فرأى طالبا اسمه « محمد على سالم » يتحرك ، فجذبه من بدلته ، فسال الحبر على ملابسه ، وعز على هذا المنظر ، وما كنت أعلم عن حالة هذا الطالب المالية شيئا ، وإن كان قد دخل مدرسة البوليس وترقى فى مراتبها حتى المعاش ، ولكنى رأيت حالة ظلم فلم أقو على السكوت ، فالتفت إلى الضابط صائحا : ما هذا الظلم ؟ .. فطلب منى مغادرة الفصل

فأبيت . فجذبنى من ملابسى وكان أقوى طبعا ، فلم أكن إلا يافعا ، وكان هو مكتمل الرجولة وأخرجنى من الفصل بالقوة ، ثم تركنى على الباب وذهب إلى الدرج الذى به كتبى وكراساتى وقذفنى بها ، فتناولتها وقذفته بها ، وظللنا حوالى الدقيقة نتقاذف بالكتب حتى ضاق بى ذرعا ، فأمسك بى ، وجرنى جرا إلى ناظر المدرسة ، وكان اسمه « كرارة » افندى ، فطلب منى ناظر المدرسة أن أخرج وأستحضر ولى أمرى معى فى الغد . وذهبت إلى والدى وقصصت عليه ما حدث ، وصممت ألا أعود إلى هذه المدرسة أبدا .

ولم يرغمنى ، فأكملت السنة الأولى فى مدرسة الرشاد الثانوية وهى مدرسة أهلية فى شارع درب الجماميز . ولم تكن الدراسة بها منتظمة شأن المدارس الأهلية فى ذلك العهد . وفى بدء العام الدراسى التالى التحقت بالمدرسة الإلهامية الثانوية ، وكانت تابعة للخاصة الملكية .

وفى نهاية العام حصلت على الكفاءة ، وانتظمت فى هذه المدرسة حتى حصلت على البكالوريا قسم أدبى . وكان الناجحون على مستوى القطر — عام ١٩٢٤ — فى البكالوريا سبعمائة وسبعين طالبا ، كان ترتيبى من بينهم الواحد والسبعين .

التحقت بالقسم الأدبى لأنى كنت أضيق بالحساب والهندسة ضيقا شديدا . وظللت إلى يومى هذا لاأحب أن يناقشنى أحد الحساب .. ذلك لأنى — والله على ما أقول شهيد — ما كلفنى أحد بعمل وقبلت التكليف إلا وأعطيت العمل كل طاقاتى وقدراتى البشرية ، مستعينا بالله ، وما كانت نتيجة التكليف تهمنى كثيرا ، مادمت قد أديت الواجب فيما عهد إلى من عمل . وكنت أجد فى ذلك راحة نفسية لاحد لها ، لأن الله سبحانه وتعالى كلفنا بالعمل فقط ، ولم يكلفنا بتحقيق النتائج ، رحمة منه بعباده .

## اعتزال الملاكمة مبكراً

وفى مدرسة الإلهامية بدأ شبابى ، وبدأ اهتمامى بمظهرى ، كما كنت مهتما بمخبرى ، فكان الحذاء دائم اللمعان ، والبنطلون كأنه خارج من تحت المكواة ، ذلك لأنى إذا عدت من المدرسة أخر النهار ، جلست فى غرفتى الخاصة وأخذت أنظف حذائى بالورنيش ، وأبخ البنطلون بشىء من الماء وأضعه بين مرتبتى السرير محافظة على استقامته . وما عرفت فى المدرسة الثانوية شقاوة الشباب . فلا أجرى كما يجرون وراء بعضهم بعضا ، ولا ألعب الكرة بحذائى . وحاولت أن أتعلم الملاكمة ، ولكن معلمى إياها ضربنى « بوكساً » جعلنى أعتزلها إلى الأبد . ودخلت الكشافة المدرسية لكنى سئمتها ، ولم أباشر أى نوع من أنواع الرياضة طوال دراستى الثانوية رغم اهتمامى بالأنباء الرياضية الداخلية منها والخارجية .

طوال دراستي الثانوية كنت تحت رقابة والدى ، وكانت رقابة دقيقة وشديدة . كان يعلم أن الحصة الأخيرة تنتهى الساعة كذا .

والمسافة بين الحلمية حيث نقيم تستغرق كذا دقيقة ، فلابد إذن أن أكون الساعة كذا داخلا من بوابة المنزل ، لأجده جالسا فى السلاملم والساعة فى يده . فأقبل اليد الكريمة ، وأصعد إلى غرفتى . والويل كل الويل لى لو تأخرت عن الموعد المعتاد خمس دقائق أسمع من التقريع والتأنيب مالا أستطيع معه أن اعترض أو أدافع أو أشرح . ورغم ذلك فقد كنت سعيدا بهذه المعاملة التى كنت أشعر من ورائها بحب أبوى غامر تمنعه التقاليد أن يقول لابنه إنه يحبه ، فلم يكن مستساغا فى ذلك الحين ، فالأب أب ، والإبن إبن ولكل منهما موضعه التقليدى مهما كان أحدهما يحب الآخر .

إنه كان ينتظرنى بالدقيقة إشفاقا على أن اتأخر بسبب حادث، كانت لمعة الراحة تلمع فى عينيه لمجرد رؤيتى عائدا فى موعدى ، إنه ما كان يخشى على الانحراف لأنه يعهد فى ابنه عمر استقامة وجدية وإقبالا على الدراسة .

وسواء أصحت فراسته فىّ أو لم تصح ، فقد كانت هذه عاطفته نحوى وخوفه على .

وأذكر أنه عقب ظهور نتيجة البكالوريا سنة ١٩٢٤ أرسل الكثير من الطلبة الراسبين عدة شكاوى إلى الأهرام فنشرت شكاواهم وطلبت من زملائهم أن يقروهم أو ينكروا عليهم ، فأرسلت ردا إلى الأهرام نشر قلت فيه : إن امتحان اللغة الإنجليزية لم يكن صعبا ولكنه كان طويلا .

وما أن رأى أبى اسم ابنه ينشر فى الأهرام حتى استطار من الفرح، وأمسك بالأهرام يعرضه على كل من يعرف مفاخرا فى صورة اللائم قائلا : شوف الولد العكروت كاتب إيه في الأهرام ، وكأنه يريد أن يقول لمن لم يقرأ الخبر : إبنى أصبح يكتب فى الصحف، كان يحبنى فعلا ولكنه لم يمتعنى بكلمة الحب يوما .

* * *

# الحلقة الثانية

- حرمت زوجتى عشرة أعوام من رؤيتى حتى لا يراها السجان !
- أنا وفدى قديم وسقطت عدة مرات كمرشح للإخوان .
- المرأة التى تؤمن بمساواتها بالرجل تفقد أنوثتها .
- الحزبية فى صورتها الحاضرة نكسة مريرة فى عالم الديمقراطية

« فى الحلقة الماضية حاول الأستاذ « عمر التلمسانى » المرشد العام للإخوان المسلمين أن يؤكد على حقيقة هامة خلال تسجيله لمراحل حياته المبكرة .. أنه لم يكن طرازا خاصا من الشباب ، انفرد مع رفاقه من الرعيل الأول من الإخوان المسلمين بإدارة الظهر للحياةالدنيا ، والتطلع فقط إلى الحياة الآخرة ، إنما هو مثل كل البشر ، يتطلع بالحب إلى دنياه ، ينهل من مباهجها ما حلله الله له ، دون تماد أو إفراط . فلم ينكر على نفسه أن غشى فى صباه ملاهى وصالات عماد الدين ، حيث شارك الذين يضحكون ضحكهم ، والذين يرقصون رقصهم . لكنه توقف عند هذا الحد ، حتى أنه أثار دهشة الفتيات اللائى شاركنه فى المرحلة ، لإحجامه عن التمادى فيما ذهب إليه غيره فى مثل هذه العلاقات ، من تعاط للخمر ، والزنا المغلف بالعواطف الكاذبة .

فى حياة الشيخ « عمر » امرأة واحدة ، أحبها من سويداء قلبه ، وهام بها عشقا ، وكان متطرفا فى غيرته عليها ، إلى درجة جعلته يمنعها من سماع أغنيات الموسيقار « رياض السنباطى » لشغفها بألحانه ، بل إنه ذهب إلى أكثر من ذلك بأن حرمها من أن تزوره فى السجن عشر سنوات كاملة ، حتى لايراها ضباط السجن ورفاقه من المسجونين عند زيارتها له !

**ترى من هى هذه الحبيبة التى مازالت تستأثر على قلب هذا الشيخ ابن الثمانين ، وتثير شجونه ؟**

## قصة زواج عجيبة

يقول « عمر التلمسانى » :

فى السنة الرابعة الثانوية ، فكر أبى أن يزوجنى ليحفظ على نصف دينى ، كان لى أخوان أكبر منى فلم يفكر فى زواجهما ، ولكنه فكر فى زواجى أنا ، لأنى كنت أثيرا عنده ، وأقرب إلى قلبه من غيرى . وكانت قصة زواج عجيبة .

مما قرأت فهمت أنه من حقى أن أختار شريكة حياتى ، وأن أختارها دون وساطة فى هذا الاختيار . ولكننى كنت واهما وكان الواقع أبعد أثرا ، وأعمق فاعلية من الأوهام والقراءات والتصورات .

ففى يوم بعد عودتى من المدرسة ، قالت لى والدتى : إن أباك طلب منى أن أخبرك أن تذهب إلى منزل الشيخ « فلان » بعد صلاة مغرب الغد ، فسألتها ألا تعرفين السبب يا أمى ؟ . قالت : إنهم سيكتبون كتابك على ابنة الشيخ الذى ستذهب إلى منزله بعد مغرب الغد .

وللحق كان للخبر وقع طيب على نفسى ، لأنى كنت فى سن العشرين وكان نداء الطبيعة ينادينى بقضاء لبانته . وحانت الفرصة ، وفى الحلال ولكن تمرد الشباب فى داخلى ، وتسلط فكرة حرية الاختيار جعلانى أبدو فى صورة الثائر ــ الثائر أمام أمى فقط !

فقلت لها فى عنفوان : إننى لن أذهب ، ولن أتزوج إلا من التى أختارها بنفسى . فردت قائلة :

لاشأن لى بهذه اللخبطة التى تتحدث بها ، وسأخبر أباك بهذا الخروج على طاعته ليتدبر الأمر .

وجاء أبى فأخبرته أمى بما كان منى ، فقابل الأمر بهدوء كامل . وقال لها : « إن شاالله ما عنه راح . أنا حبيت أعمله راجل وأجلسه مع الرجال . سأزوجه رغم أنفه فأنا ولى أمره ، وسيكتب الكتاب هذه الليلة » .

# غيـرة زوجيـة

أخبرتني والدتي بما حدث . ولما كنت أعرف إصرار والدي على رأيه ، خضعت للأمر الواقع بين راغب فيه وزاهد . وكان الخير فيما ألهم الله به أبي ، فقد توفي بعد زواجي بستة أشهر في يناير ( كانون الثاني ) ١٩٢٤ . حفظ الله لي نصف ديني بهذا الزواج ، وأقامني على الصراط المستقيم ، فلم ترق امرأة في نظري بعد هذا الزواج . ولم أفكر في غيرها ، واقتصرت عليها ، ودام هذا الزواج الهني ثلاثة وخمسين عاما ، حتى توفيت تلك الزوجة الوفية في رمضان ١٣٩٩ هـ ـــ الثامن من أغسطس ( أب ) ١٩٧٩ ، بعد أن تسحرنا وصلينا الفجر معا ، وبعد مرض لازمها الفراش حوالي سبع سنوات . مازلت أبكيها بحرقة من كل قلبي إلى اليوم ، كلما مرت ذكراها بخاطري ، أو ذكرها أحد أمامي . فقد كانت زوجة مثالية ، تطهو أشهى الطعام ، وتساعد من تغسل الملابس يدا بيد ، وتقوم على نظافة المنزل مع الخادمة ـــ لم تسألني فيما أفعل لِمَ فعلت ؟ . ولا فيما تركت لِمَ تركت ؟ . لم تطالبني بشيء لنفسها لأني كنت أوفر لها كل ما تطلبه الزوجة من زوجها . وظلت بعد الزواج ملازمة للبيت حوالي سبعة عشر عاما لاتخرج لزيارة أهلها أو حضور عزاء أو تهنئة إلا في سيارة ، ولم تركب طوال تلك السنين تراما ولا أتوبيسا أو تمشي في الطريق على قدميها ، لأني كنت شديد الغيرة عليها .. أغار عليها من الشمس أن تلقي عليها أشعتها ، ومن الهواء أن يلامس طرف ملابسها . وكانت تعرف ذلك مني ، فلم تضق بي ولم تعاتبني . هذا إن لم تكن هذه الغيرة ترضيها وتسعدها . وقد رزقني الله منها بنسل كثير ، لم يبق منه إلا ذكران وأنثيان أسأل الله أن يكون عنهم راضيا ، فهم صالحون ومؤدبون ومطيعون . وأذكر هنا واقعة تتعلق بغيرتي عليها .. فقد حدث لما قضيت في سجن عبد الناصر سبعة عشر عاما ، من أكتوبر ( تشرين أول ) ١٩٥٤ إلى يوليو ( تموز ) ١٩٧١ ، كانت نعم الزوجة الصابرة المحتسبة . ومرت عشر سنوات في السجن لم أرها فيها ، غيرة عليها أن يراها السجانون ومن معي من الإخوان ، حتى إذا ألح على الإخوان ، ووجهوا لي اللوم على هذه القطيعة . أذنت لها بزيارتي في السجن ، واستقبلتها في اتزان ، وكأني لم أفارقها إلا يوما أو بعض يوم . لم تسبب لي متاعب مع أهلي ، حتى ولو أسيء إليها في غيبتي من أم أو أخ أو أخت . إنني أنصح ـــ وعن تجربة ـــ كل فتاة وفتى يريدان الزواج ألا يجعلا ما يسميانه الحب أساسا للعلاقة الزوجية . إن الزواج إذا بدأ بهذه العاطفة الملتهبة التي يسمونها « الحب » لايلبث أن تنطفيء جذوته بعد سنتين أو ثلاث ، وخاصة إذا بادرتهماالذرية بالمجيء .

الزواج يجب أن يقوم أولا على رضاء الوالدين ، ورضاء الزوج ، أما تخطي إرادة الوالدين ، فما الزواج إذ ذاك إلا نزوة اتصال ، حتى إذا تم الاتصال وتكرر ، وأصبحت المحبوبة طوع اليمين . تبخر كل ذلك الغليان العاطفي ، ولم تبق إلا صلة صداقة بين الزوجين

هى من أرق صور الصداقة ، هذا إذا أخلص كل منهما للآخر ، وأعطى كل منهما حق الوفاء بهذه العلاقة الطاهرة ، التى على أساسها يقوم عمار البيوت ، وبالوفاء تدوم الزوجية سعيدة هانئة .

والويل للزوج أو الزوجة ، إذا بدا من أحدهما إعجاب أو استلطاف لآخر أو لأخرى .

أذكر أننى اشتريت فى العام ١٩٣٦ جهازا للراديو « فيليبس » ماركة النحاس باشا ، فسمعت المرحومة زوجتى غناء لـ « رياض السنباطى » فأعجبها الصوت والتلحين وصارحتنى بهذا فكان ردى أن عليك أن تغلقى الراديو بمجرد سماعك لاسم السنباطى مغنيا أو ملحنا ، فاستجابت دون تردد لما تعرفه من غيرتى عليها . وأنا أقول للفتيان والفتيات : احرصوا على رضاء الوالدين فيمن تختارون ، فَغَضَبُ الوالدين له نتائج فى غاية السوء ، ورضاهما له من الآثار الطيبة ما يوفر كل سعادة واستقرار .

## رسبت فى الحقوق

بدأت مرحلة الشباب بدخول الجامعة فى العام ١٩٢٤ فى كلية الحقوق التى التحقت بها عن رغبة جامحة لأنى كنت مغرما بمواقف المحامين فى الجلسات ، ومرافعاتهم وارتفاع نبرات أصواتهم ، فى الوقت الذى يجلس القضاة مستمعين صامتين . كنت مغرما بما أقرأه عنهم ، من أنهم حماة الحرية ، العاملون على نصرة الضعفاء ، المطالبون بالحق ، الأحرار البعيدون عن قيود الوظيفة .

قلت فيما سبق إننى لم أرسب فى حياتى الدراسية فى المرحلتين الابتدائية والثانوية مطلقا .. لكننى رسبت فى كلية الحقوق أكثر من مرة للعوامل الآتية :

أولا : لأننى تزوجت وانجبت وأنا طالب فى الكلية ، وللزوجية والأبوة ما يقتطع من أوقات المذاكرة والمواظبة على حضور الدروس .

ثانيا : اشتعال الحركة الوطنية وكثرة ترددى على بيت الأمة ، والجلوس إلى سعد زغلول والاستماع إليه لأنه كان جذابا . يرغم الصم على تتبع حركات شفتيه .

ثالثا : وفاة أبى ، وشرائى سيارة « رينو كابروليه » رقم ٢٧٥١ ، وانصرافى إلى الاستمتاع بحرية لم تكن متوفرة لدى ، فقد عرفت كل ما يعرفه الشبان الوارثون ، عدا الزنا والخمر ، من ارتياد السينما والمسرح والرقص فى الصالات .

كان أستاذ مادة « القانون المدنى » فى كلية الحقوق هو المرحوم د . عبد الرازق السنهورى .. وكان أستاذا حقا لافى مادته فحسب ولكن فى خلقه ومعاملته للطلبة ، ومع

ذلك لم ينج من قفشات الطلاب ، فقد كان فى صوته ضخامة حتى أطلق عليه « عفاريت الطلبة » إنه أول من نطق الفرنسية بالضاد .. ولما رأى تعثر بعض الطلبة فى مادة القانون المدنى جَمَعَنَا وأعد لنا حصة خاصة يشرح لنا فيها ما استعصى علينا من دروسه فى الفصل وبلا مقابل ولم يكن « الدكتور السنهورى » فى ثراء بعض الدكاترة الحاليين ، الذين يجعلون من بيوتهم مدرسة للدروس الخصوصية التى يغالون فى أجرها ، والتى لاكت الألسنة هذا التصرف غير المشروع .. فأى احترام يقوم بين طالب يدفع لأستاذه مالا مقابل الحصول على المعرفة وبين هذا الأستاذ الذى يمد يده ليتناول الأجر من الطالب ؟

إنه يغرس فى نفس الطالب مبدأ أنّ كل شىء فى هذه الحياة ، لابد أن يكون له مقابل مادى ، حتى العلم ، ومن هنا لايطلب الطلبة العلم للعلم ، ولكنهم يطلبونه لما يفيضه عليهم من مادة،وبهذا تنمحى فى نفوسهم كل الأخلاق الحميدة ويصبح همهم الوحيد ، الحصول على المادة وقبل كل شىء ، فهم لايطلبون العلم ليتفقهوا فيه أو يخترعوا أو يكتشفوا ، كما هى الحال فى أقرانهم من أبناء الأمم الناهضة ، لهذا تقدموا وتأخرنا ونمت قواهم وضعفنا ، ونسينا العلم للعلم ، ونسينا التضحية والبذل والإيثار وأصبح هم كل واحد منّا السباحة فوق التيار ، ولو جرف التيار كل الآخرين .

لقد قلت إن من الحلول التى ينبغى أن يؤخذ بها لهذه المشكلة أن تعين الحكومات الهيئات الدينية ــ مسلمة كانت أو مسيحية ــ لكى تتمكن من تنظيم حلقات دراسية للطلبة المتخلفين فى المساجد والكنائس ، حيث إن للمسجد هيبته عند المسلمين وللكنيسة هيبتها عند المسيحين .

## موقفى من المرأة

ليس للمرأة دخل فى حياتى على الإطلاق ، فما أحببت بالصورة الخيالية السائدة لدى الفتيات والفتيان ، ولو حضرت مجلسا فيه من النساء أكثر من الرجال اعترانى طوفان من الخجل . إننى لا أستطيع أن أنظر إلى امرأة فى وجهها أو أحدِّق النظر إليها ، بل إنى لا أحب الحديث إلى النساء . قد يرى المتحضرون أن هذا عيب ، وقد يرونه جبنا .. لكننى لا شأن لى بالنظريات الحديثة ومساواة المرأة بالرجل ، فأنا مازلت أعتقد أن الرجل رجل وأن المرأة امرأة ، ولذلك خلقها الله ، ولا يستطيع البشر أن يغيروا حكمة الله فى خلقه مهما قدموا لشبابنا المسكين من نظريات براقة تدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة . إن المرأة التى تؤمن بمساواتها بالرجل ، امرأة فقدت أنوثتها ، قبل أن تخسر عفافها وكرامتها .

وكنت قد أعطيت تعليماتى لوكيل مكتبى ألا يدخل على امرأة بمفردها، بل لابد وأن

يدخل معها إلى مكتبى .

ولما حضرت مؤتمرا للنساء فى دولة الإمارات ، كنت أعجب من جرأة بعض السيدات فى توجيه الأسئلة التى كنت أجيب عنها فى لف ودوران ! وكنت فى فندق بمدينة كومو فى إيطاليا ، وحددت موعدا فى صالون الفندق للحلاقة فلما دخلت لم أر إلا سيدات .. فسألت : من سيحلق لى شعرى ؟ فأشاروا إلى فتاة . فقلت : أليس من رجل ؟ فقالوا : لا . فقلت : « لا رجل-إذن لا حلاقة » وبات الفندق يتحدث عن هذه الواقعة ، وبت أحمد الله على أنى لم أعصه فى بلاد المتحللين .

هذا هو دور المرأة فى حياتى . ليس إلا زوجة وفية ، وفرت لى السعادة المنزلية ، جاءتنى بأبناء وبنات هم موضع احترام كل من لقيهم ، وأنا أريد أن أنفى من أذهان الناس أن هذا التصرف احتقار منى للمرأة.أبدا .. فالله وحده يعلم كم أحترم النساء ، وأرى فى تصرفى هذا غاية الاحترام لهن . إننى من الدعاة إلى تعليم المرأة لكى تباشر من الأعمال ما يتناسب مع أنوثتها وشرفها ، حتى تكون دائما فوق مستوى الشبهات والأقاويل . وحسب المرأة فى الإسلام أن الله ساوى بينها وبين الرجل فى الحقوق والواجبات ، وفى المثوبة والعقاب .

## أنا وفدى قديم

أخذت السياسة منى وأنا فى الجامعة اهتماما كبيرا ، فقد كنت وفديا بكل كيانى ، وكنت كثير التردد على بيت الأمة . وأذكر أن سعد باشا زغلول كان يرسل أحد الطلبة ليجىء له بمجلة الكشكول يوم صدورها ، وكان يعجب بصورها الكاريكاتورية ، ولا يغضب ولا يثور مما يكتب ضده فى تلك المجلة التى كانت تشن أقصى الحملات على الوفد والوفديين .

وأنا رغم وفديتى ، كان لى فى المرحوم إسماعيل صدقى باشا رأى أخالف به الكثيرين . فالحق أن صدقى باشا لم يكن محبوبا من الشعب وكان قاسيا فى حكمه على الجماهير ، وكان يصف الشعب المصرى بأنه شعب كل حكومة ! وقد كان مخطئا فى نظرته ، استبداديا فى معاملته للجماهير . لكنى كنت أراه سياسيا واقعيا ، يدير سياسته على أساس من الواقع الذى يعيش فيه،كانت سياسته أن الحقوق إذا استحال الحصول عليها كلها ، فمن الخير أن يحصل عليها جزءا بعد جزء ، وفى هذه السياسة ما لايضر ، إذا ما تتابعت الجهود .

ولعلنا لا ننسى أن صدقى باشا وجهت إليه اتهامات كثيرة عندما عهد بطريق الكورنيش فى الإسكندرية لشركة دانتمارو . وقد أثبتت الأيام أنها كانت اتهامات باطلة . وها هو الكورنيش أجمل مايزين الإسكندرية من الطرقات التى ثبت نفعها وعادت على الإسكندرية

بالخير الكثير ، ولكن أحدا لايذكر لصدق باشا هذه اليد التى قدمها للإسكندرية والباقية ما بقيت الإسكندرية .

كانت الخلافات بين الأحزاب فى ذلك الحين على أشدها ، ولكنها كانت خلافات بين رجال ، مهما اشتدت الخصومة بينهم فى القضايا العامة ، فقد كانت علاقتهم الخاصة على أحسن ما تكون . كانوا يتزاورون ويسمرون ، بعيدا عن العداء الشخصى الذى نراه منتشرا بين الأحزاب القائمة ورجالاتها،وما من شك أن الحزبية فى صورتها الحالية ، نكسة مريرة فى عالم الديمقراطية ، فما من حكومة حزبية ترضى لنفسها الفشل فى أى مجال من مجالات الانتخاب . ولكن هذا حدث فى عهد وزارة يحيى باشا إبراهيم ، فقد سقط والقصر معه ، وفاز الوفد بأغلبية ساحقة . ولو أن العلاقات الشخصية بين قادة الأحزاب وأعضائها . أخذت وضعها السليم ، لرأينا فى مصر انتخابات لا يشكك فيهاأحد ، لا الفائز ولا المهزوم ولكن المؤسف أن الحكومات الحزبية لا تتورع عن أى أسلوب ، وفى يدها سلطان الحكم ، يصل بها إلى الأغلبية التى تحفظ لها البقاء فى الحكم ، حتى ولو كره الشعب المغلوب على أمره . ولن نصل إلى ما نرنو إليه من مكانة كريمة فى المجتمع الدولى ، إذا ما بقينا مصرّين على مثل هذه الأساليب .

وخرجت إلى الحياة العملية ، فقضيت مدة التمرين فى مكتب أحد المحامين فى العتبة الخضراء ، اسمه « إبراهيم بك زكى » وكان قاضيا ، وأحيل للمعاش فاشتغل بالمحاماة . ولعل هذه الخطوة غير المقصودة التى بدأت بها حياتى العملية ، تدل على أنى بعيد كل البعد عن فكرة التعصب ، وأن هذا مسلم وهذا مسيحى . ما كانت هذه المعانى تخطر لى على بال . ولست أدرى أى شيطان ألقى بهذه المعانى وأشعلها فى حكم السادات فتنة طائفية . يعلم الله أنه لا فتنة هنا . ولا طائفية هناك . الكل مصرى يدين بديانته دون تدخل ، ويباشر نشاطه دون عراقيل ، ويحيا حياته هادئا آمنا مستقرا . وبعد انتهاء مدة التمرين ، اتخذت مكتبا لى فى شبين القناطر،وللحق لم أكن محاميا نابغا نابها ، كما أنى لم أكن محاميا مغمورا . وكانت لى قضايا فى كل محاكم مديرية القليوبية ، كما كانت لى قضايا فى كل جهات القطر حسب توفيق الله . كانت أقصى قضاياى شمالا محكمة طنطا ، وأقصاها جنوبا محكمة طهطا . آليت على نفسى ألا أخدع موكلا . فإذا جاءتنى قضية مدنية استمعت للمدعى أو المدعى عليه ، واطلعت على مستندات ووقائع القضية والشهود إذا لزم الأمر . فإذا مارجح لدى جانب كسب القضية قبلت التوكيل فيها ومباشرتها . وإذا ترجح جانب عدم الكسب ، نصحت صاحب القضية بالصلح مع خصمه ، وليس معنى القبول أن الدعوى مضمون كسبها .. أبدا .. لكن هذا تقديرى المبدئى ، فقد أخسر بعض القضايا التى أقبلها ، وقد تنجح بعض التى أرفضها ، إنما كان الأمر عندى مراعاة الله فى الكسب الحلال فلا أقبل إلا ما أقتنع بصحته وقد أكون مخطئا فى التقدير ، ولكنى بذلت الجهد فى التقصى قبل أن أكبد صاحب

الدعوى أتعاب المحاماة ومصاريف الدعوى .. أما النتائج فلا يعلمها إلا الله . أما فى القضايا الجنائية .. فأقرأ الدوسيه الخاص بها .. فاتفق إما على البراءة أو على تخفيف الحكم للأعذار المختلفة .

## مرشح عدة قوائم

وهكذا سارت حياتى فى المهنة ، وكانت موفقة بإذن الله .

وأثناء ذلك رشحت نفسى لمجلس النواب كأخ مسلم ، ولكننى لم أفز رغم تكرار المحاولة ذلك لأنى لم أكن خبيرا فى الانتخابات ومقالبها وأساليبها الظاهرة والخفية . فقد كانت الانتخابات تجرى فى كثير من ملابساتها على أساليب لا يقرها شرع ولا خلق .. ففيها الشائعات الكاذبة ، وفيها الرشاوى والتهديد — وكل ما لم يكن لى به دراية ، ولا يوجد فى تعاليم دينى ما يبيح مثل هذه الأساليب . ورغم هذا كله كانت علاقتى بالناس على أحسن ما تكون . فقد كان المسؤولون عن الوفد فى القليوبية يكتبون اسمى فى عضوية الوفد ، وكان الأحرار الدستوريون يكتبون اسمى فى عضوية حزب الأحرار الدستوريين ، وكنت أسكت على استحياء ، لعدم قدرتى على رفض ما يطلب منى ، مادام لا يخرجنى من دائرة الحلال ، ولا يدخلنى فى دائرة الحرام .

وقد يسألنى سائل لماذا لم يظهر اسمك مع الطلبة الذين كانوا يدخلون فى اتحادات الطلاب ، أو تظهر أسماؤهم فى صحف ذلك الزمان ؟!

والرد : طبعى العجيب ، الذى ينفر من الأضواء ومزاحمة الراغبين والمتطلعين إلى الشهرة ، ولو أن ظروفا لا قبل لى فى التغلب عليها ، لما ظهر اسمى فى الصحف والمجلات ، ولما علم أحد عنى شيئا ، ولكنها ظروف قاهرة وبيعة خالصة على العمل فى سبيل الله .. كائنة ما كانت التبعات ، والله أعلم بالنوايا وما تخفى الصدور .

وهكذا ترى أن البيئة الدينية التى نشأت فيها ، والرغبة فى البعد عن السفاسف والعبث ، ورعاية الوالد ، وطريقته فى تربية أبنائه .. وحبى لمجالسة ومسايرة من هو أكبر منى سنا ، وعزوفى الكامل عن الدخول فى المناقشات السفسطائية ، وحياتى واحترامى لمشاعر الناس جميعا ، كل ذلك كان له أكبر الأثر فى التكوين النهائى الذى أنا عليه .

* * *

# الحلقة الثالثة

- جلست أمام رئيس الوزراء والمسدس مصوب إلى رأسي .
- رشحت نفسي لمجلس النواب مرتين ولم أنجح فى أيهما !!
- تعاطفت مع ألمانيا وتظاهرت مع سعد زغلول .

**ثمانية عشر عاما قضاها المجاهد « عمر التلمسانى » وراء قضبان السجون ، والسجن فى حياة المجاهدين ليس ترفا يتفاخرون به أمام الأجيال ، إنما هو تضحية لا يقدر عليها إلا من عرف معنى الشرف ، ومعنى الكرامة ومعنى الحرية ومعنى الإيمان .**

**ولقد وجد « عمر التلمسانى » نفسه منذ فجر شبابه فى خضم الحركة الوطنية المصرية ..**

**وعاصر زعاماتها المختلفة ، والتقى واحتك وتحاور مع العديد منهم بدءا بسعد زغلول وانتهاء بحسنى مبارك .**

**كيف بدأ « عمر التلمسانى » حياته السياسية ؟ وما نوعية الفكر السياسى الذى استخلصه لنفسه ، وارتضاه مرشدا على طريق الوطنية الصادقة ؟**

**وهل كان مغامرا يبحث له عن دور فى دهاليز السياسة والزعامات والمجتمع ؟**

**يجيب «عمر التلمسانى » عن كل هذه التساؤلات المطروحة فيقول :**

أخذت على نفسى عهدا بألا أسيء إلى إنسان بكلمة نابية ، حتى ولو كنت معارضا له فى سياسته ، وحتى لو آذانى .

ولذلك لم يحصل بينى وبين إنسان صدام لمسألة شخصية وإنما القضايا العامة ، أو على

وجه الدقة الكاملة أن عملى فى حقل الدعوة الإسلامية ، أثار على جمهرة الكثيرين ، وما كان هذا ليحزننى لأنى كنت على ثقة بأن ما أصَابُ به ليس لإساءات بدرت منى ضد غيرى ولكن عملى فى سبيل الله هو الذى حمل البعض على الإساءة إلى والنيل منى ، فكنت أكله إلى الله غير مبال بما يفعل ، ولا بما يترتب على تصرفاته نحوى ، لقيت من المرحومين إبراهيم عبد الهادى وعبد الناصر ، الكثير من الظلم ، فلم أحقد ولم أضمر سوءا .

## موسم الاعتقالات

أما « إبراهيم عبد الهادى » فقد اعتقلنى عام ١٩٤٨ فى معتقل « الهايكستب » ثم نفانى إلى جبل الطور ، ولما تعقدت الأمور بين يديه ، وأحس باهتزاز الكرسى من تحته ، استدعانى من الطور مع المرحوم الاستاذ البهى الخولى والاستاذ محمد الخضرى أطال الله فى عمره ، وكانا معتقلين معى فى الطور . وذهبنا فى حراسة الشرطة إلى مقر رئاسة مجلس الوزراء ، وأجلسونا فى غرفة واسعة أمام مكتب إبراهيم عبد الهادى . ثم نودى علينا فرادى لمقابلته .

ودخل المرحوم الأستاذ البهى أولا ، ثم الأستاذ الخضرى ثانيا ، وأثناء وجود الأستاذ الخضرى فى غرفة رئيس مجلس الوزراء ، حضر المرحوم كريم ثابت باشا ، فى خطى مسرعة وكأنما يطارده أحد ، ودلف إلى حجرة إبراهيم عبد الهادى ، ولم يلبث إلا دقائق ثم خرج بالسرعة نفسها التى دخل بها . فقد كان الجميع يعيشون فى فزع ، نتيجة لما كانوا يتبعونه فى سياسة الحكم من قمع وقسوة . ولئن كان عبد الناصر أمعن فى تلك المظالم ، فإنه بدأ من حيث انتهى إبراهيم عبد الهادى ، وبذا كان أستاذا لمن جاء بعده فى فنون الإيذاء والتعذيب . وكانت خاتمة حكم إبراهيم عبد الهادى مؤلمة لذوى الضمائر الحية . فقد أقاله الملك ليلة العيد وجاء فى صحف ذلك العهد أن فاروقا جعل إقالته هدية العيد للشعب المكبوت . وياليت من جاء بعده اتعظ بهذه الخاتمة المخزية ، ولكن من يقرأ ومن يسمع ؟

فجاء دورى فدخلت وعباءتى على كتفى فسلمت وجلست على الكرسى المقابل لمكتبه لكنه لم يرد السلام !

فعذرته لما كان عليه من اضطراب وقلق ، ووقف خلفى بمسدسه بين كتفى ضابط كبير اسمه « عمر حسين » ولعله كان رئيس المباحث فى ذلك الوقت .. وحدثتنى نفسى بأن أخرج من جيبى علبة السجائر لأدخن سيجارة ، ولكن فى لمح البصر أدركت موقف الضابط الذى يقف خلفى بمسدسه بين كتفى ، وقدرت أن وضع يدى فى جيبى قد يؤدى به إلى الظن بأننى سأخرج سلاحا ، رغم التفتيش الذى حدث قبل المقابلة ، فيفرغ رصاصه فى رأسى ، وأموت « فطيسا » فى غير معركة وإن كانت الميتة استشهادا حقيقيا .

وبدأ الكلام فى الموضوع مباشرة ، ولكنه لم يخاطبى بلغة « أنور السادات » :

( ياعمر ـــ ياعمر ) ، وكان ينقصه أن يقول : « نعم ياسى عمر »

بدأ كلامه :

إلى سائلك ثلاثة أسئلة يا أستاذ عمر ، فإن أجبت أطلق سراحك وسراح الإخوان جميعا ، وإلا فذنب المعتقلين جميعا فى رقابكم ، باعتباركم أعضاء مكتب الإرشاد :

١ ـــ أين مخازن الأسلحة ؟

٢ ـــ أين تقع محطة الإرسال التى تستخدمونها ؟

٣ ـــ من هم قادة النظام الخاص ؟

وكان ردى الصادق أننى لا أعلم شيئا عن كل ما سألتنى عنه ، وعدنا إلى معتقل الهايكستب ولم نعد إلى الطور .

## اغتيال حســـن البنـــا

وفى استطراد بسيط ، يرى القارىء موقف الإخوان من ذلك العهد وأننا كنا موضع نقمته ومطاردته ، لأننا كنا نفتح أذهان الشباب على الفساد والتفريط فى حقوق البلاد ، فى الوقت الذى لم يكن أحد يسمع شيئا عما يسمونه « تشكيل الضباط الأحرار » . ثم يتهمنا عبد الناصر وأعوانه بأننا أعداء الانقلاب « الثورة » وعملاء من اغتال إمامنا الشهيد « حسن البنا » وأقام الأفراح وسقى الشربات ابتهاجا بقتل الإمام الشهيد .

ومن الذى يتـهمنا ؟ الانقلاب ورجاله وكتّابه ، ولا تزال هذه النغمة تتردد فى كتابات كل من يريد تزلفاً للحكام .

كنا نحن الإخوان المسلمين ، ننتقد « فاروق » ونهاجم تصرفاته ، وكان هؤلاء الكتاب الشرفاء الشجعان المغاوير يدبجون المقالات فى مديح الفاروق المعلم الأول .. والعامل الأول .. والمهندس الأول .. الأول .. الأول !! فى غير ما تحرج ولا حياء ، حتى إذا ما جاء الانقلاب ، تحولت كل تلك الأقلام الجريئة الطاهرة إلى أنياب دامية ، تنهش فاروقها الأول .

ثم إذا ما قام الخلاف بين عبد الناصر والإخوان تحولت تلك الأضراس الطاحنة إلى سمعة وإيمان الإخوان ، تمزقها وتعلو به إلى عنان السماء ، ثم تتركه معلقا فى الهواء ، حتى إذا ما مات .. كانت أول من لطخ عهده بأشنع الشناعات ، وهى الأقلام المادحة بالأمس القريب نفسها،ثم وجدت لها ترانيم فى حكم السادات ، تشيد به ، وتتغنى ببطولاته فى الوقت الذى تعرض الإخوان خلاله لأقسى المعاملات! وكم كان حريا بالسادات أن يعتبر فيستبعد تلك الأقلام التى لا تجيد إلا مدح الحاكم ، ومهاجمة خصومه ، لكنه لم يعتبر ، وانتهى به الأمر إلى

ما انتهى إليه ، فإذا بتلك الأقلام تقول فيه ما قال « الحطيئة » فى نفسه وفى الناس .

وجاء الانقلاب « ثورة ٢٣ يوليو » أو التغيير ، فوجد الجو مهيأ وتم كل شىء فى غير ما جلبة ولا ضوضاء . واستقبل الشعب جنوده وضباطه بالفرح والترحاب ، وليس فى الأمر ما يعدو إقالة وزارة وإقامة أخرى . وبدأ عبد الناصر حكمه بإطلاق سراح كل المسجونين من الإخوان ومصر الفتاة ، واستبشر الشعب خيرا ، وعرف الناس أن ما تم كان باتفاق بين الإخوان والضباط الأحرار ، وأن الإخوان سيعودون بالوطن والمواطنين إلى سالف مجد المسلمين ، لأنهم لا يقولون إلا ما يفعلونه ، وأنهم ليسوا أصحاب الوعود البراقة الخلابة التى يسمع لها جعجعة ولايرى لها طحن .

ومن قبل هذا توالت الأحداث السياسية فى حياتى ، فقد كنت متابعا لقراءة المقطم يوميا ، حيث أخبار الحرب العالمية الأولى واكتساح الجيوش الألمانية لجيوش الحلفاء اكتساحا ، وكنت معجبا بهند بورج القائد الألمانى المشهور ، وقدرته الفائقة فى أسر مليون عسكرى روسى فى موقعة البحيرات ، وكنت متعاطفا مع ألمانيا لموقف الإنجليز من وطنى وأعمال السلطة .. وكانت هناك تعبيرات ، صحفية لبعض الدول التى لم تدخل الحرب مثل تعبير «الوقوف على الحياد المسلح مع الميل للحلفاء!»وكنا نستعمل التعبير فى كثير من مزاحنا مع بعضنا البعض .

كنت أقرأ معظم الصحف التى تصدر فى مصر . الأهرام والسياسة والجهاد ومجلات المصور واللطائف والسياسة الأسبوعية والجهاد الأسبوعى والتجارة . أقرأ كل ما فيها من الجلدة إلى الجلدة بلا ملل ، طوال فترة دراستى الثانوية عندما كان البال خاليا والقلب رائقا،كنت اقرأ لمجرد القراءة أحب مشاهدة مباريات كرة القدم وإن لم أمارسها . أستمع أكثر مما أتكلم ، ولو استطعت ألا أتكلم لفعلت . كانت دراستى الثانوية والجامعية حافلة بالأحداث التاريخية ، فقد عاصرت كل التغييرات الوزارية فى ذلك العهد ، وتعاقب رؤساء الوزارات ، وكان رئيس الوزراء يسمى « ناظر النظار » .. رأيت سعد زغلول وإسماعيل صدقى ومحمد محمود « صاحب القبضة الحديدية » وتوفيق نسيم ، ويوسف وهبة ومحمد سعيد وأحمد زيور ، وتابعت مواقف عبد الحميد عبد الحق وسليمان غنام فى مجلس نواب لم يكن فيه وفديون سواهما ، وموقف الأستاذ الجندى فى مجلس الشيوخ الذى لم يكن فيه وفدى سواه .

وشاهدت الملك فؤاد يستفتى بلجيكا فى مسألة تعيين الشيوخ المعينين والخلاف عليها بين سعد زغلول والملك فؤاد ، وكنت من بين المتظاهرين حول قصر عابدين ، وعندما سمع البلجيكى هدير المظاهرات فتح النافذة وقال لفؤاد : لاداعى لأن تستفتينى فقدأبدى الشعب رأيه .. وكانت الجماهير تهتف : « سعد أو الثورة » .

## التخرج فى كلية الحقوق

كل هذه الأحداث التى كنت أعيشها فكريا وعاطفيا ما كانت تقعدنى عن مواصلة دروسى حتى تخرجت فى كلية الحقوق . وكان عدد الناجحين فى تلك السنة « ١٩٣١ » حوالى سبعمائة طالب . وأذكر أن أعلى درجات كنت أحصل عليها كانت فى الشريعة ، وأذكر أن الذى امتحننى شفويا فى سنة التخرج هما الأستاذان أحمد زيد بك وأحمد إبراهيم بك ، ووجها إلى سؤالين عن المواريث على « التختة » فأجبت فاكتفيا ، ولكنى طلبت سؤالا ثالثا ، وكنت أعلم أن فى هذا إرضاء لأستاذى الجليل أحمد بك إبراهيم ، وكان عجبا أن يطلب طالب الاستزادة فى الأسئلة ؛ ولكن هذا الوضع كان مقصورا على علوم الشريعة فقط . أما المواد الأخرى فكنت ( يادوب أنفد فيها بجلدى ) .

ومن اللطائف التى أذكرها أن حسن باشا صادق الشيشينى كان يدرس لنا مادة الاقتصاد السياسى . وكان بيت شيكوريل فى ذلك العهد تطل بعض حجراته على الغرفة التى كانت من نصيب الاقتصاد السياسى، وفى إحدى الحصص ، رأى الأستاذ أن كل الطلبة كانوا منشغلين بالتطلع إلى بيت شيكوريل ، فنظر بدوره فرأى فتاتين فى النافذة ، فخجلوا جميعا ، وقال الأستاذ « كفاية نستأنف دروسنا » . كان أساتذتنا فى الدراسة الدكاترة عبد الحميد أبو هيف وأحمد أمين والعشماوى والشيشينى والخيال وعبد المتعال ووحيد رأفت وأحمد إبراهيم وكامل مرسى والسنهورى وجنينه ومحمد صادق فهمى وغيرهم ممن غابت عنى أسماؤهم .

وكانت كلية الحقوق على أيامنا زعيمة كليات الجامعة ، ترأس الاجتماعات الطلابية وتقود المظاهرات ، كانت عماد الحركة الوطنية فى الأوساط الطلابية وكان الوزراء فى ذلك العهد ، كلهم حقوقيون إلا النادر منهم ، ولذلك كان التخاطب بين طلاب كلية الحقوق بمجرد الالتحاق بها ب « إكسلانس » وكان الطالب يفخر بأنه من طلبة الحقوق . ولعلك تعجب إذا علمت أن صداقات عميقة كانت تقوم بين بعض الوزراء على مختلف الاتجاهات وأن كثيرا من الصحفيين المعارضين ، كانوا على صلات طيبة مع الوزراء الذين يعارضونهم . وكانت جلسات الوزير عبد الحميد عبد الحق مع كتاب الصحف الوفديين والمعارضة غاية فى اللطف والأنس والانبساط ، وكانت لهجته الصعيدية تضفى كثيرا من الطرافة على حديثه معهم . واختلف معهم على معنى كلمة ، فسألهم لديكم عجول « يريد عقول » ؟

فقالوا ومن يؤيدك فى هذا المعنى الذى تذهب إليه ؟ قال : الجاموس « يريد القاموس » . ولم نر فى حياتنا هذه المرارة فى الخصومة الحزبية وخاصة بين كتاب ورؤساء التحرير .

وتمضى أيام الشباب هادئة ، ولعل السبب كما قلت أننى تزوجت مبكرا ، وكانت الخيرة فيما اختاره الله . قد ساعدنى ذلك على كثرة القراءة ، خاصة وأن مكاتب المحامين فى المحاكم الجزئية ما كانت تفتح ليلا ، بل يكتفى بالعمل فيها من الساعة الثامنة صباحا إلى الثانية بعد الظهر تقريبا . وقد ولعت بلعبة الشطرنج ، لكن عدم إقامتى فى شبين القناطر سكنا ، وانتقالى إلى القاهرة شغلنى عن هذه الهواية حتى كدت أنساها .

## أناقة شباب الإخوان

وفى هذه الفترة قرأت من أمهات الكتب ، مالا يتوافر لمثل من كان فى ظروفى ، فهى كتب العلم الإسلامى حقا ، وهى المنبع الذى يجب أن يغترف منه كل من يريد أن يكون على بصيرة من دينه ودنياه . وهى التى أعانتنى على ما أنا بصدده الآن . وإذا كان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، فقد كنت أعنى بظهور هذه النعمة على . إذ كان المكتب يدر من الرزق ما يكفى ويفيض . لقد كان الانسجام كاملا بين لون البدلة والقميص والكرافت والمنديل والجورب والحذاء .

ليعلم الناس أن المسلم يجب أن يكون حسن المظهر ، طيب الوجاهة ، فى كل حلال وبعيد عن الحرام . لم أكن وشباب الإخوان متعصبين . كنا كما قالوا رهبان الليل وفرسان النهار .. رهبان الليل تعبدا وحسن صلة بالله سبحانه وتعالى ، وفرسان النهار شجاعة وإقداما ووجاهة وحرصا على كل ما ينفع المسلم ويضعه وضعه الصحيح فى المجتمعات التى يقيم فيها . كنت اخطب الجمعة حيثما حللت . إن هذه الدنيا لم تخلق لغير المسلمين ، فكنت آخذ نصيبى منها مأكلا وملبسا ومشربا ومسكنا وخادما ومركبا .. لا أحرم نفسى من شىء أحله الله أبدا . ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ . كان معاوية بن أبى سفيان وجيها فى كل شىء . وحدّثه عمر بن الخطاب فى هذا ، فقال له معاوية : إننا نجاور أمما للمظهر فى التعامل معها تأثير كبير ، ومع كل فإن أمرتنى بالإقلاع أقلعت . فقال له أمير المؤمنين التقى الواعى : « لا آمرك ولا أنهاك » .

ومما أعاننى على السعادة فى شبابى أننى كنت « بجبوحا » أحب النكتة البريئة ، والقفشة الرقيقة : متسامحا مع كل من أساء إلى بالقول والعمل وأتركه إلى الله . وما كنت أحب إحراج محدثى ، ولم أكن حريصا على أن أحاصر محدثى وأقنعه أن الحق إلى جانبى ، إذا ما ألفيته متعصبا لرأيه ، ووجدت الكلام قد دخل فى باب اللجاجة الذى لا خير فيه . ومن طبعى الذى فطرت عليه أننى أسمع أكثر مما أتكلم .

يتحدث الناس فى مطلع شبابهم عن طموحهم وتطلعاتهم وقد يقترفون فى سبيل الوصول

إلى ذلك الطموح وتحقيق الأحـــلام ما يتنافى كثيرا مع موازين القيم والشرع ، ولذلك ماكانت هذه الناحية تحظى من تفكيرى بشيء . كنت أقرأ لأعرف من علوم الشريعة ما يعيننى على تصحيح عبادتى . وكنت أتعامل فى مهنتى بأمانة ليكون دخلى من المهنة حلالا ، كنت متسامحا لأنى لا أحب أن يكون بينى وبين أحد قطيعة .

رشحت نفسى مرتين لمجلس النواب ولم أنجح ، لأصدع بكلمة الحق والدعوة الإسلامية فى أعلى هيئة تشريعية فى البلاد . أما أن أكون فقيها أو عالما أو وزيرا ، فما كان شيء من ذلك يشغل بالى على الإطلاق .

ولعلى ذكرت فيما سبق أنه قد عرض على العمل فى النيابة عام ١٩٣٦ م . فرفضت ، كما عرض على العمل فى القضاء فأبيت ، لا استعلاء ولا جحودا بفضلهما ، ولكنه غرامى بالحرية ، وعدم رغبتى فى أى قيد من قيود الوظيفة .. كنت أحترم الناس ولا أخشاهم وأحب أن أتعامل على قدم المساواة مع كل المستويات بلا حرج ،ووجدت كل ذلك فى مهنةالمحاماة لأنها المهنة التى تفتح أمام الانسان الكثير مما لا يتوفر للأطباء أو المهندسين أو غيرهم . فهو يعرف الكثير عن المهن الأخرى بطبيعة عمله واطلاعه على التقارير التى تقدم للمحاكم . إذا انتدبتهم لأمر يدخل فى اختصاص كل منهم ، فيعرف المحامى كيف عولج المريض وما نوع الأدوية التى كتبها له الطبيب ، ووجه الخطأ والصواب فى كل هذا ، ويعرف كيف بنى البيت أو العمارة وما نوعية المواد التى استخدمت فى هذا البناء ، وموافقة التصميم الهندسى للقواعد المقررة فى البناء ، وغير ذلك من أمور الهندسة على أنواعها مدنية أو ميكانيكية أو كهربية أو غير ذلك كما يحيط من تقارير المهندسين الزراعيين بالكثير من الشئون الزراعية وكل هذا يتوفر للمحامى ولا يتوفر لغيره من الجامعيين الآخرين .

زد على ذلك أنها مهنة الدفاع عن الحق ونصرة المظلوم ، وأنها المهنة الرقيقة فليس فيها المباضع والمقصات والجراحة وليس فيها التردد على البنائين ومراقبتهم المستمرة أثناء عملهم وليس فيها الجرى فى الحقول والمراقبة المستمرة فى الفصول الزراعية المختلفة .

هى مهنة العقل الراجح فى إقامة الدليل والبرهان والكشف عن أمور إن لم تظهر فقد يكون فيها تدمير لأسر بأكملها .

كان طموحى يأتينى من خلال قراءاتى فكلما قرأت ازددت علما بأمور كثيرة يجهلها الكثير من الزملاء كان طموحى أن أكون محاميا نظيفاً مهيأً للفوز بعز الدنيا وسعادة الآخرة ، وما عَرَفَتْ القسوة يوما سبيلها إلى خلقى ولا الحرص فى الانتصار على أحد ولذلك كنت لا أرى لى خصوماءاللهم إلا إذا كان ذلك فى الدفاع عن حق أو الدعوة إلى العمل بكتاب الله ، على أن الخصومة من جانبهم لا من جانبى أنا .

لقد بدأت رجولتى الحقة بدءا فعليا منذ أن سرت فى ركب دعوة الإخوان المسلمين .. يوم

أن عرفت أن دينى يطالبنى بالعمل على نشره ونصرته ، مهما لاقيت من متاعب وصعاب . يوم أن عرفت أن القرآن ليس بَرَكَةً فحسب يوضع فى الجيوب أو يعلق فى الحجرات أو يوضع فى السيارات ، إنه كل هذا وأكبر من هذا،إنه عقيدة وسياسة واقتصاد واجتماع وأخلاق وحرب وسلم وبيع وشراء وزراعة وتجارة وطب ، وكل شىء يمكن أن يزاوله الإنسان فى الحياة الدنيا ضمانا للسعادة فى الدار الآخرة ، إنه النظام الشامل الذى سعدت به الأمة الإسلامية ما تمسكت بيمينه، سعدت الأمة الإسلامية بالعزة والحرية والكرامة ، وكانت الدنيا بأسرها تصغى واعية لكل كلمة تخرج من فم أمير المؤمنين . فلما انصرفت الشعوب الإسلامية عن تعاليم دينها ، وهان عليها أمر الخلافة الإسلامية وفقدت المتعة الروحية بلقب أمير المؤمنين ، لما انغمرت فيما انزلقت إليه من تقاليد الغير والانصياع له والسير فى ركابه ، وصلنا إلى ما وصلنا إليه حتى أصبح يقضى فى أمورنا من وراء أقفيتنا .

ويقضى الأمر حين تغيب تيم
ولا يستأذنون وهم شهود

ولن نستعيد ما ضينا إلا إذا عدنا إلى تعاليم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين من بعده وإجماع فقهاء المسلمين . وهذا ما وجدته فى دعوة الإخوان المسلمين .

## قصة انضمامى للإخوان

كانت صلتى بالإخوان المسلمين ، وعلاقتى بالإمام الشهيد قصة طريفة دلت بدايتها على منتهاها .

أول ما اتخذت لى مكتبا فى شبين القناطر ، كنت أقيم فى عزبة التلمسانى ، وهى على بعد أحد عشر كيلو مترا من شبين القناطر، والانتقال بينهما بالقطار والأتوبيس .

كنت أهوى تربية الدواجن من دجاج إلى حمام إلى أرانب . وكان أمام السلاملك الذى أعيش فيه حديقة زهور تقرب من القيراط مساحة . ومن خلفها الحوش الذى أربى فيه هذه الدواجن .

وفى يوم جمعة من أوائل العام ١٩٣٣ .. كنت أجلس فى حديقة الزهور فجاءنى خفير العزبة يقول :

« فيه اتنين أفندية عايزين يقابلوك » فصرفت حرمى وأولادى وأذنت لهما بالمجىء .. وجاء شابان أحدهما عزت محمد حسن وكان معاون سلخانة بشبين القناطر ، والآخر محمد عبد العال وكان ناظر محطة قطار الدلتا فى محاجر أبى زعبل . ومضت فترة فى الترحيب وشرب

القهوة والشاى . وثمة فترة صمت قطعها معاون السلخانة قائلا :

ماذا تفعل هنا ؟ فأثارنى السؤال واعتبرته تدخلا فيما لا يعنيه . فقلت ساخرا : أربى كتاكيت !

ولم تؤثر إجابتى الساخرة على أعصابه ، بل ظل كما هو موجها أسئلته قال :

هناك شيء أهم من الكتاكيت فى حاجة إلى التربية من أمثالك . وقلت ومازلت غير جاد فى الإجابة : وما ذلك الشيء الذى هو فى حاجة إلى تربيتى ؟ قال : المسلمون الذين بعدوا عن دينهم ، فتدهور سلطانهم حتى فى بلادهم ، وأصبحوا لا شيء وسط الأمم .

قلت وما شأنى بذلك ؟ هناك الحكومات والأزهر الشريف بعلمائه يتولون هذه المهمة .

قال : إن الشعوب الإسلامية لاتكاد يُحَسُّ بوجودها . هل يرضيك أن تدعى هيئة كبار العلماء ليلة القدر من كل رمضان للإفطار إلى مائدة المندوب السامى البريطانى ، وإلى جانب كل شيخ سيدة إنجليزية فى أبهى زينتها ؟

قلت : طبعا لايرضينى ولكن ماذا أفعل ؟

قال : إنك لست اليوم بمفردك ، فهناك فى القاهرة هيئة إسلامية شاملة اسمها جماعة الإخوان المسلمين ، ويرأسها مدرس ابتدائى اسمه « حسن البنا » . وسوف نحدد لك موعدا لتقابله وتتعرف إلى مايدعو إليه ويريد تحقيقه . وشبت العاطفة الدينية الكامنة فى دخيلة نفسى فملت إلى الرضا ووافقت على مقابلة الرجل ، وانصرفا بغير ما استقبلا به .

وعلمت منهما قبل أن ينصرفا أنهما يؤديان مهمة فى كل يوم جمعة بعد صلاة الفجر ، يجوبان القرى والعزب التابعة لمركز شبين القناطر يبحثان عن رجل يصلى ويصوم ويؤدى فرائضه ، فيتعرفان إليه ويعرضان الدعوة فإن قبل ، اعتبراه نواة لشعبة فى موقعه . وكان فى كل مركز من مراكز القطر من يقوم بمثل مهمتهما من الإخوان المسلمين .

وبعد أيام حضرا إلى فى مكتبى وأخبرانى بأنهما حددا لى موعدا مع فضيلة المرشد العام ، وكان يسكن فى حارة عبد الله بك فى شارع اليكنية فى حى الخيامية وفى الموعد المحدد طرقت باب الرجل

* * *

# الحلقة الرابعة

- التنظيم السرى للإخوان أنشىء لمحاربة إسرائيل وليس لاغتيال الوزراء .
- عملت وزيراً لمالية الإخوان وكانت الخزانة عامرة بالإيمان !
- أحد رؤساء وزارات عهد السادات حاول رشوتى فأمرته بالسكوت .
- البيعة كانت لله وليس لحسن البنا أو للهضيبى .

« أخرج محفظته الجلدية ، وامتدت أصابعه فى ثنياتها ، لتخرج ممسكة بوريقة صفراء بالية ، عليها نصف جملة كتبها الإمام الشهيد « حسن البنا » بخط يده ، يحتفظ بها وكأنها تميمة بجوار قلبه ، وارتعش الكلام فى شفتيه وهو يقول : « هذا هو الأثر الوحيد الذى أفلت من ( أيديهم ) لخط يد الإمام الشهيد عندى » ..

نصف جملة على وريقة صفراء يحملها الرجل ابن الثمانين ، وكأنه عاشق يتفانى فى الحرص على الخطاب الوحيد لمحبوبة رحلت ، وتركته مشبوبا فى صبابته ..

يقول « عمر التلمسانى » وهو يبسط الوريقة على راحته : كنا فى اجتماع بأحد البلاد ، وامتد بنا السهر حتى ساعة متأخرة من الليل فكتبت له ورقة استأذنه فى الانصراف حتى لا أتأخر أكثر من ذلك على الناس الذين أنزل ضيفا عليهم .. فكتب له بخط يده على الورقة « ومن أدراك أن اجتماعنا سينفض قبل أن يستقيظ هؤلاء الناس من نومهم » .. وبليت الورقة فضاع منى النصف الأخير من الجملة ! »

كيف التقى الرجلان ، فدخل كل منهما قلب الآخر ؟

وكيف تمت البيعة ، واستمرت المسيرة جهاداً وإخلاصا وتضحية ؟ .. ولماذا أنشىء التنظيم السرى للإخوان المسلمين ؟ ..

**فى هذه الحلقة يتعرض الاستاذ « عمر التلمسانى » ـــ المرشد العام للإخوان المسلمين ـــ للذكريات لقائه الأول بسلفه الإمام الشهيد « حسن البنا » فى بيته المتواضع فى الخيامية ، فى القاهرة الفاطمية فيقول :**

فتحت سقاطة الباب ، ودفعته ، ودخلت إلى حوش المنزل ، وصفقت فرد على صوت رجل يقول : من ؟ قلت : عمر التلمسانى المحامى من شبين القناطر . فنزل الرجل وفتح باب غرفة على يمين الداخل من الباب الخارجى ودخلتها من ورائه ، وكانت مظلمة ، لم أتبين ما فيها ، ولما فتح النافذة الوحيدة فى الحجرة المطلة على الطريق ، تبينت أن فى الغُرفة مكتبا صغيرا غاية فى التواضع ، وبعض الكراسى من القش ، يعلوها شىء من التراب .. وجلس إلى المكتب ، وقدم لى كرسيا لأجلس . وعز على أن أجلس على مثل ذلك الكرسى بالبدلة الأنيقة فأخرجت منديلا من جيبى وفرشته على الكرسى لكى أستطيع الجلوس هادئا فى غير تضجر ولا قلق . وكان ينظر إلى ما أفعل . وعلى فمه ابتسامة واهنة ظننتها تتعجب مما أفعل ومما أدعى إليه . وشتان ما بين رجل يحافظ على أناقته ، ورجل على وشك أن يدعى للعمل والجهاد فى سبيل الله . وحق له أن يتعجب إذ أن مظهرى كان يدل على الرفاهية التامة وعدم تحمل مشاق العمل فى سبيل الله ، الأمر الذى يحتاج إلى الكثير من خشونة العيش مع عدم الانغماس فى بلهنية الحياة ، وشىء من التجرد .. ورغم هذا المظهر الذى لا يطمئن كثيرا ، فقد مضى الرجل يتحدث عن الدعوة وأن أول مطلب لها وآخره هو المطالبة بتطبيق شرع الله ، وتوعية الشعب ، وتنبيهه إلى هذه الحقيقة التى لن يتحقق الخير إلا عن طريقها . ومن عجب أن يفترى بعض الناس على الإخوان بناءهم رسالتهم بالأمور الدينية ؛ فلما اشتغلوا بالسياسة بدأ الصدام بالأوضاع القائمة ، فأمعن خصوم الإخوان وقسوا فى حرب الإخوان ، الذين لم يقصدوا بأحد شراً أو إساءة ، لأن الإخوان يؤمنون بأن التحول عن القوانين الوضعية إلى القوانين الإسلامية لابد أن يأخذ طريقه المشروع دون عنف أو إرهاب .

## بداية العمل السرى

أما « النظام السرى » كما يسمونه ، وقد سبق الحديث عنه ، فلم يقم لقلب نظام الحكم بالقوة أو قتل الوزراء ، ولكن الإمام كان قد رأى بثاقب نظره ، وحسن بصيرته أن من العار على كل مسلم فى أية بقعة من بقاع العالم أن تقوم دولة لإسرائيل على أرض إسلامية ، دون أن تجد من يقاومها ، ويدفع هذا الخزى عن المسلمين ، كما رأى أنّ من المحتوم على المسلمين أن يعدوا شبابا يقوم بإخراج الانجليز من مصر ، باعتبارها منارة العالم الإسلامى كله . لهذا أقام هذا التشكيل المسمى بالنظام ، لدفع الأخطار التى تحيط بمصر ، وللأسف الشديد والحزن المرير ، أن الصليبية والشيوعية والصهيونية أدركت حقيقة هذا التشكيل وخطره عليها ،

فتسللت إلى أذهان حكام البلاد الإسلامية بأساليبها الخسيسة الخبيثة ، توسوس لهم بأن هذا التشكيل خطير عليهم ، وأنه سيحد من سلطانهم إن لم يذهب به ، وصدّق الحكام هذه الدسائس ، فكانوا البادئين بالتنكيل بالإخوان المسلمين ، وأعداءُ الإسلام يمدونهم بالتقارير المزيفة المختلقة ليزيدوا النار اشتعالا ، وقد ساعد على ذلك بعض الأخطاء التى وقع فيها بعض الشباب من أعضاء النظام مثل قتل المستشار الخازندار فقد أساء بعض الشباب الفهم فى تصرف قانونى سليم ، ولكن لجهلهم بالقانون اقترفوا جريمتهم دون وعى ، الأمر الذى أزعج المرشد كثيرا وأحزنه ، وأوقعه فى الحرج . وحقيقة هذا الحادث أن بعض الشباب المسلم كان يتعقب ضباط الجيش الإنجليزى للتخلص منهم سعيا وراء تحرير بلدهم المسلم من حكم صليبى . وقبض على بعض هؤلاء الشباب ، وحكم عليهم من المستشار الخازندار — رحمه الله — بعشر سنوات .

فى تلك الأيام نفسها عثر على شابين مقتولين فى حديقة « انطونيادس » فى الاسكندرية ولم يعثر للفاعل على أثر ، فتقيد الحادث ضد مجهول . ثم وجد ثالث بين الحياة والموت ، وأمكن إغاثته فشفى وقال إن مقاولا ثريا صحبه إلى تلك الحديقة بعد منتصف الليل ، وقضيا وقتا معا ، ثم شرع فى قتله ، ولم يتركه إلا بعد أن ظن أنه فارق الحياة .

فقبض على هذا المقاول — الذى كان يدعى قناوى — وحوكم ولم يثبت عليه ارتكاب الجريمة الأولى لعدم ثبوت الأدلة ، وثبتت قضية الشروع فى قتل الشاب الثالث ويحكم على قناوى بالحبس ثمانية أعوام بالأشغال الشاقة .

وقد قارن الشباب المسلم بين الحكمين ، وبين الهدف منهما ، فظن مخطئو الظنون بالسيد المستشار ، وأقدموا على قتله دون علم من قيادة الإخوان بما جرى ، وقد فوجئت به القيادة الإخوانية ، كما فوجىء به الناس فى الصحف .

وقد جعل أعداء الدعوة هذا الحادث وسيلة للإيقاع بجماعة الإخوان كلها ، وأثاروا على الإخوان حربا شعواء .

وأفاض فضيلة الإمام الشهيد « حسن البنا » — فى لقائنا الأول — فى أهداف الدعوة ووسائلها المشروعة ، وكان يتكلم فى صدق المخلصين ، وأسى المحزونين على ما يصيب المسلمين فى كل أنحاء الأرض . والطعنة التى أصابت المسلمين بالقضاء على الخلافة ، وأنه إذا كان بعض الخلفاء قد أساءوا أو انحرفوا ، فليس معنى ذلك أن الخلافة هى التى أساءت أو انحرفت ، وهذا الأمر لا يجهله إنسان منصف . فالنظرية شىء والتطبيق شىء آخر .

ولو كان الأمر على ما يصوره المغرضون لكان الإسلام أسوأ دين فى العالم ، لما عليه المسلمون الآن من تفريط فى كل شىء حتى الرجولة والكرامة .

ولكن ما أبعد الشقة بين الإسلام وبين تفريط المسلمين،وقد قال أحد الذين أسلموا : إننى لو رأيت المسلمين قبل أن أقرأ ما قرأت عن عظمة الإسلام لما أقدمت على الإسلام .

## وتمت البيعة

ولما أنهى حديثه الذى لم أقاطعه فيه مرة سألنى : هل اقتنعت ؟ وقبل أن أجيب قال فى حزم : « لاتجب الآن » وأمامك أسبوع تراود نفسك فيه ، فإنى لا أدعوك لنزهة ، ولكنى أعرضك لمشقات ، فإن شرح الله صدرك فتعال فى الأسبوع القادم للبيعة ، وإن تحرجت فيكفينى منك أن تكون صديقا للإخوان المسلمين .

وما كان لمن جلس هذه الجلسة ، وسمع ما سمعت أن يتوانى عن البيعة لحظة ، وعدت فى الموعد ، وبايعت وتوكلت على الله ، وإنها لأكبر سعادة لاقيتها فى حياتى أن أكون من الأخوان المسلمين منذ أكثر من نصف قرن ، وأن ألقى فى سبيلها ما لقيت ، مما أحتسبه عند الله ، وأن يكون خالصا لوجه الله تعالى .

وكم أتمنى أن يعى الشباب المسلم هذا الدرس من هذا الشيخ الذى على أبواب عبور الثمانين من عمره ، ليكون لهم درسا فى الصبر والاحتمال والرضا بما قدر الله ، وعدم التبرم بقضائه وقدره ، وأن يعيننى الله حتى ألقاه وأنا جندى فى هذه الساحة الطاهرة البريئة ، وما زال الأمل فى وجه الله يحدونى والأمل فى صدق موعوده يملأ كل جوانحى حتى لكأنى أراه بعينى أو أمسكه بيدى ، لأن الله جعل العاقبة للمتقين ، وأسأله أن يجعلنى والإخوان المسلمين جميعا من المتقين المستحقين والمؤهلين لنصره ومعونته .

## رفضت أن أكون وكيلا

أذكر أننى بعد مضى سنوات ، عرض على الإمام الشهيد أن أكون وكيلا لجماعة الإخوان المسلمين ، فلم أقبل مقسما له بأنى لست أهلا لهذا المكان . ولا أستطيع أن أملأ فراغه .. وحرام على أن أخدع الإمام بقبول تلك المكانة فى الإخوان المسلمين .

كما عرض على فضيلته أن أتخذ مكتبا فى القاهرة ، فلم أقبل كذلك مبررا رفضى بأنى قد أنجح فى المكتب ، ويدر على دخلا وفيرا فيقول البعض إن الإخوان هم الذين أوجدوا لى كيانا فى عالم المهنة ، وهذا ما تأباه على أخلاقى ونشأتى وتربيتى إذ لا أرضى أن يكون لمخلوق على فضل فى هذه الحياة الدنيا ، أما فضل الله أولا .. ثم فضل المرشد والإخوان ثانيا .. فالله يجزيهم عنى فيه أفضل الجزاء .

هذه قصة اتصالى بالإمام الشهيد « حسن البنا » والإخوان المسلمين . لم يَعِذْنا إمامنا

فيها بالدنيا وإقبالها والورود وازدهارها ، والأزاهير ونعومتها ، ولكنه أوضح أن طريق الدعوة مَليءٌ بالأشواك والمتاعب والصعاب ، فمن يقبل عن بصيرة ولا يلومن أحدا . فلم يخدعه أحد بالمرة .

وهكذا لما قبلوا راضين ، ألف الله بين قلوبهم أجمعين ، حتى تعجب الناس جميعا من قوة الروابط التى تربط بين قلوب الإخوان جميعا ، حتى قال قائلهم : لو عطس أحد الإخوان فى الإسكندرية لشمته الذين فى أسوان ، وأقول لو تمنى أحد الإخوان فى أوروبا أمنية لحققها له أخ فى كندا ، مادام ذلك فى حيز الإمكان ، وما دام الأمر لم يكن فيه ما يغضب الله .. الله الذى التقى الإخوان عليه ، يتحابون فيه ، ويتباغضون .. ولا دخل للإمام الشهيد ولا لخليفته — الأستاذ الهضيبى — فى هذه المعانى .

إننا لم نلتق على « البنا » أو « الهضيبى » إنما التقينا على الله . ولم نبايع حسن البنا أو حسن الهضيبى ، لكننا بايعنا الله ، حتى الذين بايعوا سيدنا محمدا نبى هذه الأمة ، وأحب خلق الله إليه ، وكل من وضع يده فى يده ، إنما كان يبايع الله جَلَّ وعلا ، بدليل قوله تعالى ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم** ﴾ وما دمنا كمسلمين نؤمن بكل آية فى كتابه الكريم .. فليكف الذين يزعمون أن الإخوان يقدسون « حسن البنا » إننا لم نقدس أحدا لأن الله هو الملك القدوس ، ولكننا أحببنا « حسن البنا » وخليفته حبا ملك علينا كل جوانحنا ، لأنهما هما اللذان فتحا أعيننا على هذا النور ، وقادانا إلى هذه العقيدة فى دقة وتوضيح .. فكيف لا نحبهما لله وفى الله فى غير ما تقديس أو ما يشبه التقديس ؟

هكذا عرفت المرشد الأول ، وهكذا عشت معه مريدا أو تلميذا أو متلقيا ومحبا . وإن كان ما بى للإخوان من نعمة فمن الله حقا وصدقا ، إلا أن الإمام هو الذى أخذ بأيدينا إلى تلك القمة وأجلسنا إلى المائدة فى وقت كان فيه المسلمون أضيع من الأيتام على موائد اللئام . ولئن فات هذا الفضل من كان يجب أن يكون أهله ودعاته ، إلا أن ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ و ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ﴾ .

## وزير مالية الإخوان

لقد ربانا الإمام الشهيد على الزهد فى الدنيا وعدم التعلق بزخرفها ومغرياتها ، لأن ما عند الله خير وأبقى . ولذلك لم يكن لدى الإخوان من الموارد المالية إلا ما يجود به هم أنفسهم كل على قدر طاقته . وكنت أعلم أن المساهمة فى هذه تبدأ من القروش الخمسة إلى الجنيهات الخمسة شهريا ، اللهم إلا من بسط الله له فى الرزق . فزاد على ذلك بما يوفقه الله إليه .

وظللت فترة « وزير مالية الإخوان » وما كان أسعدنى فى يوم أن أجد فى هذه الخزانة مائة

وخمسين قرشا ، فقد كنت وقتها أرى أننا من الأثرياء،إذ أن هذا المبلغ هو الفائض عن كل حاجات الخير .

وفقر بغير دين هو الغنى الكامل . كذلك ما كنت أسمح لأحد باستعمال التليفون إلا إذا دفع ( ثلاثة تعريفة ) .

وكان الداعية إذا ذهب إلى لقاء أخوانى ليتحدث فى الدعوة ، أعطيه ( ثلاثة تعريفة ) .. منها ستة مليمات للذهاب ، ومثلها للعودة ، وثلاثة مليمات يشترى بها ما يروقه من الترمس والفول السودانى واللب الأسمر والأبيض . كنا حينذاك أسعد أهل الأرض حبا ومودة ورضاء ، لايشغلنا إلا دفع الدعوة للأمام . وكان عملى فى دار الإخوان يبدأ من بعد صلاة العصر إلى مابعد صلاة العشاء ، وبدون مقابل طبعا .

وبهذه المناسبة ، فالكثير من الناس يظنون أن المال هو كل شىء ، وإن كنت لا أنكر أن فى هذا القول الكثير من الحق،خاصة بعد أن قرأت لرسول الله ﷺ ( نعم المال الصالح فى يد الرجل الصالح ) ، وقوله : ( لأن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس ) ولكنى أعلم فى الوقت نفسه أن الرجل هو الذى يأتى بالمال ، وليس المال هو الذى يأتى بالرجال .

وإذا ضاع المال فمن المحتمل أن يستعيد الرجل مركزه المالى ، ولكن إذا ضاع الرجل فمن الذى يأتى بالمال ، ولذلك أمرنا أن نطلب قضاء الحاجات بعزة الأنفس . إذ استساغ بعض الناس أن يأخذوا أى مال مقابل أى عمل ، حتى ولو كان هذا العمل مما لا يجوز فى عرف النفوس المؤمنة الكريمة ، أن يؤخذ عليه مقابل ، مادام العامل فى غنى عن هذا المقابل . إذا استساغ بعض الناس هذا ، تخفيفا لدفع المؤاخذة عن نفسه ، فقد يظن أن كل الناس على غراره .

ولكن الله حمى الإخوان من الوقوع فى هذا الحرج ، ضنا بدعوته أن تكون موضع المساومة . وإنى هنا أتحدث عن نفسى وإن كنت اعتقد فى الوقت نفسه أن الإخوان على هذا المستوى الرفيع ، مستوى الدعوة إلى الله ابتغاء وجهه .

## محاولة لرشوتى

قابلت أحد رؤساء الوزارات المصرية ــ ولا يزال حيا ــ لعمل خاص بالإخوان فى زمن السادات ، وبعد أن تبادلنا الحديث ، إذا به يعرج على الناحية المالية ، ويفاجئنى قائلا بأن الدولة تدعم كل الصحف والمجلات المصرية ، ومجلة الدعوة كمجلة إسلامية أحق المجلات بهذا الدعم ، وأدركت ما يهدف إليه الرجل ، فتملكت أعصابى وأجبته فى لغة عامية دارجة

( ياشيخ .. سايق عليك النبى ماتكلمنيش فى هذه الناحية ) وانتهت المقابلة وانصرفت .

وذات مرة دعتنى إحدى المجلات الدينية التى لاتزال تصدر حتى اليوم ، إلى ندوة دينية تعقد فى دارها .. وحضرت وأثناء الحوار بالندوة ذهبت إلى دورة المياه ، وعند خروجى من الدورة وجدت أحد موظفى المجلة يقدم لى ورقة ، ويطلب منى التوقيع عليها . قلت : ما هذا ولماذا ؟ قال : هذا مقابل حضورك الندوة . قلت : لو كنت أعلم أن الدعوة إلى الله تدفعون لها مقابل لما حضرت .

قال : مصاريف الركوب والانتقال .. قلت : عندى سيارة أعدها الإخوان لمثل هذه الأمور : قال : ولكنهم جميعا يأخذون : قلت : إننى لست من هذا ( الجميع ) أنا رجل على باب الله ، وانصرفت طبعا دون قبض أو توقيع. ومرة كنت أؤدى فريضة الحج وفى ( جده ) قابلنى الأخ ( م . ص ) وما يزال حيا أطال الله فى حياته وقال : إن كبيرا يريد مقابلتى ليس من الأسرة السعودية وإن كان له بها صلة فرحبت مؤملا فى خير للدعوة ، وتحدد الميعاد وذهبت قبل الميعاد بخمس دقائق وهى عادتى فى كل مواعيدى لابد من الذهاب إلى الموعد متقدما خمس دقائق على الأقل وحل الميعاد واستدعى الكبير سكرتيره ودعانى للدخول فوجدت أحد أبناء المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود موجودا معه ، ولم يتحرك الرجل من مكانه حتى وصلت إليه أمام كرسيه فوقف ولعله فعل ذلك محرجا وسلم وقد كنت ألبس شبشبا وجلبابا أبيض غير وجيه .

وجلس الكبير يتحدث عن الدعوة الإسلامية ثم عرج على مجلة الدعوة وكانت لم تصدر بعد وقال : إنه يريد تدعيمها، فأدركت هدفه وقلت له مقاطعا : سيادتكم طلبتم مقابلتى كداعية لا كَجَابٍ ، ولو كنت أعلم أنك ستتحدث معى فى مسألة نقود كنت اعتذرت عن المقابلة ، ولذلك أرجو أن تسمح لى سيادتكم بالانصراف ، فتلقى الرجل هذه الغضبة فى هدوء . وقال : إنى لم أقصد ما ذهبت إليه ، ولكنى كمسلم أردت تدعيم عمل إسلامى. وصدق رسول الله ﷺ عندما قال ما معناه : ( واستغن عمن شئت تكن أميره ) .

ولما انتهت المقابلة خرج والكبير الآخر معى حتى أوصلانى إلى باب المصعد ولما ينصرفا إلا بعد أن أخذ المصعد فى النزول .

وأذكر كذلك مرة أننى ذهبت إلى أحد بلاد المنطقة العربية بمناسبة افتتاح موسم ثقافى، وبعد ما تحدثت فى حوالى عشرة أمكنة جاءنى أحد الرسميين ومعه ظرف به خمسة وعشرون ألف درهم . فقلت : ما هذا ؟ وظن الرجل أننى استصغر المبلغ . فقال : إن غيرك يأخذ نصف هذا المبلغ . فقلت له : إنك فى واد وأنا فى واد آخر ، أنا لا آخذ أجرا على كلمة ألقيها فى سبيل الله، وإن كان لابد من دفع هذا المبلغ فضعه فى بنك من البنوك لحساب مجاهدى أفغانستان الأبرار .

وطلبت بعض الصحف أن أكتب فيها متواصلا بأجر ، فرفضت لأنى لست صحفيا أولا .. وسواء أكنت مصيبا أو مخطئا ، فإنه أفضل دائما أن يكون كلام الدعاة بلا مقابل ، فذلك أدعى لاحترامهم وأدعى أن يكون الكلام يبتغى به وجه الله ، والله من وراء النية والقصد .

لقد كان لدروس الثلاثاء التى كان يلقيها الإمام الشهيد أثر بالغ فى تربية الرجال والشباب ، الذين كانوا يزحفون على المركز العام بالحلمية الجديدة قبل مغرب كل ثلاثاء زرافات ووحدانا ، لا من القاهرة وحدها ، ولكن من المديريات القريبة والبعيدة ، كانوا يقبلون على المركز العام بوجوه مستبشرة ، وقلوب منشرحه ، ورغبة متلهفة ، وكان الإمام رضوان الله عليه يصلى بهم المغرب جماعة ، ثم يبدأ الحديث فى حوش المركز العام ، حيث الآلاف لا المئات من المستمعين الذين تعج بهم الدار من كل جنباتها وشرفاتها وما حولها ، وكأنما الناس فى مهرجان تحفه الملائكة وتغشاه الرحمة ، وتحيط به السكينة ، لاشوشرة ولا ضوضاء ، والكل متعلق ذهنا وقلبا وعينا بلؤلؤ النصائح وجواهر التوقيت ، وكأنهم كانوا ينتظرون « حسن البنا » من المهد أو من قبل عشرات السنين .

أو كأنما وجدوا ضالة حفيت أقدامهم فى البحث عنها والجرى وراءها . وكلت جهودهم حتى ساقها الله إليهم فى صورة إنسان اسمه حسن البنا ، المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين ويظل الدر يتحدر من بين شفتيه إلى أن يؤذن لصلاة العشاء ، فيصمت الشهيد حتى ينتهى المؤذن ، ثم يواصل محاضرته التى كان يتمنى الكل ألا تنتهى حتى صلاة الفجر ..

وقد أحس بخطر هذه الحركة النامية أعداء الإسلام خارج مصر ، قبل أن يحس بها كارهو المد الإسلامى فى كل مكان ، فبدأت المكائد والمؤامرات التى أثرت فعلا على مواصلة المسيرة وبطء أثرها . وإن لم تؤثر على حيويتها وبقائها .. فقد كان الإخوان يلقون دروس الثلاثاء داخل السجون ، وفشلت كل المحاولات التى بذلت لصرفهم عنها ، وكأنها ميراث يتلقاه جيل عن جيل ، كابر عن كابر ، مجاهد عن مجاهد ، صابر عن صابر ، ولله عاقبة الأمور .

وقد بدأت صورة دروس الثلاثاء بدءا متواضعا جدا ، فكان مريدو الإمام الشهيد ومحبوه يذهبون إلى منزله بالسبتية ، بعد محطة السكة الحديد بقليل ، وكانوا فى حدود العشرات ، وكنا نجلس على حصيرة بيضاء فى صالة واسعة ، شأن غرف المنازل القديمة . وكان الشاى يقدم إلينا فى فناجين صغيرة جدا ، ملؤها رشفات قليلة لا عن بخل أو شح ، فما كان البخل يعرف طريقه إلى جيب الأستاذ أو يده سبيلا ، وإنما كانت حدود الإمكانيات هكذا ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

ولو آنك رأيت الإمام الشهيد تلك الأيام : عشرات على حصيرة ، ثم هو على المنصة فى المركز العام بالحلمية ، يحاضر المئات بل الألوف ، لعجبت غاية العجب أن « حسن البنا » الذى لم يكن يعرفه أحد فى الثلاثينات إلا القليل ، هو هو « حسن البنا » الذى أصبح ملء السمع والبصر والسهل والجبل فى الأربعينات والخمسينات تواضعا وأدبا وعزوفا عن الأضواء وبعدا عن الشهرة .

## مسافر درجة ثالثة

كان الإمام يدعونى إلى السفر معه فى بعض رحلاته داخل القطر ، ويسألنى هل السفر على حسابك أو على حسابنا ؟ فإن كنت ( متريشا ) من أتعاب قضية دسمة الأتعاب . قلت : السفر على حسابك . وأقطع لهم تذاكر فى الدرجة الثانية حيث تعودت السفر والانتقال أما إذا كنت ( مفرقع ) الجيب ، قلت : السفر على حسابكم . فكان يقطع التذاكر فى الدرجة الثالثة ، فكنت أجلس ورأسى إلى الأرض حتى لايرانى أحد من معارفى. وأنا أركب الدرجة الثالثة ، التى كنت آنف ركوبها . وكان الأستاذ يبتسم لمنظرى الخجل ، حتى إذا ما طالت عشرتى للإخوان أصبح ركوب الدرجة الثالثة عندى كركوب الأولى الممتازة دون حساسية أو تحرج .

كنت أحس بأننى قريب من قلب الإمام الشهيد . فما اختلفت يوما مع أخ ، أو رفعت إليه شكوى من أحد ، أو حملته شيئا من متاعبى الخاصة أو العامة ، وما تأخرت مرة واحدة عن تنفيذ أمر أصدره إلى ، مهما كبدنى التنفيذ من متاعب ، أو كلفنى من ماديات .

لم يكن فى الإخوان محام قبلى ، فكنت الوكيل الأصلى فى كل القضايا العامة للإخوان أو التحقيق فيها سواء كانت فى القاهرة أو خارجها ، كانت كل معرفتى بمصر لا تعدو شبين القناطر والقاهرة أو المحاكم التى يكون للإخوان فيها قضايا .. فلما التحقت بالإخوان جبت القطر كله ، إما مع فضيلة الإمام الشهيد وإما نيابة عنه .

* * *

# الحلقة الخامسة

- مواجهة بين حسن البنا وطه حسين فى جامعة القاهرة .
- الإخوان يقبلون باليهود كأقلية وليس كحكام لفلسطين .
- وضع الإعلام الحالى لايبشر بأجيال تغار على عقيدتها وكرامتها .

كان المرشد العام الأول « حسن البنا » زعامة عبقرية لدعوة إصلاحية ، أرادت أن توقظ الشرق والمسلمين .. دعوة هزت الأمة هزاً ، لينهار كل زائف ودخيل على حضارتنا وقيمنا الإسلامية .

﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ﴾ أرادها صحوة ضد التغريب والهوان والاستسلام ، تعيد للإسلام مجده وقوته اللذين غابا منذ زمان الخلفاء الراشدين .

كان يدرك جسامة المهمة التى نذر نفسه لها ، الطريق إلى شرع الله يبدأ بإعادة تربية الأمة ، وتطهير النفس والعقل من احتلال القيم الدخيلة وتحرير النفس والعقل هما الطريق إلى تحرير الأرض . كان يدرك أن غيبة الإيمان من قلوب الناس ، هو بيت الداء الذى أتاح للفساد والضعف والهوان أن يستشرى فى جسد الأمة وكان يدرك أنه لو كان فظا غليظ القلب لانفضوا من حوله .

كان « حسن البنا » كما عرفه مريدوه روحا نقية ، وقلبا رقيقا شفافا ، لكنه كان أيضا عقلا عبقرياً أتاح له الله قدرة الفهم الصحيح والتحليل العلمى والاستشراف للمستقبل،ومن هنا تبلورت شخصيته الزعامية ، وحضوره الإنسانى كقدوة . لقد أتى للناس بقطرات الندى الإيمانى ، وفى وقت التهبت فيه الحلوق من الظمأ للعدل والمحبة ونور الإيمان .

فى هذه الحلقة يواصل الأستاذ المرشد عمر التلمسانى الإدلاء بشهادته حول عمر عاشه فى أتون الدعوة وهو هنا يواصل استشراف ذكرياته مع الإمام الشهيد « حسن البنا » .. فيقول :

كان هذا الرجل يهتم بأبسط عادات مريديه ، ليكفل لهم الراحة وما ألفوه فى حياتهم ، فتزداد صلتهم به قوة ، وحبهم له عمقا . لن تجد أحداً عاشر المرشد ثم لايذكر رقته وملاحبته فى هذه النواحى .

ذهبت معه مرة إلى طنطا بدعوة من أحد وجهائها لافتتاح مسجد . وبعد الحفل والكلمات التى ألقيت ، ذهب الإخوان إلى المسجد للمبيت فيه وانتحى فضيلته بالداعى ، فأخذنى أنا وأثنين من الإخوان إلى دار الباشا ، حيث أدخلنا غرفة نوم غاية فى الفخامة فى التأثيث . فإذا بى أفاجأ بأحد الأخوين يحوقل . قلت : ما بك ؟ قال : هذه الرياش والأموال التى أنفقت فيها ، أما كان الأجدر أن تنفق فى سبيل الله ؟ قلت : يا أخى رحمنى ورحمك الله ، ما الذى جاء بى وبك إلى هذا المكان . قال : الدعوة إلى الله . قلت : ألا ترى بر الله ورحمته بك فى هذه الرحلة إذ هيأ لك مثل هذه الغرفة التى ننام فيها ، ولعل أحدنا لم يحظ بالمبيت فى مثل هذه ( النغنغة ) ، ألا ترى أن الأمر يستحق الحمد لله بدلا من الحوقلة ؟

## خيال المآته

وفى الصباح ذهبنا جميعا إلى محطة طنطا لنأخذ القطار إلى القاهرة ، وصلينا الفجر على رصيف المحطة ، ورذاذ المطر الخفيف يداعب وجوهنا وملابسنا . ووصلنا القاهرة وذهب كل منا إلى منزله ليستكمل راحته ، وذهب هو وحده رضوان الله عليه إلى مدرسة أم عباس فى السبتية ليلقى دروس الحصة الأولى التى كانت بجدول حصصه فى ذلك اليوم . أرأيت كيف يجمع للمخلصين بين كثرة الأعمال وضيق الأوقات . كيف يجمع بينهما ، ومن يتوكل على الله حق توكله فهو حسبه . ألا إن فضل الله كبير عظيم . وتمر الأيام ، ويصل أحد الأخوين اللذين كانا معى فى طنطا إلى منصب كبير ، وتنتابه وعكة ، فذهبت لأعوده ، ودخلت غرفة نومه ، فإذا بها فخمة حقا ، والبطاطين من أغلى الأنواع .. ونظرت إليه قائلا : عافاك الله .. فى رنة لها معناها : وأدرك الرجل معنى النظرة ورنة النغمة فعاجلنى : « اسكت يا أستاذ عمر » لقد أدرك الرجل بذكائه ما أهدف إليه ..

وعادت به الذكريات إلى أيام طنطا وافتتاح المسجد فيها ، والغرفة ذات الرياش الفاخر الثمين . أرأيت كيف يفعل الله بالناس ؟ يجعل من يشاء منتجا ، ويجعل من يشاء عقيما ويثبت من يشاء بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة مع كل الناس ، وفى كل الظروف

والمناسبات ، ويجعل بعض الناس كخيالات « المآته » تدور مع الريح حيث تدور ، بل إذا تمكن وبأسرع من هبوب الريح « اللهم ثبتنا على الحق » وأعنا على تحمل كل ما نلقاه مما يرضيك فى طريقنا إليك ، فليس لنا من أمنية إلا أن نلقاك . وأنت راض عنا كل الرضا .

هذا الرجل ما كان اليأس يعرف إلى نفسه سبيلا أبدا ، وكانت آماله أوسع من الدنيا وما فيها . يستخرج من اليأس أملا ، ويأتى من الضيق بالفرج ، لأنه كان موهوبا . وكان قلبه متعلقا برب السموات والأرض والملك والملكوت . وكانت قوته واحتماله أقوى من الفولاذ الصافى النقى ، إن مدده كان من قدير على كل شيء بلا استثناء ، ولقد كان لكل قاعدة استثناء ، فإن ﴿ الله على كل شيء قدير ﴾ قاعدة بلا استثناء على الإطلاق .

## درس فى القيادة

وذهبت معه مرة إلى مدينة طوخ ، إحدى مدن مديرية القليوبية وكان الحفل حاشدا وبهيجا ، والأصوات عالية والهتافات مدوية ، وكل شيء على ما يرام . وانتهى الحفل وعدنا إلى القاهرة فى الليلة نفسها ، وفى الطريق سألنى فضيلته : ما رأيك فى الحفل ؟

قلت : إن الصخب الشديد ، والأصوات العالية المدوية لاتطمئننى كثيرا كالطبل يدوى إذا ما طرقته ، فإذا نظرت داخله رأيته أجوف ، لا شيء فيه . قال : اسمع نحن على قدم رسول الله ﷺ ، كان يعرض نفسه على الناس فى الأسواق . فلا يلقى إلا السخرية والإيذاء ، فهلا نصبر على بطء الاستجابة . إننا لو خرجنا من هذه الآلاف بواحد فقط ، فذلك خير لنا من الدنيا وما فيها . هكذا كان يزرع الأمل فى قلوبنا ، وهكذا كان يصبرنا على احتمال كل ما نلقاه فى سبيل الدعوة .

لا يعلمنا ذلك فى مكتبه أو محاضراته ، أو نظريا أو فلسفيا ولكن يعلمنا الثبات والتثبت والصمود عمليا ، فى تنقلاتنا معه فى القرى والدساكر والكفور . أقدامنا تغوص فى الرمل والزلط والأرض الرطبة ، ومناديلنا تكاد تعصر من العرق الذى نجففه من طول ما نمشى . كنا نبيت مع الإخوان على الحصير فى المساجد أو فى الأجران ـــ إن تعثر المبيت فى المسجد أو المضيفة ـــ الأكل أقله وأخشنه . كان الوفاء بالبيعة يلزمنا بالنزول عند رغبة من بايعناه فى غير معصية .

وإليك مثلا من أمثلة الخلق الرقيق والتربية العملية الواقعية ، ذهبت معه يوما إلى المنزلة ، وبعد الحفل صعدنا إلى الطابق الثانى فى منزل لنأخذ قسطا من الراحة ، إن كان فى تلك

الرحلات راحة مادية ، وإن كانت مترعة بالراحة القلبية . ودخلت معه إلى حجرة بها سريران وعلى كل سرير ناموسية ، لأن المنطقة كانت زاخرة بجحافل الناموس ، التى لا ترتوى إلا من امتصاص دماء البشر ، وإن كنت قد قرأت فى بعض ما قرأت أن البعوضة تعيش مادامت جائعة فإذا شبعت وامتلأت ماتت .

ودخل سريره وأرخى ناموسيته ، وفعلت مثلما فعل على السرير الآخر . وكان التعب والإجهاد قد بلغ منى مداه ، فاعترانى قلق وبعد خمس دقائق تقريبا سألنى فضيلته : هل نمت يا عمر ؟ قلت : ليس بعد . ثم كرر السؤال فترة بعد فترة ، حتى ضقت بالأمر ، وقلت فى نفسى : ألا يكفينى ما أنا فيه من إجهاد وقلق حتى تضاعف على المتاعب ؟ ألا تدعنى أنام ؟ كان هذا حديثا صامتا يدور بينى وبين نفسى فصممت على ألا أرد على أسئلته موهما إياه أننى نمت . فلما أطمأن إلى نومى نزل من سريره فى هدوء كامل ، وعند الباب أخذ ( القبقاب ) بيده وسار حافيا حتى وصل إلى دورة المياه ، حيث توضأ ، وأخذ سجاده صغيرة ، وذهب إلى آخر الصالة بعيدا عن الغرفة ، التى ننام فيها .. وأخذ يصلى ما شاء الله له أن يصلى ، ونمت أنا ماشاء الله لى أن أنام .

وصحوت وتبينت حقيقة الدرس العملى الصامت ، الذى مررت به ليلتى تلك .

مرشد واتاه الله جلدا فى طاعته .. فهو يخطب ويتحدث فإذا انصرف الناس ليستريحوا خلا إلى ربه مصليا ومتهجدا ، وهو قادر على ذلك بما وهبه الله من احتمال على مواصلة الطاعات ليل نهار .

ومريد لم يشتد بعد عوده ، ولم يصبح ـــ بعد ـــ قادرا على مثل حال شيخه . وشيخ يعرف هذا فى مريده فيشفق عليه ، ولايرضى أن يحرجه ، طبعا لأننى إذا رأيته يقوم للتهجد لفعلت مثله ولو متحاملا على نفسى ، والله يريد بعباده اليسر ، ولايريد بهم العسر ، وفضيلته يطبق التربية القرآنية على مريده فيطمئن أولا على راحته ، ثم يؤدى ما يقدمه لربه تعبدا وتقربا .

هذه هى التربية الواقعية ، والدرس العملى ، الذى يجب أن يعيش فيه كل من يتولى أمر شعب أو جماعة . راحة الشعبَ أو الجماعة أولا ، ثم راحته هو شخصيا ، لا فى المقام الثانى ولكن فى آخر المقامات .

كان إذا أنهى محاضرته ، اختلى بالصفوة ممن يتوسم فيهم الخير ودائما ما يصح توسمه وتصدق فراسته . كان حركة دائبة لاتكل ولا تمل ، وروحا لا يكفيها أن تحيى جسد

صاحبها ، ولكن تفيض من حيويتها على كل من تلقاه .

وفى يوم من الأيام طلع علينا « طه حسين » بكتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » وتلقاه المغرضون وخصوم الإسلام بالتهليل والتكبير والدعاية الواسعة العريضة ، حتى تأثر كثير من الشباب بتلك الدعاية المسمومة ، وظنوها صادقة . وأحس الإمام الشهيد بالكارثة تعم ، فطلب من إدارة الجامعة أن تسمح له بإلقاء محاضرة ، ينقد فيها ذلك الكتاب .

وترددت إدارة الجامعة ، ولكن إلحاح الطلبة الداعين أرغم إدارة الجامعة على قبول الطلب ، فقدم طلبا مكتوبا موقعا عليه باسمه المعروف للجميع « حسن البنا » .

ولكن للأسف كانت إدارة الجامعة تافهة فى تصرفاتها إذ رفضت الطلب بهذا التوقيع ، واشترطت أن يكون باسم « حسن أحمد عبد الرحمن » .

والرجل فوق هذه الصغائر وأكبر منها . فلم يتردد وأجاب إدارة الجامعة لما أرادت لأنه لايريد أن تقف الشكليات عقبة أمام الأهداف السامية الكبيرة .

وازدحم المدرج حتى ضاق بمن فيه ، ووقف حسن البنا المدرس الابتدائى ، يشرح كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » وخطورته على العقيدة ، حيث يرى طه حسين أن نأخذ الثقافة بخيرها وشرها ، حلوها ومرها ، إن كنا نريد أن نصل إلى القرب من مستوى الغرب المادى والعلمى .

وظل الساعات العديدة ، ينتقد ويفصل ويبين مكامن الخطر فى ذلك الكتاب ، حتى ذهب كل أثر له فى نفوس الشباب ، وأهمل الكتاب ، وأعرض الناس عن قراءته ، فبارت سنوقه فى مجالات التأليف والمكتبات ، وهكذا انتصر مدرس ابتدائى ، على دكتور عالمى يسمونه عميد الأدب فى الشرق العربى ، وما هو بالعميد ولا بالمجيد ، وعرف الناس حقيقة طه حسين الذى سمى أولاده بأسماء فرنسية ، لأن الأسماء العربية الإسلامية لا تتفق ومزاجه الرقيق !

## نقد مؤدب

﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ وطوال هذه الساعات التى فند فيها الإمام الشهيد أضاليل ذلك الكتاب ، لم يمس شخص « طه حسين » بكلمة نابية أو لفظ جارح ، حتى لقد علمت أن طه حسين شكره على ذلك وأثنى عليه .

إن التربية ليست بالأمر الميسور يسر التعليم ، قد يتعلم الإنسان ثم لايكون أكثر من كتاب ، أو كتب متنقلة . وقد يعلّم ولكن لن ينتج تعليمه علماء . إنها لقسوة ساحقة للطالب ، أن يرى تصرفات أستاذه تخالف كل المخالفة ما يكتب وما يقول . إن من السهولة بمكان أن تعلم الطالب فريضة الصلاة ، أركانها ومبطلاتها ، ومستحباتها ومكروهاتها .. لكن من العسير أن تربيه على أنها ﴿ **تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ ولذلك يقول ﷺ « من لم تنهه صلاته ،لم يزدد من الله إلا بعدا » .

فهل يمكن أن تتصور بوعى أن هذه الفريضة الكبرى قد يكون أداؤها بشكلياتها سببا فى البعد عن الله سبحانه وتعالى . ونحن لا نصلى إلا لنقترب من رحاب الله بسبب تصرفاتنا قبل وبعد أداء الفريضة ، لذلك كان « حسن البنا » نابغة فى تربية الإخوان على مفاهيم الصلاة قبل أن يكون معلما لشكلياتها وحركاتها . إنه علمنا أن أداء الصلاة قد يرد عنا المؤاخذة الظاهرة ، ولكنه لن ينفعنا بشىء ، إن لم نحرص على أهدافها ومراميها ، حقا إنه مربى الجيل دون منازع . فالخشوع والصدق والتواضع كانت بين ما يشرحه الإمام الشهيد ، ويحرص على غرسه فى قلوب مريديه .

## عــداء عقــائدى

إن الشيوعية والصليبية والصهيونية ، لاتكره أحدا بقدر ما تكره « حسن البنا » والإخوان المسلمين ، لأنهم العقبة الكأداء فى إيقاف الزحف الشيوعى إلى هذه المنطقة ، لأنهم يطبقون تعاليم دينهم علما وعملا . إنهم حريصون على التخلص من كل زحف عسكرى أو فكرى دخيل مسموم . إنهم يستميتون فى أن تستمتع الشعوب الإسلامية بالحرية ، وانتشار حقوق الإنسان ، واقعيا . ويحبون أن يتمتع المسلمون بخيرات بلادهم ، وفيها اكتفاء ذاتى لهم . إنهم يريدون أن تقوم العلاقة بينهم وبين حكامهم على المودة والحب والعدل والانصاف والاحترام .

لقد علمنا حسن البنا أن للحاكم حقوقا على المحكومين منها السمع والطاعة والالتزام . كما شرح لنا أنه يجب على الحاكم أن يشيد حكمه على الحق والعدالة لا على البطش والتسلط . إن عمر بن الخطاب كان لايحب قاتل أخيه زيد . وقد سأله هذا القاتل بعد إسلامه : وهل شعورك هذا يحرمنى حقى عندك ؟ . فقال عمر : لا . فقال الرجل : إذن لا يبكى على الحب إلا النساء .

علمنا حسن البنا أن عواطف الحاكم ـــ حبا أو بغضا ـــ لا يجب شرعا أن تكون سببا فى حرمان الرعية من حقوقها عنده .

وقد مر بى حديث لا أدرى مداه من القوة ، أن من يحاول إذلال السلطان لا توبة له .

هكذا لم يكن الإمام الشهيد إرهابيا ولا ثوريا ولا انقلابيا ، بل كان داعية مصلحا ، ينشر الحب والسلام ، أينما حل أوسار . لكن بعض المسئولين فى العالم الإسلامى لا يدركون هذا ، وينزلون الإخوان منزلة الخصوم والأعداء ، ظنا منهم أن الإخوان ينافسونهم حكما وسلطانا ، وهم فى حقيقة الأمر لا يريدون إلا إصلاحا وإحسانا . ألا ما أبعد الشقة بين الاتجاهين .

أيها المنكح الثريا سهيلا
حسبك الله كيف يلتقيان
هى إذا ما استهلت شامية
وهو إذا ما استهل يمان

## كامب ديفيد

أرى من المناسب هنا أن أتعرض لمعاهدة « كامب ديفيد » وإن كانت قد عقدت بعد استشهاد الإمام بسنوات طويلة ، قد تقرب من الثلاثين . ذلك لأن موقف الإخوان المسلمين منها واستنكارهم لها ، كان من نتائج تربية الإخوان تربية سياسية تقوم على أسس عقيدية ، فالإسلام دين ودولة .

والمتتبع لتطورات إقامة إسرائيل على أرض فلسطين يرى أنها ترمى إلى أبعاد عميقة الغور رغبة فى القضاء على الإسلام . ومن ظن غير ذلك فهو لا يحس بالنار إلا بعد أن تعلق بملابسه وتحرق أوصاله . لقد كان فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أماكن تتسع لهذا الشعب ، لو كان الغرض الحقيقى هو إقامة دولة لهم ، وقد تجد هناك المناخ المناسب لمثل هذه الدولة العجيبة الميلاد .

ولكن التخطيط الذى وضع وبدىء فى تنفيذه بدقة فائقة ، لا يزال يأخذ طريقه المرسوم له ، لتحقيق الهدف المقصود منه فى هذه المنطقة العريقة فى إسلامها .

بدأت انجلترا بإحلال المهاجرين اليهود فى فلسطين وسلحتهم بكافة الأسلحة ، وفى الوقت نفسه أصدرت القوانين المشددة فى تجريد الفلسطينيين من كل سلاح حتى سكاكين المطابخ .

وبدأ اليهود فى حماية انجلترا يقومون بدورهم فى حماية الدولة المنتدبة على فلسطين ــ انجلترا ــ وبدأت مقاومة الشعب الفلسطينى ، يؤيدها المجاهدون من الإخوان ، كما سيأتى ذلك فيما بعد ، وياليتنا نفهم ، وياليت بعض المسئولين فى العالم العربى والإسلامى يفهمون ،

أو يصححون فهمهم ، أو ينظرون تحت أقدامهم للحفر الغائرة فى بطن الكيد والخبث الصليبى والشيوعى والصهيونى ، ليلمسوا بأنفسهم الهاوية التى تعد لهم ولشعوبهم ، لمن يظنونهم أصدقاء وهم شر من الأعداء .

أنا لا أشك لحظة فى أن كل مسؤول عربى ومسلم لن تغيب عنه هده الحقائق المرة المداهمة . بل لعلهم يعلمون عنها أكثر مما نعلم ، ثم تتملكنى الحيرة والمرارة .. كيف يتصرفون ؟

إنهم إن ظنوا أنهم وأسرهم ناجون من هذا المصير التعس فهم فى غفلة، فما أيسر أن يجحد هؤلاء الأصدقاء كل البلايين التى فى حوزة هؤلاء الأعداء وبكل بساطة لأتفه الأسباب المفتعلة المختلقة .

إنهم لا عصمة لهم ولا وقاية بعد الله إلا الصلح مع شعوبهم وتدعيم روابط الثقة بينهم وبين شعوبهم متنازلين عن الكثير مما يظنونه حقوقا لهم ولا حق لحاكم فى هذا الوجود على شعبه إلا السمع والطاعة ما أقام فيهم الدين والعدل والإنصاف وكفهم عن المعاصى وعن المحرمات .

إن المخطط الصهيونى سينتهى بنا جميعا إلى جعل وضع إسرائيل فى هذه المنطقة ـــ فى فلسطين ـــ أمرا طبيعيا لااستنكار له ، ولا محاولة لإزالته ، ثم ما يتبع ذلك من مصائب وويلات لانهاية لها .

## التطبيع مع اليهود

إن تطبيع العلاقات أى جعلها طبيعية ، أمر خارج عن طبائع الأوضاع البشرية ، هل يتصور أحد أن اليهود يمكن أن تكون علاقتهم طبيعية مع إنسان غير يهودى ؟ .. كيف يمكن لبشر أن يغير من السنة الكونية ؟ إنها محاولة خاتمتها الدمار والخراب للمسلمين جميعا . إننا مسلمون والله الذى نؤمن به يقول : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود** ﴾ إنه تقرير إلهى لا لبس فيه ولا غموض . إن العداوة منهم وليست من جانبنا كما هو صريح نص الآية ، فهل نحن أعلم باليهود وكراهيتهم للمسلمين من الله ؟

إن الإخوان المسلمين الذين تملأ قلوبهم رحمة الإسلام وسلامه ، لا يقولون برمى إسرائيل فى البحر ، ولا يقولون بشنق أخر إسرائيلى بأمعاء آخر شيوعى ، ليس سفك الدماء من طبيعة الإسلام ، ولكننا نقول إنهم يستطيعون العيش فى فلسطين كشعب فلسطينى ، أما كحكام يريدون أن يهددوا المنطقة كلها فلا .

إن كل الأقليات فى كل أرجاء العالم تعيش مع الأكثرية فى هدوء ووئام . ولكن كيف يمكن التصديق بأن أشد الناس عداوة للمسلمين يمكن أن يكون حاكما عادلا مع المسلمين من

رعيته ، هيهات .

**ومكلف الأيام ضد طباعها**
**متطلب فى الماء جذوة نار**

فلابد أن تجمع شعوب المنطقة وحكامها على التخلص من هذا الأخطبوط الذى يمتص دمها رويدا رويدا ، وأن تقضى على هذا السرطان الذى يهدد كيانها . إن الحر الأبى يموت كريما ، أو يحيا كريما . وبين أن يموت الإنسان كريماً ، تشهد له الأجيال بالبطولة والخلود ، وبين أن يحيا مهانا ذليلا ، إلا الرضا بالحياة الخسيسة ، والضعة المحضة . ألا يمكن أن يقوم سلام إلا على أساس استبقاء الناهب ما نهب فى حيازته وملكيته ؟.. أى سلام هذا والهول كل الهول أهون منه ؟ أى سلام هذا مهما كانت ظروفنا ؟ إن جيشنا العزيز استطاع أن يعمل شيئا كان من الممكن أن تكون له ثماره فى جميع أرجاء هذه المنطقة ، فما بالنا لو أجمعت شعوب المنطقة وحكامها على خطة موحدة ، لاشك أن النتائج ستكون أعز وأكرم ولكن الناس من خوف الفقر فى فقر ومن خوف الخوف فى خوف . ومن خوف الذل فى ذل .

إن شبابنا يمكن أن يتربى على مقومات الرجولة ، وصناعة المواقف الخالدة ، ولكن — ولعلها وسائل التخطيط الصهيونى — بقاء أجهزة الإعلام على ماهى عليه ، لايبشر بقيام جيل يغار على عقيدته وكرامة بلاده وحريتها ، أو يفكر فى حقوقه المسلوبة كى يستعيدها . وكلما قام الشباب بتهيئة نفسه للمواقف الفاصلة بينه وبين إسرائيل ومن وراءها ، لاحقته الضربات والمطاردة فى كل بلد من بلاد منطقة الشرق الأوسط أو حتى اندونيسيا وما حولها .

إن التطبيع الذى يرفع التكليف سيكون أكبر عون لإسرائيل على تحقيق مطامعها آمنة مطمئنة فى حماية القوانين الملحقة بمعاهدة السلام .

إن العمل الصالح هو الذى تبقى آثاره . وهذه المؤتمرات الإسلامية التى تقام فى جميع القارات ، رغم ما يعتريها من غبش. هى أثر من آثار الإمام الشهيد لجمع كلمة المسلمين ، وما أخالها إلا ستأتى ثمارها فى يوم من الأيام . إذ من الخير أن يجتمع الدعاة دواما فى الحين بعد الحين ، يتعارفون ويتعاونون ، ويشد بعضهم أزر بعض . وأول الغيث قطرة ثم ينهمر ، والله فى عون العبد مادام العبد يعمل ويحاول ، حتى إذا استنفد العبد كل حيله ووسائله الأرضية ، وعلم الله منه الصدق والإخلاص ، تدخلت يد القوى العزيز ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض** ﴾ لا أحد سوى القادر المقتدر القدير الكافى . وإنا فى صدق وعده لموقنون ، وإن كان لا يعجل لعجلة عبده .

* * *

# الحلقة السادسة

- حسن البنا هو صاحب انقلاب ٢٣ يوليو
- دعـوة الإخـوان المسـلمين بـدأت في الإسـماعيلية بسـتة رجـال .
- دمـاء الإخـوان كـانت أول دمـاء روت أرض فلسطـين .

يفجر الإستاذ عمر التلسماني في هذه الحلقة قضية العلاقة بين الإخوان وثورة ٢٣ يوليو ..

يبدأ بالجذور ، حيث يتصدر شباب الإخوان كتائب الفدائيين في الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ م .

وحيث يخوض المرشد الأول معاركه القوية في مواجهة الإقطاع والفساد السياسي والإنجليز ، وهو يذهب بتحليله لمسار تلك المرحلة إلى أبعد مما كان يتصور جيلنا ، فيقول : إن حسن البنا بصوفيته هو صانع انقلاب ١٩٥٢ . وهو ينفي أن الإخوان بادأوا نظام ٢٣ يوليو العداء ، بل إنهم عملوا على دعمه وحماية البلاد من عمليات التخريب انتصارا لإرادة التغيير . وهو يرد على خصوم الإخوان المسلمين مدافعا ومفندا وشارحا لمنطلقات فكر الإخوان ، كما شارك في إرسائها جنبا إلى جنب مع المرشد الأول حسن البنا .

## كيف بدأت الدعوة

يقول الأستاذ عمر التلمساني : لابد أن نعرض لحياة الإمام الشهيد لنعرف كيف اختمرت دوافعها في نفسه ، وكيف بدأ العمل من أجلها .

ولد « حسن البنا » عام ١٩٠٦ في مدينة المحمودية ــ إحدى مدن مديرية البحيرة ــ

وهي أقرب إلى الاسكندرية منها إلى القاهرة ، وقد نشأ فى بيئة دينية ، لأن والده المرحوم « أحمد عبد الرحمن البنا » كان من العلماء الزاهدين ، وقد اشتغل كثيرا بعلوم السنة ، وله فيها مؤلفات ، آخرها « الفتح الربانى » فى شرح المسند للإمام أحمد بن حنبل ، وهو لاشك مؤلَّف ضخم الفائدة غزير النفع للمشتغلين فى ميادين السنة وعلوم القرآن ، فى هذا اللقاء الروحى نشأ إمامنا الشهيد ، ولم يعن كثيرا بكتابة المؤلفات . وفضل عليها تأليف الرجال وإيجاد المجاهدين . وقد كانت اهتماماته منذ حداثة سنه موجهة إلى الناحية العملية .. فأنشأ خلال دراسته الأولى مع زملائه جمعية ( الأخلاق الأدبية ) ومن اسم الجمعية تستطيع أن تتبين ملامح اتجاهاته فى باكورة حياته .

## حديث مع الأطفال

وكان كريم الأخلاق يألف ويؤلف ، لم نره عابسا ، ولا يَزْوَرّ عن محدث أو متحدث . الأدب كان طابع كل معاملاته مع الصغير والكبير ، ذهبت معه مرة إلى مدرسة المحمدية الابتدائية بناحية العباسية ، ليلقى محاضرة هناك ، وطلب منى أن أتحدث إليهم ، فنظرت إليه متعجبا وقلت : لم يبق إلا أن أتحدث إلى أطفال وأنا الذى أترافع أمام القضاة والمستشارين : فابتسم ابتسامته الحلوة البديعة ، وقال : خل عنك ، ونزل من فوق منصة الفصل حيث توجد السبورة ، ووقف وسط الأطفال يتحدث إليهم ، وكأنه من أترابهم ، بلغتهم التى يعرفونها ، وبأسلوبهم الذى يتحدثون به ، وما انتهى حتى عجبت من التفاف الأطفال حوله وتعلقهم به وكأنهم لايريدون أن يفارقهم ويفارقوه ، للهجة الحنان التى كان يتحدث بها ، وللأدب الجم فى إغضائه عن الكثير من ( عفويتهم وعبثهم الصبيانى ) .

ثم أنشأ جمعية منع المحرمات ، والاسم يشير إلى آهدافه ، فقد فشت المخدرات وكثر اليونان والأروام الذين يقيمون « الخمارات » فى كل قرى مصر ، يبدأ الواحد منهم مفلسا ، ثم ينتهى به الأمر إلى ثراء يستطيع به الاستيلاء على كثير من أرض الفلاحين المنحرفين .. هذا إن لم يستعن على رواج تجارته ببعض الغانيات من بنات جنسه لتتمكن المصيدة من الايقاع بالفلاحين فى بساطة .

رأى فضيلته أن منع المحرمات من أولى الخطوات لإنقاذ الفلاحين مما يراد بهم،وهم عنه غافلون . والتحق فى فجر حياته بمشايخ الطريقة الحصافية . ولا شك أن هذه النزعةالروحية تدل على صفاء النفس وتعلقها بمن سواها وألهمها تقواها . إن الصوفية عندى أرق مراتب الإيمان على الصورة التى هى خليقة بها . تجرد من علائق الدنيا دون مقاطعتها ، وتفرغ لطلب الآخرة ، دون قعود عن عمارة الدنيا ، فهى مزرعة الآخرة ، ولن نحصد هناك إلا ما نزرعه هنا .

الصوفية هى الرهبة من الله لا من الخلق ، هى اليقين بأن ما يصيبنا ما كان ليخطئنا ،

وما أخطأنا ما كان ليصيبنا . هى إرجاع كل الأمور إليه ، دون خوف من آدمى لا يملك لنفسه نفعا ولا أذى ، مادام السالك طريق الله طاهر الذيل عفيف النفس ، زاهدا فى كل مافى أيدى الناس ، مطمئنا إلى ماعند مسبب الأسباب .

الصوفية ذروة الإيمان من تقى وجرأة وإقدام وإخلاص .. وليست الصوفية دق الدفوف واعلاء البيارق وجمع النذور ( والله لايقطع عادة ) هكذا أخذ إمامنا الشهيد الصوفية ، فلما أغرته انجلترا بالمال ليحاضر فى الديمقراطية .. سألهم : كما أفهمها أم كما تريدونها ؟

قالوا : نحن فى حرب وفى حاجة إلى الدعاية من أمثالك .. فأدار لهم الظهر وانطلق ينشر دعوته . ولما هدده الحاكم آنذاك استخف بتهديده ، وعالج مباذله بالنصح والإرشاد ، ولما حاربه الإقطاع ، ثبت فى مكانه وكتب الله له الفوز . إن حسن البنا بصوفيته هو صانع « انقلاب ١٩٥٢ م » وإن كانوا يتهموننا اليوم بأننا أعداء هذا الانقلاب .

## بذور التغيير

إن السلطة لم تقتل ولم تحاكم ولم تعتقل أى ضابط من الضباط الأحرار . لكنها سجنت الإخوان واعتقلتهم ، واغتالت مرشدهم ، لأنه كان يعمل ظاهرا ، وهم يعملون فى الخفاء . إن الإمام الشهيد حرث أرض العقول والنفوس بتوجيهاته وألقى بذور التغيير فى أذهان الشعب مما جعل الشعب فى لهفة إلى التغيير ، فلما تحرك الضباط الأحرار بالاتفاق مع الإخوان المسلمين وجدوا شعبا متلهفا إلى حركتهم ، مهيأ لانقلابهم ، فاستقبلهم بالدعاء، وقام الإخوان المسلمون بحراسة كل المنشآت الأساسية فى البلد ، خوفا من أن تتعرض للتخريب ممن كانوا يكرهون هذا التغيير ، ثم لايجد خصوم الإخوان تهمة يوجهونها إلا أنهم أعداء ذلك الانقلاب .

وكم ذا بمصر من المضحكا ... ت ولكنه ضحك كالبكاء

ثم انتقل « حسن البنا » إلى مدرسة المعلمين فى دمنهور عام ١٩٢٠ ، ليتخرج فيها مدرسا إلزاميا . لكن همته ومشاعره الفياضة ، وآماله العراض كانت فوق هذا المستوى بكثير ، فما أن تخرج فى هذه المدرسة حتى التحق بمدرسة دار العلوم عام ١٩٢٣ فى القاهرة ، حيث تخرج فيها عام ١٩٢٧ وكان ترتيبه الأول . ومن المفارقات اللطيفة أن ناظر مدرسة المعلمين . كان المربى الفاضل المرحوم عبد العزيز عطيه ، ثم تتلمذ هذا الناظر على يد طالبه فى دعوة الإخوان المسلمين .

وتميزت دعوة الإخوان المسلمين عن كل الدعوات الإسلامية ببعدها عن الخلافات الفرعية ، والمنازعات الجانبية ، وترك خصومه ينالون منه كما يشاءون دون أن يدخل معهم فى

عراك . فالدعوة التى أقامها فى ذى القعدة عام ١٣٤٧ الهجرى ــ مارس ١٩٢٨ الميلادى بدأت دعوة الإخوان المسلمين فى الاسماعيلية على ضفاف القنال ، مكونة من ستة رجال : الإمام الشهيد ، الأخ الصولى ، والأخ حسب الله ، وغابت عن ذاكرتى بقية الأسماء ولعلى اتذكرها أو أعثر عليها فأضيفها إلى هذه المذكرات .

## مصحف وسيف

كانت جهوده مركزة على تنشئة جيل يعتنق دينه على أنه دين ودولة ، ومصحف وسيف ، وعبادات ومعاملات ، وتربية وأخلاق ، سياسة واقتصاد ، اجتماع وقضاء ، وكل شيء فى هذه الحياة . نظام شامل وقانون كامل بتنظيم الحياة فى أسمى مراقيها ، إلى أخر مطالبها ، حتى الدخول فى دورة المياه . وبدأت دعوة الإخوان المسلمين تصل إلى قلوب الشباب والعمال والفلاحين وسائر طبقات الأمة.. بل ومن بعض أبناء الأثرياء من عائلات عبد النبى وعبد الرازق والدلة ، ورأى منها المسلمون شيئا جديدا لم يألفوه فيما كان مطروحا على الساحة الإسلامية من مذاهب وآراء .

إذ جمعت الدعوة كما يقول فضيلته كل المذاهب والتيارات ( دعوة إسلامية شاملة ) وفى العام ١٩٣٢ انتقل حسن البنا إلى القاهرة ، ولم يغفل عن المديريات أو المحافظات ، بل كان دائم التنقل بين قراها ودساكرها ، شارحا لهم أن دعوة الإخوان المسلمين ليست دعوة مقصورة على مصر ، ولكنها دعوة للناس جميعا ، فبدأ يتصل بالبلاد الإسلامية ، ولو طالت به الحياة لأقام فى العالم كله شعبا للإخوان ، لأن هذا هو الإسلام ﴿ **يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا** ﴾ فالإسلام دعوة عالمية ، ليست مقصورة على جنس دون جنس ولا لغة ولا لون دون غيرهما . ومن كانت هذه همته ، فلا عجب أن يصل إلى بغيته . لقد توفى رسول الله ﷺ ، فحمل أبو بكر الراية ثم عمر وعثمان وعلى . ووصلوا بالإسلام إلى ما وصل إليه . وقد ارتد ضعاف الإيمان ، وتنبأ من تنبأ ، وظنوا بالإسلام الظنون . وعلى قدم هؤلاء الأبرار ، اغتيل حسن البنا ، فحمل الراية حسن الهضيبى ولقى ربه ، فتعاون الإخوان على حملها ، لأننا لم نقدس حسن البنا وما كان هذا هدفنا ، ولكن كان الله غايتنا ، وما كان حسن البنا إلا إنسانا يموت كما يموت أى إنسان . ولكن دعوة الله التى أنزلها على محمد ﷺ وتكفل بحفظها .. فليس الشأن شأن حسن البنا أو أى مرشد ، ولكن الشأن دين تكالب عليه خصومه ، ويخشى الإخوان عليه ، فهم يحمونه بأرواحهم ، سواء أكان هناك مرشد أو لم يكن . فالذين يتهمون الإخوان بتقديس حسن البنا قلوبهم منكرة ، وأفهامهم معوجة وعقولهم ليست على سنن رتيب .

ومما يقطع بعالمية دعوة الإخوان المسلمين أن مرشدهم دعاهم للجهاد كى ينقذوا بلدا

إسلاميا ، من أيدى أشد الناس عداوة للمسلمين ، ولبى الإخوان النداء فكانت دماؤهم الطاهرة أول دماء روت أرض فلسطين الشهيدة ولولا أن المسئولين . فى هذه المنطقة تقاعدوا وتكاسلوا واكتفوا بالتصريحات النارية ، والأحاديث الملتهبة ، لكان الحال غير الحال فى فلسطين .

لم يكتفوا بالقعود عن نصرة فلسطين عمليا ، بل حاربوا الإخوان المسلمين فى كل مكان ، وكأنما الإخوان أجرموا فى نظر هؤلاء المسلمين ، يوم أن تصدوا لليهود ، تصديا كان من الممكن أن يقتلعهم من المنطقة اقتلاعا .

ولكن ماذا عسى لمثلى أن يقول إلا ترديد قول الشاعر :

**من غص داوى بشرب الماء غصته**
**فكيف يفعل من قد غص بالماء**

والأمر لله من قبل ومن بعد ، وسيرون من ربهم حسابا لايخطر لهم على بال .

وكان بودى أن أتحدث عن كيف بدأت الدعوة ، وكيف كانت تتم ، ولكنى أترك هذا لما وقر فى نفسى من تعاليم الإمام الشهيد ، ولا أزال أذكره حتى اليوم . فقد صارح فضيلته الناس بدعوته على أنها كما يقول :

أضوأ من الشمس ، وأوضح من فلق الصبح ، وأبين من غرة النهار ، وأنها دعوة بريئة نزيهة لا ترقى إليها الشبهات ، بعيدة عن الأغراض والاهواء ، فلا يريد الإخوان من الناس أجرا ، ولا ثناء ، ولا حمدا ، ولا طبلا ولا زمرا ، وكانوا يحبون من كل قلوبهم أن يكونوا الاتقياء الأخفياء ، الذين لا يعرفون إذا حضروا ، ولا يفتقدون إذا غابوا . وحسبهم أن يعلمهم الله ، ويراهم حيث يحب ويرضى ، كان حسن البنا يحرص على أن يخاطب الناس بعواطفه الرقيقة ، بعيدا عن التعقيدات اللفظية ، أو الأساليب الأفلاطونية .

هكذا علمنا أن نفنى فى هذه الدعوة ، لنكون نحن هى ، ولتكون هى نحن . وليس معنى هذا أن نتمنع عن هذه الدنيا فلا نأبه بها .. أبدا ، فالإخوان يمشون فى مناكب الأرض ، ويأكلون من رزق الله أطيب ما يفيضه عليهم ، ولكن إذا تعارض أى شىء من مطالب الدنيا ، مع ما نحب للدعوة ، غبنا عن هذه الدنيا ، وعشنا فيما يطلبه الله منا ، وما أظن بعد منهج الكتاب والسنة من وضوح . ويتجنى بعض الناس عن عمد أو غفلة فيتهمون الإخوان بأنهم يعتبرون من ليس منهم غير مسلم ! .

## افتراء على الإخوان

وهذا منتهى الافتراء على جماعة هي أبعد الناس عن هذا الفهم السقيم . إننا نعتبر المسلمين جميعا مسلمين موحدين ، وأن إيمانهم بالله إيمان راسخ لا تشوبه شائبة . وعندما فصل بعض أعضاء اللجنة التأسيسية لجماعة الإخوان المسلمين ، قال الأستاذ الهضيبى مرشد الإخوان حين ذاك : إننا لم نفصلهم لشك فى دينهم ، أو مغمز فى خلقهم ، ولكنهم فصلوا لأنهم خرجوا على نظام الجماعة،الأمر الذى لا تستقيم بدونه جماعة أو حزب أو هيئة من الهيئات .

إننا نتعامل مع المسلمين جميعا ، فقد يكون بعضهم أقوى إيمانا من بعض الإخوان . وكل الذى نراه فى المسلمين أنهم أهملوا تعاليم دينهم ، وغفلوا عنها ، ولم يتعاملوا فيما بينهم بها ، فدعتهم دعوة الإخوان المسلمين إلى العودة اليقظة المتحركة فى تناول شئون حياتهم كلها على أساس هذا الدين الحنيف إن دورنا مع الناس عن طريق هذه الدعوة أن نوقظ نائما ، أو ننبه غافلا ، كما يفعل المؤذن فى إشعار الناس أن وقت الصلاة قد حان .

إننا لم ندع يوما أننا خير من غيرنا .. هذا إلى جانب أننا لا نتهم أصحاب الدعوات الأخرى أنهم كذا أو كذا،ولكننا نناقش هذه الدعوات نقاشا موضوعيا على أساس من المعقول .

إن هذه المذكرات ، وخاصة ما تعلق منها بدعوة الإخوان المسلمين ، كلها مما تعلمته على يد إمامنا الشهيد ، وما علق بالذهن من محاضراته ورسائله . لم أرجع فيها إلى مراجع ، ولكنى أردت أن تكون اختبارا لما حصلته من إمام هذه الدعوة ، وهل لا تزال لتلك الحصيلة آثارها وبصماتها على الذهن والتصرف . أم باعدت الأيام بينى وبينها ؟ ورأيت أن تسجيل هذه الملاحظة ، ضرورى وإن كنت لم أتقيد فى مذكراتى بنظام رتيب ، فقد أتحدث عن أمر ثم أعود إليه فى مكان آخر إذا دعت المناسبة التى تربط بينه وبين تلك الذكريات . وجل من لاينسى ولا يغفل ولا تغفل عنه شاردة أو واردة . والخطأ أمر مفروض ، فكل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، وإنى لأشكر من قلبى من يلفتنى إلى ما غاب عنى ، أو تصحيح خطأ وقعت فيه عن غير قصد ولا إصرار عليه .

## انتشار الدعـوة

بدأ إمامنا الشهيد دعوته بالتنقل بين « القهاوى » والمحلات العامة،يحمل تحت إبطه سبورة صغيرة يستعين بها على شرح ما يريد ، ونظرا لما وهبه الله من أسلوب محبب إلى القلوب

عند الكلام عن الدعوة ، تزاحم عليه أصحاب المقاهى بالإسماعيلية ، كل يريد أن يكون الحديث فى مقهاه .

وكانت هذه الوسيلة تجرى يوميا بعد الفراغ من عمله فى المدرسة ، وظن الناس فى أول الأمر أنه واعظ من الذين ألفوهم ، وإن كان يتميز عنهم فى العرض والأسلوب ، حتى شركة قنال السويس ، على ما كان فيها من الدهاة المفكرين ، خدعوا بهذا المظهر فى أول الأمر ، وساهمت الشركة فى إقامة مسجد للجماعة بالإسماعيلية بملحقاته من مدرسة أمهات المؤمنين ، وغيرها من المؤسسات الاجتماعية،وتحضرنى حادثة طريفة إذ كان أحد الإخوان يعمل سائقا بالشركة ، وكانت له دراجة يحضر بها يوميا من منزله إلى مقر الشركة قبل الموعد المحدد للعمل ، فكان موضع تقدير من رؤسائه . ثم بدأ هذا الأخ يتأخر عن موعد العمل ، فدهش رئيسه وسأله عن سبب تغيير عادته الدقيقة .. فقال الأخ : كانت لى دراجة أحضر بها قبل الميعاد ، ولكنى دعيت للمساهمة فى عمل من أعمال الإخوان ، فبعت الدراجة ، وقدمت ثمنها لفضيلة المرشد وأنا اليوم أحضر على قدمى ، فأضطر للتأخر عن موعدى

وقدر له رئيسه هذه الأريحية فاشترى له دراجة جديدة ، وعاد الأخ إلى المحافظة على مواعيده الدقيقة ، ولعل هذا الحادث يدلناعلى مدى اقتناع الإخوان بالفكرة ، والثقة فى مرشدها والاستجابة الفورية لكل ما كان يدعوهم إليه من الإنفاق فى سبيل الله .

ثم بدأ الاجتماع بالإخوان فى المسجد الجديد ، الذى كان يزدحم ليليا برواده للاستماع إلى محاضرات فضيلة المرشد ، فلما انتقل إلى القاهرة ، بدأت الاجتماعات فى مساء كل ثلاثاء بالمركز العام الذى أذكر أنه تنقل ما بين منزله أولا ثم إلى دور أرضى فى حى السيدة زينب ، ثم إلى لوكاندة البرلمان فى العتبة الخضراء ، ثم استقر درس الثلاثاء أخيرا فى المركز العام فى الحلمية الجديدة .

فى هذه الفترة بدأ طلبة الجامعة ينتبهون إلى هذا الحدث الخطير فكان الجامعيون منهم يبثون الدعوة فى كليات الجامعة بين زملائهم الذين بدأ عددهم يتزايد مع مرور الأيام إلى أن وصل الرأى العام الإسلامى فى الجامعة إلى أن ينجح كل أو أغلبية مرشحى الطلبة الإخوان فى اتحادات الطلبة الأمر الذى أزعج الحكم والأحزاب التى أحست أن الشعب أخذ ينحو ناحية جديدة بعيدة عن فكرة الأحزاب ، وبدأت مقاومتهم للإخوان وفكرة الإخوان ، وفى الوقت نفسه بدأ الفاهمون فى القرى والأرياف ينتقلون بين أهليهم وأصدقائهم يبشرون بالنور الجديد ، فقامت شعب الإخوان فى قرية بعد قرية ثم تتالت المناطق ومراكز الجهاد فى كل أنحاء القطر ، وهنا أدرك أعداء الإسلام خطورة هذه الدعوة عليهم ، وبدأ التدبير السيىء الخبيث ضد هذه الجماعة الطاهرة ، وكل يحاول القضاء على هذا المد الجديد لكنها محاولات باءت بالفشل . وكان الطالب الجامعى أو الأخ الداعى فى المدن والقرى إذا ما استوثق من صدق

إيمان محدثه ، يقوم بتوجيه الدعوة إليه للقاء فضيلة المرشد ليقدم بيعته على العمل فى سبيل الله ، لا فى سبيل حسن البنا أو جماعةِ الإخوان المسلمين .. بدليل أن البيعة كانت تختتم مع المرشد بأنه لاسمع له ولا طاعة إذا أمر بمعصية ، مما يقطع كما قلت بأننا لم نبايع شخصا لذاته ، ولكن كنا نبايع الله عز وجل ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عَلَيْهُ الله فسيؤتيه أجرا عظيما** ﴾ .

ثم ظهرت مجلة « الإخوان » و « النذير » وصحيفة الإخوان اليومية وكان من أهم عوامل الدعاية للإخوان المسلمين مهاجمة الحكم والأحزاب والاقطاع والصليبية والشيوعية والصهيونية ، ومحاربتهم للإخوان فى غير ما ترفق ولا هوادة . وعرف الناس من هذه النواحى أكثر مما عرفوه عن الإخوان ذاتهم . فالحق يزيده محاربوه وضوحا فى ضمير الناس . أضف إلى هذا تنقلات الإمام الشهيد المتواصلة للاقاليم ، ومن كان يرسلهم من الدعاة فى شتى أنحاء القطر .

## مراحل الانضمام إلى الجماعة

كانت صلة الناس بالجماعة تتم على مراحل . فهناك الصديق الذى يحب ولكن لا يشارك ، وهناك المنتسب الذى لا يمارس الكثير من أعمال الجماعة ثم الأخ الذى يبايع ويتناول أعباء الدعوة فى هوادة ، وهناك الأخ العامل الذى يرى أن أهله وماله وحياته ملك للدعوة إذا ما تطلبه موقف من المواقف ، وستأتى إن شاء الله فيما يلى الصفات التى يجب أن تتوفر فى الأخ العامل وحَسْبُكَ أن تعلم أن أحد إخوان محافظة الشرقية أرسل ابنه مع المجاهدين فى فلسطين ، حيث استشهد . فلما ذهب الإمام لتعزيته ، سأله : هل أتيت لتعزيتى أم لتهنئتى إن كانت الأولى فارجع مشكورا ، وإن كانت الثانية فأهلا ومرحبا ، لأنك طالما تحدثت عن مكانة الشهداء عند الله ، وأرجو أن يكون ابنى هناك ، وأن يلحقنى به خاتما لى بالايمان .

وبهذه المناسبة كنا نسمع المنشد يقول لا إله إلا الله علنها نحيا وعليها نموت وفى سبيلها نجاهد ، وعليها نلقى الله .

أما أيامنا هذه فنرى منشدى الفجر لا يذكرون عبارة ( وفى سبيلها نجاهد ) هل نسوا هذه الكلمات أم يتعمدون البعد عن كلمة الجهاد فرارا بأنفسهم من تبعاتها ، وإن كان لاحذر ينجى من قدر ، أم أنهم مأمورون بأن لايتعرضوا لكلمة الجهاد ؟ من الذى أمر ؟ لست أدرى ، وإن كان الأمر ليس فى حاجة إلى علم أو دراية ، وهكذا تتسرب القيم الدينية التى تربط المسلم بعقيدته فترة بعد فترة حتى يصبح الإسلام طقوسا وأشكالا خاوية من الأصل الذى من أجله جاء الإسلام لإصلاح حال العباد والبلاد .

ولعل دعوة الإخوان المسلمين ما قامت إلا لدرء هذه الأخطار التى تنخر فى عقيدة المسلم دون أن يحس بالهاوية التى تُحفر تحت قدميه ، حتى يتردى فى أعماقها بعد حين .

ليس هذا فحسب ولكن ما جاء من سينما ومسرح وتليفزيون وإذاعة لاهم لها إلا دفع المسلمين إلى الشباك والتقليد الأعمى بحجة المدنية والحضارة والقوة ، وما فى الإسلام من عيب أو نقص ، ولكن المصيبة فى بعض المسلمين . إنى لا أرى أن دعوة الإخوان جاءت كرد فعل لتعصب أعداء الإسلام ضده ، ولكنها قامت لرد المسلمين إلى أصول دينهم وتعاليمه التى أخذ ضياؤها يخبو فترة بعد فترة .

* * *

# الحلقة السابعة

- لماذا أطلق البنّا اسم الإخوان المسلمين على الجماعة ؟ .
- ننكر استخدام العنف ضد الحاكم حتى ولو كان ظالماً .
- نحن ضد الدكتاتورية و الاستبداد ومع الشورى .

**فى هذه الحلقة من مذكراته ، ينكر الأستاذ عمر التلمسانى أن الإخوان فكروا فى استخدام العنف لتغيير نظام أو تبديل حاكم ، انطلاقا من كونهم جماعة سلفية، كما ينفى أن تكون دعوة الإخوان المسلمين ، جاءت كرد فعل لاغتراب القيم فى المجتمع ، أو أنها جاءت كتنظيم وطنى يستهدف اقتلاع الظلم والاستعمار لكنها جاءت لترد الناس إلى الينابيع الأولى للايمان التى شردوا عنها فضلوا وضعفوا وصاروا مطمعا لكل ظالم أو طامع .. وهو يوضح أن اقتلاع الظلم والاحتلال يأتى حين يعود الناس إلى طريقهم الصحيح للايمان حيث القوة والثبات .**

**وينفى المرشد العام للإخوان المسلمين عن جماعته أنها تحصر الإسلام فيها وتنكره على غيرها ، لكنها تقصره عليها طريقا ومنهجا .**

يقول عمر التلمسانى :

لم تكن تصرفات الاخوان وتخطيطاتهم أبدا رد فعل ليقظتهم ، فالإمام الشهيد منذ تفتح ذهنه على ما فى أمته،وهو يفكر فى العلاج .. فهو يقود حركة أصيلة ، ووعيا نبت فى حقل ذهن خصب لينير كل مقومات الحياة .

ما كانت دعوة الإخوان أساسا لتحقيق استقلال أو تحرير من استعمار وما إلى ذلك من المعانى السامية المطلوبة ، لكنها قامت لترد المسلمين إلى المنبع العامر بالحياة الكريمة ، والحرية

( م ٥ – ذكريات )

النبيلة ، والعقيدة السليمة ، فاذا ما صح هذا ، وثبتت دعائمه فى صميم مشاعر المسلم وعقله وتفكيره ، رأى أن الحرية والاستعمار ضدان لا يجتمعان فى إهاب واحد ، وأن الحرية والظلم يتناقضان ، وأن العقيدة الحقة والاستعمار الاقتصادى أو الفكرى مع عزة المسلم ، أمور لا يمكن أن يحيا معها الانسان حياة رغدة هادئة .

لقد قامت جماعة الإخوان المسلمين أساسا لتعود بالمسلمين إلى التمسك بتعاليم دينهم الصحيحة فى كل كبيرة وصغيرة من شؤون هذه الحياة . فهى أصل وهى عقيدة وليست رد فعل لأى عامل من العوامل أو طارىء من الطوارىء . فهى إذا دعت إلى إصلاح فساد منتشر أو ضلال عم ، فما ذلك إلا لأن هذا من صميم تعاليم الإسلام السامية النبيلة .

ولما اكتمل عقد الرجال الستة السابق الاشارة إليهم ورأى الإمام أنهم أصبحوا يشكلون ما يشبه هيئة تأسيسية بدأ التفكير فى الاسم . فقال الإمام : ألسنا إخوانا ؟؟ .. قالوا بلى . قال : ألسنا مسلمين ؟؟ .. قالوا : بلى . قال : فنحن إذن ( الإخوان المسلمون ) . وأضيف إلى هذا أن اسم الإخوان المسلمين جاء من القرآن نفسه ، وليس بدعة مبتدعة ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ ثم يقول : ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ ونحن بفضل الله مسلمون . فلا بدع أن تسمى هذه الجماعة « جماعة الإخوان المسلمين » ولم تدع يوما أنها « الجماعة المسلمة » لانه تخصيص بغير مخصص ، ولكنها تعتبر نفسها « جماعة مسلمين أو جماعة من المسلمين » إننا لم نقصر الاسلام علينا ، ولم نحصره فى جماعتنا ، فما بال الناس قبلنا متقولين مبتدعين ، لشىء لم يدر شبحه فى خلدنا يوما من الأيام . ألا فليتق الله الملتمسون للبرءاء العيب ، وأنصحهم إبتغاء وجه الله مذكرا بحديث شريف : « من تتبع عورات الناس يوشك أن يتتبع الله عوراته حتى ليوشك أن يفضحه فى عقر داره » وحسبنا الله ونعم الوكيل . إننا لا يعنينا أن يعلو هذا الاسم أو يذيع صيته ، إنما يعنينا أن نعمل لله فى السر والعلن ، ويعنينا أن يطلع الله على دخائل قلوبنا ثم يهدينا سواء السبيل .

لم يكن الإخوان المسلمون وحدهم أصحاب فكرة فرق الرحلات ، ففى كل المدارس الابتدائية والثانوية والكليات والنوادى حتى الماجنة منها ، كانت هناك فرق للرحلات . ولم يعتب أحد عليها فى ذلك . ولكن الإخوان المسلمين كانوا وحدهم محل اللوم والانتقاد بسبب هذه الفرق الطاهرة البريئة ، وقل بالمثل عن فرق الجوالة أو الكشافة فى الإخوان المسلمين فهى فرق موجودة فى كل العالم ، ولكن « الكعكة فى يد اليتيم عجبة ! » .. وسنرى فيما يلى أن الإخوان ما فكروا يوما فى القوة كسلاح لتغيير أو إنقلاب أو ثورة ، لأنهم سلفيون ، وسلفيون بحق وفهم . والسلف رغم ما أثروا به الفكر من قمم وسعة واتساق ، ينكرون استعمال العنف ضد الحاكم حتى ولو كان فاسقا وظالما ، وسيأتى شرح ذلك عند الكلام عن وسائل

الإخوان فى نشر دعوتهم ، استنباطا من رسائل الإمام رضوان الله عليه .

ولو أن أحدا من غير الإخوان حضر مرة فى يوم معسكرا من هذه المعسكرات لرأى العجب العجاب فى دقة النظام ، وصرامة الأوامر ، والطاعة والالتزام . على المعسكرين أن يقوموا قبل الفجر ، ليسعدوا بفيوضات التهجد . ثم يؤذن لصلاة الفجر ليؤدوها جماعة ، ويلى ذلك التمرينات الرياضية التى تكون الجسم السليم ليحظى بالعقل السليم ، ثم العودة للإفطار ، وخاطرات الصباح ، ويمضى اليوم بين إعداد الطعام والرياضة والصلوات والدروس إلى ما بعد صلاة العشاء حيث يأوى كل واحد إلى فراشه . إن هذا اليوم فى حياة فرق الرحلات يعنى الترويح وإعداد الشباب إعدادا جسمانيا ومعنويا ، لكى يكون حاميا لبلده ، حارسا لوطنه ، متفهما لواجباته فى هذه الحياة نحو نفسه وأسرته ومجتمعه وأمته ، بعد تفهمه لعبوديته الكاملة لرب السموات والأرض الذى بيده ملكوت كل شىء . إنه يوم التربية العملية وغرس المفاهيم الاسلامية ، وتنمية الروح الربانية ، وحماية العقيدة الإسلامية ، والشعور بالعزة الكاملة ، وكراهية الذلة أيا كان مصدرها ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ فقضية عزة المسلم أمر مقرر فى كتاب الله الكريم ، ومن وسائل تحقيق هذه العزة فرق الرحلات والجوالة .

## الدعوة إلى السـلام

لقد بلغت التفاهة بخصوم الإسلام ودعاته ، أنهم يسفهون رأى الإمام الشهيد فى ربط المصحف بالسيف، رباطا رقيقا، دقيقامع إيمان الإخوان بأنالاسلام دينإقناع وحجة وبرهان. إن هذا الظن أو هذا التسفيه ، لا يمكن أن يصدر من عقل به ذرة من سلامة التفكير . أنظر إلى العالم كله فى جميع قاراته ، ألا ترى أن الدعوة إلى السلام قائمة على قدم وساق ، بالمؤتمرات وأجهزة الاعلام ، وكتب الداعين إلى السلام .

ألا ترى أن إسرائيل نفسها تتباكى طالبة العيش فى سلام داخل حدود آمنة؟ هل مر بنا يوم لم نقرأ فيه شيئاً عن السلام العالمى والرغبة الملحة فى أن يسود الدنيا السلام، حتى كدنا نمل من كلمة السلام العالمى، التى يستعملها المرشحون لرئاسة دولهم؟.

ثم ماذا نرى بعد هذا ؟ نرى العالم كله يتبارى فى اختراع الأسلحة المهلكة المبيدة للبشرية ،وتنفق فى سبيل اختراع وسائل الدمار ألوف الألوف من الملايين ، ثم تدعى كل أمة بعد ذلك أنها أمة السلام والأمان ، والهدوء والاطمئنان . لماذا كل هذا ؟

أليس للدفاع عن الحرية المزعومة ، والسلام المنشود ، إن الورد يحتاج إلى شوك يحميه ، والإسلام دين السلام، والدعوة إليه لا تكون إلا بالإقناع والدليل ﴿ **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾ .ولم يقبل رسول الله ﷺ إلا هذا فى بدء

الرسالة رغم ما أنزله المشركون بالمسلمين من تشريد و تعذيب وقتل .وكان الرسول يمر على المعذبين فيقول « صبرا آل ياسر ، إنى لا أملك لكم من الأمر شيئا ، إن موعدكم الجنة » .. ولما أذته ثقيف لم يهمه من أمر كل هذا الإيذاء ، إلا رغبته فى ألا يكون بربه غضب عليه ، وصبر على الإيذاء حتى اضطر إلى هجرة أول أرض مس ترابها جسده الشريف . ويااليتهم لماهاجر تركوه ، ولكنهم أمعنوا فى تهديده ومحاولة القضاء على دعوته ومهاجمته فى عقر مهجره ، فإضطر ولا مناص إلى الدفاع عن عقيدته ومن آمن بها . وهكذا كان للإمام الشهيد أسوة حسنة برسول الله ﷺ. إذ رأى مُحِقًّاأن الحق لابدأن تكونله قوةتدافع عنه وتحميه، تنفيذا لقوله تبارك وتعالى ،﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللهوعدوكم** ﴾ ولعله لم يَفُتْكَ فى مقام الإعداد ، أنه كان للإرهاب لا للقتال ولا للاعتداء ولا للاستعمار والاستعباد .

وهذه معاهدة السلام التى عقدت مع إسرائيل .. ما بال حكومتنا تقوى جيشها وتدعمه ، وهى داخلة فى معاهدة سلام ! هل يعد هذا الجيش لمحاربة المسلمين ؟ أبدا ولا يمكن ! هل تنفق الأموال الطائلة فى تسليح جيشنا سفها وتبذيرا ؟ لا وألف مرة ، ولكن حق كل أمة فى الحياة يحتم عليها أن تكون قوية مرهوبة الجانب لا يعتدى عليها أحد أو يسلب حريتها .. هكذا فعل الإمام الشهيد إذ كانت مصر محتلة ، واليهود يطأون أرض فلسطين فأراد أن يلفت نظر المسلمين إلى أن الإسلام الضعيف الواهى المتخاذل يكون نهبة لكل ناهب ومطمعا حتى لشذاذ الآفاق ، ومن لا يستطيع الدفاع حتى عن نفسه . حقيقة أراد الإمام الشهيد أن يقيمها أمام أنظار المسلمين يوم أن وضع المصحف بين سيفين . إن هذا الشعار الذى لا يرضى أعداء الأسلام ، لايزال ألزم لنا من أى وقت مضى ..

اليهود احتلوا الجولان ، وغزوا لبنان ، ويهودون الضفة الغربية وغزة ، ويعتدون على المساجد ليحولوها إلى معابد يهودية ، وسيناء لا تزال مجردة من السلاح رغم كل ما يقال عن عودتها إلينا . لهذا وضع الإمام الشهيد العقيدة بين شفرتى السيفين ، حتى يظل المسلمون ذاكرين لكل بلادهم السليبة المنهوبة ، وسيظل هذا شعار الإخوان المسلمين إلى أن تحرر كل أرض إسلامية من إحتلال عسكرى أوسياسى أو اقتصادى أو فكرى ، وسيظلون يعدون أنفسهم لتحقيق قوله تبارك وتعالى :﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾ ..

## تطبيق شرع الله

فلتدبر لنا المؤامرات ، ولتبذل الجهود فى محاولة الصد عن سبيل الله ، ولتفعل بنا القوى الظاهرة والمحركة لها ما تشاء ، فليست هزيمة الداعية فى مطاردته واستغلال ضعفه ، ولكن

هزيمته يوم أن يَشُكَّ فى صدق وعود الله أو التفكير فى ترك ما عاهدوا الله عليه يوم أن بايع على الوفاء لدعوة الله . ستظل هذه البيعة قائمة ومتجددة لا تحديا لأحد ، ولا تدليلا على وجود تنظيم كما يزعمون .. إن كل أخ يبايع أخاه على المضى فى سبيل الله ، لا ترهبه قوة ، ولا يقعده سلطان ؛ لأن الله هو الذى بايعناه ، فإن إستطاعت القوة أن توقفنا عند حد معين ، فإنها أعجز وأعجز من أن تحول بين القوى القادر وإنفاذ مشيئته ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ . وكل شىء عنده بمقدار . لهذا وضع الإمام الشهيد المصحف بين سيفين ، وسيبقى هذا الشعار ، ما بقى على الأرض أخ من الإخوان المسلمين ، لأنهم يؤمنون بضرورة حماية العقيدة من الذين يحاولون النيل منها ، والاعتداء عليها ..أنها حماية بالقوة للدفاع فقط ، لا للاعتداء . فمن العجب حقا ، أن ينكر الناس حق المسلم فى حماية نفسه ووطنه وعقيدته .. أم إن القوة حلال لكل إنس وجن ، وحرام على الإخوان دون غيرهم . إن قيادة الإخوان لم تأمر طلبة الجامعة يوما بضرب مخالفيهم فى الرأى ، أما السادات ومن قبله — رحمنى ورحمهم الله — فقد طلبوا من أتباعهم فى الجامعة أن يضربوا إخوانهم الجامعيين ، ورغم ذلك فلم يجرؤ طالب منتم إلى أى حزب أن يمس واحدا من الطلبة الداعين لدينهم ، لأنه يعرف حجمه وحجمهم ، والنتيجة التى تترتب على ذلك !

وإذا عرضنا لقول الإمام الشهيد ( نحن حرب على كل زعيم أو رئيس أو هيئة لا تستجيب لدعوتنا ، وسنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق ) فإننا نرى خصوم الدعوة سلخوا هذه العبارة سلخا من بين خطب الإمام وأحاديثه ورسائله ، كمن يقول ﴿ **ولا تقربوا الصلاة** ﴾ ثم صدق الله العظيم .

إننا نعلم أن القرآن يكمل بعضه بعضا ، ولا يناقض بعضه بعضا ، فمن أراد أن يستخرج حكما من الأحكام ، إما أن يستند إلى آية واحدة دون غيرها فى الباب الذى يطرقه ، فهو أضر على الدين من جهلة القرآن و الحديث .

إن دعوة الإخوان قامت تنادى بكتاب الله وسنة رسوله بأسلوب الدعوة الْهَيِّنَةِ ، والكلمة اللينة ، والحجة المبينة ، فليس من المعقول أن يناقض المتمسك بهذه التعاليم نفسه داعيا إلى العنف والإرهاب ، إنما هى الأساليب اللغوية من كناية واستعارة ومجاز وتشبيه .. وكل ما جاء فى علوم البلاغة . فنحن حرب على من يخالف الكتاب والسنة ، حرب بأقلامنا وألسنتنا وجهودنا ، وهى حرب فعلا ، وقد تكون أفتك من الرصاصة و القنبلة . ثم ليس لدينا مدافع وطائرات حتى نقاوم الشرطة والأمن المركزى والجيش ، وحتى لو كان هذا فى أيدينا ، فلن يوجه إلى صدور المسلمين ولكن إلى قلوب أعداء المسلمين. المعتدين منهم والباغين .

ولو أنك استمعت إلى صعيدى مثلا يحقق معه فى قضية ضرب عادية لسمعته يقول : « جتلنى جتلته » أى ضربنى ضربته ، ولكن ما حيلتنا فى من يقول عن شراب اللوز أنه

« منقوع البراطيش » ! وهل من يقول « سأخرص خصمى » يريد بذلك أن يقطع لسانه ليكون أبكم ؟ . فهم غريب ، إنها الحمية الطاهرة ، والرغبة الملحة فى نشر الدعوة الاسلامية تحمل على الحماسة فى التعبيرات .. ألست معى فى أن كلمة « طيب » تخرج من فم المتحدث ولها معان متباينة كل التباين ، ويعطيها المعنى المقصود النبرة التى تخرج بها هذه الكلمة الرقيقة . قد تكون كلمة « طيب » موافقة وقد تكون استخفافا وقد تكون تهديدا .

إن الإمام الشهيد قام يدعو إلى تطبيق شرع الله فى كل ناحية من نواحى الحياة ، وألا يخرج أى تصرف عن هذه التعاليم . وشرع الله ينكر الديكتاتورية من أساسها . بل ويحاربها . هل بعد قول الله ﴿ **من شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر** ﴾ من قول ؟ وإذا كان الله جل علاه ينهى النبى ﷺ عن إكراه الناس على الدخول فى الإسلام ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ ، هل بعد هذا الوضوح عند داعية يدعو لله بهذه المثل ، يمكن القول أن حسن البنا يريد أن يفرض ديكتاتورية إسلامية ؟ وهل يقبل عقل مسلم أن يجمع بين الإيمان بالدكتاتورية درع الظالمين الأشرار ، بالشورى التى يدعو الإسلام عليها دعامة الأطهار الأبرار ؟

« وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل » . سيظل خصوم الإسلام على هذه الشائعات والأباطيل ، تشويها لحركة الإخوان المسلمين التى تفزعهم وتقض مضاجعهم ، وتسبب لهم « ارتباكا » فى أذهانهم.أما نحن الأخوان المسلمين ، فلا ندعى أننا وحدنا أصحاب الإسلام ، ولكننا من بين دعاته ، والذى يطيب نفوسنا بأننا على الحق ، نقمة الصليبية والصهيونية والشيوعية ، علينا وحدنا دون غيرنا من الجماعات الإسلامية فى كل أرجاء العالم .

أننا نقول بأعلى صوتنا ،وأوضح عباراتنا إننا دعاة للعودة إلى تعاليم الإسلام الصحيحة ، فنحن أجناد لكل من يدعو إلى ذلك ، نتبعه ونؤيده ، ولا نريد أن نكون رؤساء له أو زعماء . وكم فرحنا لما لجأت الأحزاب كلها عند الدعاية الانتخابية ، أن تجعل على رأس برامجها تطبيق الشريعة الإسلامية . وسيرينا القريب العاجل ، هل كان هذا دعاية انتخابية ، أو قناعة حقيقية ، وسيكشف هذا للرأى العام فتعرف الأمة كلها من الصادق الذى تحمل كل المتاعب فى سبيل هذا الهدف ، ومن غيره الذى لا يذكر الإسلام إلا عند حاجته إلى تأييد شعبى . وإذا كان هذا هو مذهب الأحزاب حقيقة ، فما بال بعض صحفها لا تدع يوما يمر ، دون أن تلحق بالإخوان مايسوء ولا يسر . إن مجال القول فى هؤلاء الناس طويل وفسيح ، ولكن الإخوان لا يضيعون أوقاتهم فى الرد على مثل هذه الترهات ، ولا يحبون أن يخرج من بين شفاههم ، أو أقلامهم لفظ نابىّ أو جارحٌ ، حتى ولو كان ذلك حصنا لهم ، أو دفاعا عن نفس .

إننا حريصون على أن نكون خير ابني آدم ﴿ **لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ، ما أنا باسط يدى إليك لأقتلك** ﴾ ..

هذا موقفنا مع الناس جميعا ، لا نبدأ أحدا بشر، ولكن إذا هوجمنا واعتدى علينا بلا مبرر ، فقوانين السماء والأرض تبرر لنا الدفاع الشرعي عن أنفسنا ، لا عن طريق فتنة تأتى على الأخضر واليابس ، ثم تقضى على الجميع ، ولكن كما قال الإمام الشهيد ( **نستعين عليهم بسهام القدر ، ودعاء السحر** )ويالها من أسلحة فتاكة ثبت،فعلها ولكن أكثر الناس لا يفهمون،إنما يؤمن بآيات الله **الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا خشعا وسبحوا بعظمة ربهم وقدرته ثم لا يتعالون عليها ولا يستكبرون** .

والدليل على ذلك أنه لما صدرت مجلة النذير فى مايو ١٩٣٨ معلنة بدء الكفاح السياسى للإخوان المسلمين فى الداخل والخارج علم الناس جميعا أننا نكافح ونناضل كفاحا ونضالا سياسيا لا إجراميا ولا إرهابيا ، ويوضح هذا أن كفاحنا لا يقتصر على وطننا،ولكن فى داخل البلاد وخارجها وما أظن أبله يمكن أن يتصورأننا سنحارب بالمدفع والطائرة أمم العالم أجمع ولكنها الدعاية والإعلام بكل وسائله .

هل يمكن لعاقل أن يتصور الإخوان المسلمين يحاربون أمريكا وروسيا ، ألد أعداء الإسلام وأقوى دول العالم ماديا على الأرض . ما بال الناس !! كيف يقدرون وكيف يحكمون ، إنها لا تضل العقول ، ولكن التعصب الأعمى ، وغيبة العقل المخلص تدفع بأصحابها إلى هاوية ما لها من قرار . إن كل ما نطلبه من خصومنا هو الإنصاف إن كان له اليوم من وجود .

القانون حكم بيننا وبين الناس ، فإذا أجرى تحقيق عادل غير موجه ولا مؤثر عليه ، وتثبت أدلة ، وأدلى باعترافات خالية من الإكراه والتعذيب فهنا يمكن لكل قائل أن يقول ما يشتهى من القول والدليل إلى جانبه . فليدع المتجنون هذه الإفتراضات وهذه المقولات و والشائعات ، فإن الله لا يصلح قول المفسدين ولا أعمالهم. « **والله من ورائهم محيط** » « **وكفى بالله وليا** » « **وكفى بالله نصيرا** » .

وسيرى القارىء فيما يلى إن شاء الله إن كان الإمام الشهيد يؤمن بالديمقراطية أم لا .. وسيرى كذلك منهج الإمام الشهيد للوصول إلى الحكم ، لا لذات الحكم ، ولكن لإصلاحه ،

وأبادر فأقول إننا جند وأعوان لكل من يبدأ فى تطبيق شرع الله بدءا متئدا عاقلا ورزينا ، يقدر لقدمه قبل الخطو موضعها ، حتى لا يكون التسرع والحماس ، سببا فى تشويه تطبيق التعاليم الإسلامية كما أرادها الله ورسوله .

# الحلقة الثامنة

- الوطنية كما نفهمها هي وطنية سيادة الإسلام .
- عندما طلب البنا حضورى الاجتماع بطربوش « مزيت »
- غضبت عندما انسحب حسن البنا من الانتخابات النيابية .

أكد الأستاذ عمر التلمسانى أن الإسلام دين إقناع وعقل ، قبل أن يكون دين امتشاق لسيف ، فالرسول ﷺ كان يدعو لدينه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهو لم يلجأ إلى إعداد قوة المسلمين إلا لإرهاب المشركين ، حتى يفكر الطامع الباغى مرة ومرات قبل أن تزين له نفسه العدوان على الذين آمنوا .. وهو لم يقاتل إلا دفاعا عن النفس ، حين حاولت قوى الشرك أن تلاحقه فى مهجره بغيا وعدوانا .

هذا ينكر المرشد العام للإخوان المسلمين منهج اللجوء إلى العنف فى مواجهة الحاكم حتى ولو كان فاسقا وظالما ، لأن الإخوان دعاة ، وليسوا ثوارا أو متمردين .

وفى هذه الحلقة يسلط الضوء على منهج الإخوان فى نشر الدعوة ، والطريق التى يرونها للخروج بالمسلمين مما هم فيه من ضعف ووهن وتخلف :

يقول عمر التلمسانى :

لقد تعلمنا على يد إمامنا الشهيد أن وسائل اليوم فى نشر الدعوة ، غيرها بالأمس ، فمن واجب الدعاة أن يتقنوا استعمال كل أجهزة الاعلام ووسائله بما فيها المسرح والسينما والتليفزيون ، حتى يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم ، عن طريق الوسائل المستعملة فى عصرنا الحديث ، ذلك لأن العالم فى أيامنا هذه يعيش دوامة من الآراء والنظريات ، مستخدما فيها

كل وسائل الإعلام الحديثة ، وهذا ما يجب على الدعاة الإسلاميين أن يستعملوه ويتقنوه ، لأن دعوتهم دعوة إسلامية تشمل كل ضروب الحياة ولها فيها أحكام مقررة ، وليس بيننا وبين الناس إلا أن يطلعوا اطلاع الباحث المدقق فى كتاب الله كى يستطيعوا أن يفهموا كلمة « إسلامية » بمعناها الواسع الفسيح .. لأن كتاب الله كما يقول الإمام الشهيد والدعاة من قبله ، هو أساس الإسلام ودعامته . أما سنة رسولة ﷺ فهى شارحة للكتاب ومبينة ، وأما سيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم فهم منفذوه بطاعة أوامره ، والانتهاء عن نواهيه ، وهم المثل العملية ، والصورة الماثلة لهذه الأوامر والتعاليم ، بذلك نستطيع أن نقف من الدعوات العالمية موقف المنصف ، ما وافق إسلامنا فمرحبا ، وما خالفه فمرفوض تماما .

نحن فى الشرق ، وتحت النير الغربى المستعمر ، نفهم الوطنية فهما خاطئا ، حيث نادى بها الزعماء والخطباء بفهم بعيد عن الإسلام .

وللإمام الشهيد فى هذا مقالة :

إذا كان المقصود بالوطنية حب البلد التى ولد الإنسان على أرضها وطعم وشرب من خيرها ، فذلك أمر نظرى فى نفس كل أبى شريف ، « وعلى العين والرأس » . وإن كانت الوطنية والقومية وجوب التضحية بكل شىء فى سبيل تحرير الوطن الإسلامى من غاصبيه ، وغرس مبادىء الحرية والعزة فى نفوس أبنائه ، فالإسلام يدعو إلى ذلك ويحض عليه ومرحبا به ، وإن كانوا يريدون بها توحيد صفوف الشعب وتقوية الروابط بين أفراده ، حتى يتمكن من حماية وطنه ، فما أجمل هذا . أما وطنية سيادة الإسلام فذلك مطلب عال جليل .

## شعارات طنانة

أما إذا كان المراد بالوطنية هذه الشعارات الطنانة التى تعج بها بعض الصحف والمجلات وأجهزة الإذاعة ، التى تضع فى أذهان الشباب شعارات الأحزاب التى ليس من ورائها إلا الإتهامات ، وتمزيق وحدة الأمة إلى فرق تتناحر وتتشاتم ، ويتهم البعض بها البعض الأخر ، والتى تصرف الشعب عن أخطر قضاياه المصيرية ، وتغرس العداوة والشقاق بين أبناء الوطن الواحد ، وأعداؤنا من كل شكل ولون ، يستغلون ويستفيدون ، فهذه وطنية لا يعرفها الإخوان ، وإن سمعوا بها ، وعانوا من شرورها ، فإنهم لا يقرونها فى أى حال من الأحوال . وأمامنا الأحزاب فى البلاد القوية المتقدمة ، أبعد ما تكون عن إلصاق العمالة والخيانة ببعضها البعض . إنهم يختلفون على الجزئيات والفرعيات ، أما إزاء قضاياهم العامة فهم صنف واحد إذا اقتضى موقف ، أوحزبهم أمر .

ألم تر أن تشرشل الذى كسب لبريطانيا أخطر الحروب ، وعرفوا له فضله ، فأحلوه المكانة التى تليق به ، واشترك فى هذا التكريم المحافظون والأحرار والعمال،هذا العملاق أسقطوه فى أول انتخابات جاءت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، معرفة بأنه أدى دوره الذى قام به ، غير أن الأمة فى حاجة إلى إسلوب اخر فى الحكم غير أسلوب تشرشل،وتلك روعة وعى شعبى لها قدرها ، وياليتنا نتقنها ونعمل بها .

حدود الوطنية عند الإخوان مقيدة بالعقيدة ، لا بالحدود الجغرافية حيث نؤمن بأن كل بلد مسلم هو وطننا الذى نجاهد من أجله ونعمل لحمايته ، لأن كتاب الله ، وهو منهاجنا يقرر ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون**﴾ . إننا لا نرضى . أن يستغل شعب مسلم شعبا مسلما آخر أو يحتل بلاده ، أو يفرض عليه إرادته ، فأهل مكة أعرف بشعابها ، ولكننا نريد الخلافة التى تلم شعث مئات الملايين من المسلمين فى كل بقاع الأرض .

نحن أشد الناس تفانيا فى وطنيتنا وحب الخير لبلادنا ، حتى ولو لم يفهمنا الناس ، حتى ولو أساؤا الظن بنا ، لأننالا نجرى إلا وراء اكتساب رضاء الله فإذا لم يكن به غضب علينا فلا نبالى . أرأيت لو أن المسلمين كانوا أمة واحدة . ذات قيادة موحدة ، أكانت إسرائيل ومن وراءها يستطيعون أن يفعلوا بفلسطين وسورية ولبنان ما يفعلون ، والبقية تأتى إذا ظل المسلمون على ماهم عليه من قطيعة وشقاق ؟

إن الولايات المتعددة فى أمريكا الشمالية ، استطاعت أن تتوحد تحت حكم رئيس جمهورية واحد يرأسها جميعا ، على اختلاف نظمها وقوانينها ، فكيف يعاب على المسلمين ، ما يعتبر حكمة وفخارا عند غير المسلمين ، ألا إنها لا تضل العقول ، ولكن تضل الأهواء والأغراض .

## كيف نفهم القومية ؟

ويرى الإخوان فهما من تعاليم إمامهم الشهيد ، المقتبسة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده رضوان الله عليهم ، ومن إجماع السلف الصالح ، أن القومية هى الإجماع على خير الوطن الإسلامى كله دفاعا وجهادا وبذلا ، وتضحية من أجل المجموع كله . إما قومية الجنس الآرى أو اللاتينى أو غيرها التى يراد بها تمييز جنس على جنس ، والتى تبنتها إسرائيل بمقولتها إنها شعب الله المختار ، فهى ممقوتة من الإخوان لأن الناس جميعا لآدم ، وآدم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم ...

إلا ما أبعد البون الشاسع بين فهم وفهم فى معانى الوطنية والقومية ، أما الخلافات المذهبية بين المسلمين فهذا أمر كامن فى العقول البشرية ، فقد اختلف أحمد ومالك والشافعى وأبو حنيفة على الفرعيات دون المساس بالقواعد العامة والأصول الأساسية ، ولا اعتراض لنا على ذلك بالمرة ، مادام الأمر لا ينتهى إلى التمزيق. إن كل المذاهب عندنا« **على العين والرأس** » وكل الجماعات الإسلامية محل الاحترام والتقدير ، لا يذهب خلافنا معها فى الرأى إلى حد الاتهام أو التشويه أو الإساءة ، فكل يعمل فى محيطه ، وكل على خير ، حتى الأحزاب الحالية،إننا لا ننكر عليها إلا أساليبها ووسائلها فى تزيين مبادئها والنيل من غيرها ، ويوم أن ترجع كل الأحزاب إلى كتاب الله فى الأصول والقواعد ، وتهجر هذه الأساليب ، فإننا لا ننكر عليها شيئا بالمرة . ولا نعتبر أنفسنا بهذا الفهم ، ونحن مسلمون ، أننا تجنينا على أحد ؛ فهمنا الأول والأخير ارتباط الجميع بشرع الله عند المسلمين ، أما غير المسلمين فقد أمرنا أن نتركهم وما يدينون . وقد اعتبر الله أن ما هم عليه دين ، حيث يقول فى ( **سورة الكافرون** ) ﴿ **لكم دينكم ولى دين** ﴾ وإن كان اللهبجلاله قرر « **إن الدين عند الله الإسلام** » ولا تناقض ، فذلك يعاقب الله عليه ، وهذا دين يثيب الله عليه . وينظر الإمام والإخوان من حوله إلى الفتن التى تحيط بالإسلام و المسلمين كقطع الليل الحالك البهيم ، ويبحث عن ثغرة يمكن من خلالها أن نتلافى هذا الشر الذى يزحف على الإســلام والمسلمين، الحكام منهم والمحكومين ، فتضطرب منه الأبصار ، ونسأل إمامنا : ما المخرج ؟ ما العلاج ؟ فيبتسم إبتسامة مشرقة هادئة مطمئنة ، فاسمعوا وعوا واقرأوا وتبينوا ، وتطالعنا إحدى رسائله ، بأسلوبه السهل الممتنع ، فى يقين المقنع المقتنع ، لقد سبقتنا أمم بمثل ما نحن عليه ففكرت ودبرت وعملت ونجحت، ويرى فضيلته أن علاج الوهن الذى حل بنا وأصابنا وجعلنا فى حيرة ، يتلخص فى ثلاثة من الأدوية المجربة الناجعة ،أولها معرفة موطن الداء لأن تشخيص الداء والوصول إلى حقيقة أمره ، هو الأساس الأول فى الوصول إلى شفاء المريض إذا أراد الله وثانيها الصبر على مرارة العلاج وآلامه ومضاضته . وثالثها : النطاس البارع الذى فحص فشخص ، وباشر العلاج وتولاه حتى يتحقق الشفاء . وينجو الجسد المضنى من كل داء .

## عناصر التخلف

قلنا : هلا بينت لنا موضع الداء ؟ .

قال : داؤنا متعدد الجنبات :

١ ـــ الاستعمار سياسيا .

٢ـــ الحزبية المتناحرة التى أدت إلى تفريق الأمة

٣ـــ الربا المنتشر فى كل مكان .

٤ــ الشركات الأجنبية التى تمتص خيراتنا ومواردنا .
٥ــ الفوضى الفكرية والمروق العقيدى وتحطيم المثل العليا .
٦ــ التقليد الغربى الأعمى الذى يسرى فى النفوس سريان سم الأفعى القاتلة .
٧ــ القوانين الوضعية التى لم تمنع الجريمة أو تقطع دابر المجرمين .
٨ــ التخبط الكامل فى برامج التعليم .
٩ــ مظاهر اليأس التى تستهدف العزائم والهمم .

وبذلك نراه قد عدد لنا « **الخوازيق** » المليئة بالصديد المؤدى إلى تلف الجسم كله .. سياسيا واقتصاديا وفكريا واجتماعيا وقانونيا وتعليميا وتربويا . وما أدق هذا من تشخيص جمع فأوعى ، ولولا ضيق المجال لفصلت كل واحدة من هذه تفصيلا .

تحبب إلى تلامذته فأحبوه ، وكان يرسل الشاب منا فى سن الخامسة والعشرين أو أكثر أو أقل ، ليقابل الوزراء فى البرلمان لا فى مكاتب الوزراء فكان الواحد منا يذهب إلى مهمته وكله ثقة بنفسه ، وحرص بالغ فى تأدية الرسالة ، والرجوع بنتيجة طيبة .

لقد ملأ بالأمل نفوسنا ، وبالعزة مشاعرنا ، وبالكرامة أحاسيسنا . يقول إن كل ما حولنا يبشر بالأمل فى نصر مؤزر ، فقد أحيا الله موات الهمم ، وأصبح الشرق يغلى غليانا ، لابد أن ينتج بخارا يحرك ألات الصلب والحديد . ولو أنه عاش إلى اليوم ، لرأى من الشباب المسلم ، ما يبعث فى نفسه الطمأنينة على هذه الدعوة الطاهرةالنظيفة . ولعله يأتى فيما أكتب بقية الأمور التى أدت إلى نجاح هذة الدعوة ، التى حركت القلوب الواهنة التى لا تكاد يسمع نبضها أو يحس ، إلى قلوب تدق دق المطرقة على السندان ، يسمع صوتها ، ويحس بها ، وتغيظ قوما لا يريدون بالإسلام والمسلمين خيرا ، إن كلمة الإسلام التى تترددفى كتاباتى تأتى تجاوزا ، لأن الإسلام لم يهن ، ولن يزول ، وسيبقى ما بقيت الأرض والسموات ، لأن أقدر القادرين قد تعهد ببقائه ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ هذا أمر لا يخامرنا فيه ريب ، فكلامى كله متعلق بالمسلمين الذين يَعِزُّونَ إذا تمسكوا بشرع الله ، والذين تستباح حرماتهم وكراماتهم ، كلما ابتعدوا عن تعاليم الإسلام مظهراومخبرا ، وأسأل الله من كل قلبى ألاتصل إلى : « **لقد أسمعت إذ ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى** »

ويتساءل الناس إلى أى شيء يدعوهم هذا الداعية المجيد ؟ يقول لهم إن الناس صور متخالفة . منهم من يحب الأكل والمتعة ، ومنهم من يحب الزينة ، والعرض الزائل ، ومنهم محبو الفتن والمفاسد ، ومنهم ومنهم ومنهم .. ومن المناسبات الطريفة أن أعضاء مكتب الإرشاد ، وكنت واحدا منهم ، قالواللإمام الشهيد ، إن عمر حريص على انسجام مظهره ( وعوجة الطربوش على الحاجب الأيمن ) ولا يحرم نفسه من متع الحياة ، فإذا به يوما فى اجتماع من الاجتماعات للمكتب يبادرنى قائلا : تعال إلى الاجتماع بحذاء قديم وطربوش مزيت وانعدام

هندام ، فذهلت وقلت : وهل هذا من بين أوامر الدعوة ؟ فقال : هكذا يريد إخوانك ، وكأن الله حرم زينته والطيبات من الرزق على المسلمين ، وكأن الله لا يريد أن يرى أثر نعمته على عبده ، وكأن الله لم يجعل للمسلمين نصيبا من هذه الدنيا ، وكأن المسلم يجب أن يبدو زرئ الهيئة مشوش الهندام ، منفر المنظر ، هل نسينا : ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾ .. وكان درسا وعيناه جميعا . وكنت من المدخنين وشكا إخوان المكتب من هذا .. فقلت للإمام الشهيد : إما أن تأمرنى فأقلع ، وإما أن تسكت فأستمر .

فقال : لاآمرك ولا أنهاك . إن فضيلته كان ينهى عن تناول المكيفات حتى الشاى والقهوة . ولكن لعله لمس فى طبعى عنادا ، فلم يرد أن يحرجنى أو يضعنى فى ركن فأنفلت . أليست هذه تربية ؟ فأنا اليوم لا يرانى الناس من المدخنين . إذا كان راضيا قال : يا عمر . وإذا كان هناك مايغضبه منى قال : ياأستاذ عمر أو ياعمر بك . فأعرف ذلك منه ، فأسأله « ليه » .. ماذا حدث ؟ ولكن من الناس من يحسن الصلة بالله وبالناس وبنفسه ولقد كان إمامنا الشهيد من هذا الصنف الذى وهبه الله القدرة على أخذ نفسه بالأشد الأحوط ، كما منحه خلقا يحبب فيه كل من يعاشره بمثل ماأشرنا إليه سابقا ، وفوق هذا كله فما أجمل صلته بربه ، فهو يراقبه فى الصغيرة والكبيرة ، فيعينه على ألا يهن أمام الصعاب أو يقترب اليأس من تحقيق آماله ، كل شىء عنده هين ، وييسره الله بالاعتماد عليه ، ومن الناس من جعل حياته كلها وقفا على دعوته ، هى أولا .. وكل شىء فى المحل الثانى .

إن مهمة المسلم أستاذيته للعالم ، لا أستاذية تعال وتسلط ، ولكن أستاذية تربية وتوجيه وتعليم . والمسلم الذى يجهل هذه الأستاذية المضحية الباذلة ، لا يعرف قيمة الرسالة التى يحملها ، والتى أمر بالدعوة إليها . قيل للأمام الشهيد « متى تنام ؟ » قال : وهل تركت لنا أعباء الدعوة والرسالة وقتا ننام فيه ، أليست الواجبات أكثر من الأوقات ؟ وصدقنى إذا قلت إنه كان يكفيه من النوم أربع أو خمس ساعات على الأكثر يوميا ،وحقيقة الأمر عنده أن الغاية هى الأصل ، وما الأعمال إلا فروع لهاءفمهمة المسلم عنده سيادة الدنيا وإرشاد الإنسانية بأجمعها إلى نظم الإسلام الصالحة وتعاليمه التى لا سعادة للبشرية بغيرها .

## الإنجليز يهددون النحاس

ولئن تساءل الناس ، وهم دائما يتساءلون : من أين ينفق هؤلاء الفقراء ؟ .. فيرد عليهم الإمام الشهيد إن الدعوة الدينية عمادها الإيمان قبل الأموال . فإذا وجد المؤمن الصحيح الإيمان ، توفرت كل وسائل النجاح . كنا نستأجر الشقق لتكون مركزا عاما

للدعوة ، فإذا بالقروش التى يدفعها كل أخ من دخله الضئيل تعين على شراء قصرين فى الحلمية الجديدة ، وقصر فى شارع محمد على ، وشركات وشركات وشركات لو عوضوا عنها . بعد أن صادرتها الحكومات الظالمة ، لبلغت العشرات من الملايين . الرجال هم الذين يأتون بالمال ، وليس المال هو الذى يأتى بالرجال .

إن الإخوان آمنوا بدعوتهم ، فهم ينفقون من مالهم وغيرهم دخل هنا أو هناك ليغنم أو يستفيد ، وشتان ما بين الموقفين، ولهذا نجحت دعوة الإخوان ، وانتشرت فى كل أرجاء الأرض ، رغم ما لاقته من محن ، ورغم ما حل بها من ضربات قاصمات ، لو أصابت غيرهم لأصبحوا أثرا بعد عين ، لكن من يكن الله طلبته ، فإنه بالغ غايته .

وظن المتحاملون أن مطالبة الإخوان بإصلاح قواعد الحكم ونظمه ، سياسة ! ويا له من ظن .

إن كانت الدعوة إلى جعل شرع الله سياسة ، فنحن نعتبرها سياستنا . وإن كان من يدعوكم إلى التمسك بكتاب الله سياسة ، فنحن أساتذة فى السياسة ، وإن أصررتم على أنها سياسة ، فلكم ما تقولون ، ولنا ما نعمل ، وكل ميسر لما خلق له . لقد رشح إمامنا نفسه للانتخاب مرتين ، فثارت ثائرة المحتلين ، وطلبوا من النحاس باشا رحمه الله ، أن يتنازل الأستاذ عن ترشيح نفسه فى الإسماعيلية ، فطلبه لمقابلته فى « **ميناهاوس** » ودار بينهما نقاش طويل ، فلما رأى النحاس باشا إصرار الإمام الشهيد على المضى فى المعركة الانتخابية .. كشف له النحاس باشا عن التهديد البريطانى ، وأن الوطن معرض لأخطار جسيمة ، وهنا رضى الإمام بالتنازل عن الترشيح ، درءا للأخطار التى يتعرض لها الوطن بسبب الاستمرار فى المعركة الإنتخابية ، وقد غضب الإخوان من هذا التنازل ، وكنت من بين الغاضبين ، فانقطعت عن التردد على المركز العام ، فلما افتقدنى فضيلته سأل عن السبب ، فقيل له إننى غاضب لانسحاب فضيلته من المعركة . فأرسل إلى خطابا يستدعينى لمقابلته ، فرددت عليه بخطاب فحواه عدم الجدوى من مقابلته ، لأننى لا أسمح لنفسى بمناقشة قرار اتخذه . فأرسل إلى المرحومين الأستاذ عبد الحكيم عابدين والحاج عبده قاسم ، فحملانى من شبين القناطر حيث لقيته وأقنعنى حقا ، فاقتنعت يقينا ، وعدت سيرتى الأولى فى التردد على المركز العام ، وفى الترشيح الثانى ، بذلت سلطات الاحتلال كل جهودها حتى أسقطته عند فرز الأصوات بسبب التزوير والإرهاب الذى لم يحل بين الناخبين وبين تأييدهم لفضيلته ، لولا التزوير فى نتيجة الانتخاب . وهكذا شأن الإخوان مع مرشدهم ، يناقشون ويتبينون ، حتى إذاما اقتنعواأو صمم المرشد على رأيه ، نزلوا جميعا عند قراره إيمانا منهم بأنه الخير الذى شرح الله صدره ، ويكون النزول عند قراره تسليما قلبيا بما ارتآه .

لا تنس أيها القارىء أن ما أقوله مستمد من رسائل الإمام فهما أو نقلا . إن الله جل

شأنه هو الذى يختار لهذه الدعوة الطاهرة البريئة ، فلما كان الأمر أمر تربية وتوجيه ، وربط المسلم بربه برباط العقيدة الذى لا يتزلزل ولا ينفصم ، لما كان الأمر أمر تأليف رجال يحملون الدعوة ، لا أمر كتب تحملها أرفف المكتبات ، لما كان الأمر أمر إيقاظ قلوب ، وتنبيه عقول ، وإيجاد الطائفة التى لا تزال قائمة على الحق ، لما كان الأمر أمر تجميع وتكوين وتوحيد مفاهيم أمة مسلمة ، لما كان الأمر أمر عودة المسلمين إلى الإيمان بأنه لا عزة لهم ولا كرامة إلا بإحياء فريضة الجهاد من جديد ، لما كان الأمر كذلك ، اختار الله لهذه الدعوة إمامها الشهيد حسن البنا . ولما كان الشأن شأن صبر وصمود وجلد ، لما كان الشأن شأن مواجهة الظلم والباطل فى رجولة وصبر واحتمال .. لما كان الشأن شأن إخراج تعاليم هذه الدعوة إلى حيز التطبيق العملى والتنفيذ الفعلى ، لما كان الشأن شأن مواجهة الداعية للحاكم الظالم فى رجولة إسلامية كاملة ، لما كان الشأن حفظ هذه الدعوة تحت قيادة مجاهدة مرضية راضية ، اختار الله لهذه الدعوة مرشدها الإمام « **حسن الهضيبى** » عليه رضوان الله.

## الرجال معادن

وهنا أقول إن مصر كلها لم يكن فيها إلا رجلان تبينا حقيقة جمال عبد الناصر ، وما هو مكتوب على جبهته .. هذان الرجلان هما المرحوم فضيلة الأستاذ حسن الهضيبى المرشد الثانى للإخوان المسلمين . والثانى السيد فؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد .

ولما كنا فى السجن الحربى عام ١٩٥٤ ، وكانوا يوقفوننا صفوفا لنردد مع أم كلثوم إغنية « **ياجمال يامثال الوطنية** » ويوقفون الشهيد عبد القادر عودة موقف المايسترو من الفرقة الموسيقية ، جاء أحد ضباط السجن إلى فضيلة المرشد الهضيبى وطلب منه أن يقف « زنهارا » وأن يضرب الأرض بقدمه بشدة . قال له الأستاذ الهضيبى رضوان الله عليه : لاتخف ، سأضرب الأرض بقدمى لا لتخرج بطيخا ، ولكن لتخرج بترولا .وهكذا لم تفته الكلمة الساخرة بالظالمين وهم فى ذروة قوتهم . إنه لم يستجد ولم يسترحم ، ولم يقل للظالم ما شاء الله وشئت ! والرجال معادن . لقد كان فيض الإيمان ، ونبع الثقة بالله فياضا فى قلوبهم ، فثبتهم الله وحفظ دعوته على أيديهم .

لابد وأنا أكتب هذه المذكرات أن أعرض للدعوة ـــ دعوة الله ـــ التى أوجدتنى من عدم ، وجعلتنى أفهم طعم الحياة ، كيف لا ، وقد أوضحت لى الدعوة أن مهمة المسلم ليست مقصورة على أركان الإسلام فحسب ، ولكن علينا أن نفعل الخير بكل صوره ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، حتى ولو فقدنا القوة المادية ، وأن نهجر الشر ، وأن نجاهد فى سبيل إنقاذ الإنسانية من كل شرورها وما يحل بها ، بالدعوة إن قبلوا ، فإن أبو ومنعوا ، فليس إلاّ

الكفاح الحربى بيننا ، وهم الظالمون ، ونحن المدافعون ، ولا مناص من حراسة الحق ولو بالقوة ، وهو الأمر المشروع فى القوانين الوضعية والسماوية ، ولسنا نبدأ من فراغ ، فلابد للداعية من نفس قوية تأبى الذلة والخنوع ، وتسعى إلى معالى الأمور بإرادة قوية ، ووفاء ثابت ، وتضحية شاملة ، ومعرفة بالمبدأوإيمان به ، وتقدير له ، واستماتة فى سبيله ، ولم تَتَرَدَّ شعوب فى هاوية المهانة والاحتقار ، إلا عند فقدها لكل هذه المعانى الجليلة ، التى لا كيان لشعب بدونها ، ولئن كان هناك من لم يرقه شيء من هذا أويستسغه ، فإننا نقرر صادقين بأنه ليس هناك من طريق آخر ، لنكون أمة قوية عزيزة إلا هذا الطريق الشاق الطويل ، الذى لا يُقدر على اجتيازه ، واحتمال مشاقه ، إلا من أراد الله به خيرافهداه إلى هذا الطريق ، وأعانه على اجتيازه لا فى صبر فقط ولكن فى رضاء كامل .

قد يتوهم البعض أننا قوم نظريون ، ولسنا عمليين على الإطلاق ، ولكن الناس أعداء ما جهلوا ، لن تجد حزبا أو هيئة أو جماعة أو جمعية فى مصر ، لها من الأمور العملية الواقعية ما للإخوان المسلمين ، وإنى أقدم من رسائل الإمام الشهيد أمثلة لااستقصاءً ، فأسأل عن منشآت الجماعة فى الإسماعيلية وفى شبراخيت وفى المحمودية وفى القاهرة وغيرها،مؤسسات اقتصادية وتجارية ومصانع نسيج وشركات فى مختلف ضروب الصناعة والتجارة والزراعة ، ولولا المصادرات المستمرة من الحكومات لكان الإخوان يمتلكون أكبر الشركات والمصانع والمعامل فى منطقة الشرق الأوسط . ولو نظرت اليوم إلى كثير من الشئون العملية كالبنوك وغيرها ، لوجدت وراءها العديد من الإخوان المسلمين ، حتى الصحافة والمطابع والنشر لنا فيها دور غير منكور .

هذا غير الدروس والشعب والرحلات والزيارات ، كل ذلك من صميم قروش الإخوان ، الذين يشرفهم أنهم لم يتلقوا مددا أو معونة من غير أخ مسلم ، اللهم إلا خمسمائة جنيه تبرعت بها شركة قنال السويس مساهمة فى إنشاء المسجد هناك ،هذا إلى أن الاشتراك المالى فى الجماعة على سبيل التطوع لا عن طريق الإلزام . والإخوان عمليون بدعوتهم المسلمين إلى الجهاد،لأنه سنام الأمر وذروته فى هذا الدين ، ولو كلفنا حياتنا ، إذ ما قيمة حياة قوامها الجبن ، والحرص على الحياة ولو بمذلة ، وما قيمة الإمعة الذى يسير فى كل ركب ، وفى ركاب كل ظالم ، إنه الموت الحقيقى .

**« ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء » .**

إن الجهاد واسع الجنبات ، فمن الجهاد ، الحسرة على ما وصل إليه حال المسلمين ، ومن الجهاد الغيرة المؤرقة لتقبل هذا الضيم والسكوت عليه ، ومن الجهاد الاهتمام بشأن المسلمين وتفقد أحوالهم ، والتفكير فى الخلاص ، ومن الجهاد الإنفاق من مالك ووقتك وصحتك فيما ينفع المسلمين ، ومن الجهاد أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . ومن الجهاد

أن تتنكر لمن يتنكر لدينك وتشمئز منه . ومن الجهاد أن تكون فى صف البنيان المرصوص ، وأيضا كل شىء فيك وعندك لله ، ومن الجهاد أن تحب المجاهدين وتدعو لهم إن قعدت عن مناصرتهم والعمل معهم ، ومن تمام فضل الله أن كل نوع من أنواع الجهاد يفضى إلى النوع الآخر ، مما يسهل الأمر على كل مسلم أن يعدمن بين المجاهدين ويجمعها كلها قوله تبارك وتعالى : ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾ ولا حجة بعد ذلك لمسلم ، ألا يكون من بين صفوف المجاهدين .

* * *

# الحلقة التاسعة

- نلزم الأمة بالجهاد ونطالب بالنهوض بالرجل والمرأة معاً .
- نرفض مظاهر الفرقة ونعمل على تأكيد وحدة الأمة .
- هدفنا تحرير الأمة من أى سلطان أجنبى .

رغم الاختلاف مع الأستاذ عمر التلمسانى حول منهج كتابته للمذكرات حيث كان من الأفضل التركيز على الأحداث والوقائع ، التى هى نبض التاريخ وعناصره الأولية ، انطلاقا من رؤية صحفية ، فقد رأى فضيلته أن المذكرات يجب أن تكرس لتسجيل المبادىء التى يعتنقها ، على أن يقوم بالتدليل على صحة أقواله من خلال أحداث عاشها أو عايشها ، وقرر أن يتقدم بالإدلاء بشهادته فيها .

وهو يريد ألا تكون مذكراته مادة لإشباع فضول القراء ، تنتهى فاعليتها بمجرد انتهاء القارىء من السطر الأخير فى الحلقات .. لكنه كداعية يريد أن يوظف الحدث التاريخى لخدمة العقيدة والرأى اللذين انطلق منهما .. حتى ولو كان ذلك خروجا على المألوف الذى تعوده قارىء المذكرات فى الصحافة العربية . ونحن فى النهاية نرى أن الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية .

وهو يستهل هذه الحلقة التى يوضح فيها « المنهج الاجتماعى للإخوان » بتسجيل رأيه حول هذه المسألةالخلافية بالنسبة لتكنيك كتابة المذكرات .

يقول الأستاذ عمر التلمسانى :

قد يفضل القارىء الذى يقرأ مذكرات من أى نوع أو لأى ممن يكتبون المذكرات ، أن

يقرأ أحداثا ووقائع ، ولكننى لا أذهب هذا المذهب ، فالأحداث والوقائع تستميل الذين يحبون التاريخ ، ولا يميلون إلى علم التاريخ نفسه . والعلم بالأحداث والوقائع ، قد يطويه النسيان ، لأن الإنسان ما سمى إنساناإلا لكثرة النسيان ، كما يقول البعض . ولكن المذكرات التى تجمع بين بعض الأحداث ، وبين الرأى والفكرة والعقيدة ، لأنها ضرب من ضروب العلم الذى نفتقده فى كثير من المذكرات التى تستهوى جانبا كبيرا من القراء ، لما مر بهذا أو ذاك . فإن شعر القارىء ، أو أحس الناشر بالملل أو عدم الفائدة ، فما ذلك بذنبى لأنى أوقفت قلمى على الدعوة إلى الله ، بالأسلوب الذى أكون فيه صادقا مع نفسى ، أما إرضاءالقارىء أو الناشر فأمر ليس له فى موازينى من حسبان ، سواء راجت المذكرات ، أو لم ترج ، ولكل وجهة هو موليها . هذا إلى أن مذكرات الأحداث والوقائع كثيرا ما تتأثر بالأهواء وبعض المواقف أما مذكرات العقائد ، فليس للأهواء إليها من سبيل،لأنها مقيدة بكتاب وسنة وإجماع . فأنت كصاحب كتاب ما فرط فيه الله من شىء ، ملزم بالإكثار من تلاوته والتعبد به لصاحب العزة والجلالة ، وأنت محمول على أن تجعله مصدر الفكر والعمل عندك لحاجات الدنيا ومطالب الآخرة ، والذى لا يلفت النظر إلى هذا فى مذكراته ، فإنه لم ينصحك ، ولم يدلك على طريق النجاح ، وهما فى تقديرى من أهم دوافع الحرص على تسطير المذكرات.من أجل هذا كان من أهم مايلزم به الأخ نفسه أن يكون له ورد قرآنى كل يوم ، لا يصرفه عنه أى صارف من الصوارف . لقد كان الالتزام السبب الأول فى صبر الإخوان فى السجون على مشاقها ومتاعبها ، فى حين نرى المسجونين من أصحاب الرأى ، يعروهم مظهر الضيق والكآبة فى السجون ، وكنا نلتقى على السمر البرىء فى غياهب السجن حتى يظن الناس أننا غير شاعرين بما نحن فيه .

## درس فى المصارعة

جاءنى الأخ محمود زينهم ، ونحن فى سجن الواحات ، يقول : سنقيم فى الغد سهرة نسمر فيها سمرا نظيفا ، ومن بين فصوله فصل للمصارعة الرومانية ، وأنا كما تعرف من أبطال هذه المصارعة فى مصر . قلت : وما شأنى بالمصارعة وأنا لا أعرف « البراولية ! » ولا الجذبة الخاطفة .

قال سأعطيك درسا مبسطا ، وفى السر دون أن يعلم أحد ، وعندما يأتى دور المصارعة ، سأنتقد المصارعين القدماء فتتحمس لهم ، وتندفع إلى الحلبةمهاجما لى ونلتحم ، وبعد بضع دقائق ، تمسك بعنقى ، فأستجيب لك ، وتلقى بى إلى الأرض ، وتضع قدمك على صدرى ، وتنفض يديك، وكأنك فرغت من عمل بسيط . وتمت اللعبة ، وانبهر

الأخوان ، وصفق جنود الحراسةوكانوا يحضرون الحفل . وفى الليلة التالية كانت تمثل رواية وعظية دينية ، وافتتحتها بكلمة ، فقال جندى لزميله : أترى هذا الرجل العجوز الذى يتحدث لقد صرع بطلا من أبطال المصارعةفى مصر ، وسمعهما أخ كان يجلس إلى جوارهما فنقلها إلى ، وكانت تسرية . وكان سجن الواحات فرصة لمعرفة أخلاق رؤساء سجنه . فمنهم من كان يتشدد إلى حد الحرمان من الخروج من الزنازين إلا لقضاء الحاجة ، إلى جانب مايختصنا به من دور شتائمه واتهاماته ، حتى إن عسكره يسموننا« مختلسى الدولة » . ومنهم من كان يترك الأمور تسير فى مجراها الطبيعى دون تعقيد .

ولقى الجبارون منهم ربهم دون أن يحظوا بالاستثناءات التى كانوا يأملونها من وراء التشدد معنا ، فضاعت منهم الدنيا والآخرة على السواء . ومن فضل اللهأننى ما كنت أشعر بضيق السجن ، إذ اعتبرته قدرا من أقدار الله التى لاتتخلف ، وحمدت الله أن لطف بى فى قضائه فأدخلت السجن فى تهمة تشرفنى وأعتبرها وساما وضاء على صدرى ، ولم أدخله فى تهمة تمس شرفى أو تحط من قدرى . وكنت من أشد الإخوان عطفا على الذين عجزت طاقتهم عن تحمل أعباء السجن ، فقدموا الالتماسات والرجاء إلى من ألقى بهم فى صحراء الواحات . وبلغ الأمر أن بعضهم كان يأتينى على استحياء يخبرنى بأنه يريد أن يؤيد ولكنه يتحرج من الإخوان و يريد دفع هذا الحرج بأنه استأذننى فى هذا التأييد ، وما كنت أضن على أحدهم باستجابة هذا الرجاء ، لتأكدى من أن من دار بخلده أن يؤيد فلن يرده شىء ، وكنت أحب أن أحفظ عليه ماء وجهه ، ولعل كل هذا كان من نتائج إقبالى على القرآن وحفظه ودراسته . وما كنت تجد أخا فى سجن ، إلا ومعه مصحفه .

لقد أهملنا الصلة بكتاب الله فأهمل شأننا ، وظننا أننا نحفظ القرآن ، وهو الذى يحفظنا ، ولسنا نحن الذين نحفظه كما نزعم وندعى . ولو أن حكومتنا عنيت بمبعوثيها إلى الخارج فألزمتهم بحفظ القرآن ومدارسة علومه ، قبل أن تلقى بهم فى خضم مغريات الغرب ، لما أفسدت أفكارهم فظنوا بدينهم الظنون ، ولما ضلت عقولهم فعادوا إلينا يحملون مظاهر مدنية تافهة من الأكل والشرب والملبس والمظاهر والعادات ، فانزلقنا فى مهاوى التغريب على غير وعى سليم .

## الإصلاح الاجتماعى

إن للمسلمين منهاجا قرآنيا فى الإصلاح الاجتماعى ، لخصه الإمام الشهيد فى :

١ ـــ الربانية .

٢ ـــ التسامى بالنفس الإنسانية .
٣ ـــ تقرير عقيدة الجزاء .
٤ ـــ إعلان الأخوة بين الناس .
٥ ـــ النهوض بالرجل والمرأة معا .
٦ ـــ ضبط الغريزتين ، حفظ النفس وحفظ النوع .
٧ ـــ الشدة فى محاربة الجرائم الأصلية .
٨ ـــ تأكيد وحدة الأمة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها .
٩ ـــ تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة و الملك و العمل و الصحة و الحرية و العلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد كسبه .
١٠ـــ إلزام الأمة بالجهاد .
١١ـــ اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها ، ومسئولة عن تحقيق أهدافها فى المجتمع الخاص وإبلاغها إلى الناس جميعا .

هذا هو المنهاج الإجتماعى للإخوان الذين يقول خصومهم إنه لا منهج لهم فى الحياة .

## صادروا كل أوراق

كم كنت أود من صميم قلبى أن أظهر فى هذه المذكرات بعض الرسائل المتبادلة بينى وبين الإمام الشهيد ، ولكن أعوان عبد الناصر لما فتشوا بيتى أخذوا كل الأوراق التى فيه ، حتى دوسيهات القضايا الجنائية التى كنت موكلا فيها للمرافعة . وكانت خسارة تاريخية ، لم يستفد من تسبب فيها شيئا إلا كما يستفيد الغراب الذى يختطف قطعة الصابون ، فلا هو أكلها فتغذى منها ، ولا هو تركها لصاحبها يستعملها فى ما ينفعه . وهكذا الشريك الأحمق يخسر ويخسر . لقد قامت الدولة الإسلامية قوية بادية النفوذ والإحترام العالمى ، ثم تسللت إليها عوامل التفكك والانحلال . وها نحن اليوم ، نحمل تركة مثقلة بالمتاعب مبعثرة القوى ، متفرقة الاتجاهات ، ينخر فى كيانها سوس الوقيعة الصليبية والصهيونية والشيوعية . وقام الإخوان المسلمون للقضاء على كل هذه العوامل المهلكة ، وليعودوا بأمتهم الإسلامية إلى ما كانت عليه من عزة وأمجاد . قام الإمام الشهيد ، كما يقول ، بهذه الدعوة لتحقيق هدفين أساسيين أولهما : تحرير الأمة الإسلامية من كل سلطان أجنبى ، فى الحرية والإقتصاد والاجتماع والقوة العسكرية لحمايتنا من الأعداء .

ثانيهما : أن تقوم دولة إسلامية حرة تحكم بتعاليم القرآن . أما أهدافنا الخاصة فلا حد لها تبدأ من القضاء على الأمية والفقر والجهل والمرض ، وتنتهى إلى مجتمع استكملت فيه كل عناصر ومظاهر الرفعة والجلال .

والوسيلة إلى ذلك عوامل أصلية يمكن حصرها فى ثلاثة :

١ ـــ الإيمان العميق .
٢ ـــ التكوين الدقيق .
٣ ـــ العمل المتواصل .

وهناك وسائل إضافية ، وكل هذا سيلقى عنتا ومقاومة . ويشارك فى انتقادكم والنيل من الإخوان ممن هم أولى الناس بمناصرة الإخوان ، لأن فى انتصار الإخوان إعادة لمكانتهم التى لم تعد كما كانت عليه فى زمن السلف الصالح، وسيقف كل من لا يعرف حقيقة هذه الدعوة فى وجهها ومناهضتها،لكن عوامل النجاح فى هذه الدعوة كفيلة بفضل الله بتذليل كل الصعاب « **والله غالب على أمره** » فهى دعوة الله وهذا عنصر القوة ، هذا إلى براءتنا من كل المطامع الشخصية . وما تهم الاتجار بالدين والرغبة فى الحكم إلا أضاليل وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان .

وانظر إلى بعد نظر فضيلة الإمام الشهيد فى وصيته للإخوان المسلمين جميعا ، حيث يرى ، والإخوان فى تمام انتشارهم ، واتساع دعوتهم وكثرة شعبهم ، يرى أنه تنتظرهم ساعات عصيبة يحال فيها بينهم وبينه . وصيته أن الإخوان ليسوا جمعية خيرية ، ولا حزبا سياسيا ، ولا هيئة موضوعية محدودة المقاصد ، إنهم روح جديد يسرى فى جسد هذه الأمة فيحييه بالقرآن ، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله ، وصوت داو يردد دعوة رسول الله ﷺ ، إنه عبء يتحمله الإخوان بعد أن قعد عنه الناس . وإذا قيل لكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعوا إلى الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ ، والحكومة جزء منه ، والحرية فريضة من فرائضه . فإن قيل لكم هذه سياسة . فقولوا هذا هو الإسلام ، ونحن لا نعرف هذه الأقسام . فإن قيل لكم إنكم دعاة ثورة فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به . فإن ثرتم علينا ووقفتم فى طريق دعوتنا ، فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين فإن قيل إنكم تستعينون بالأشخاص والهيئات فقولوا ﴿ **آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين** ﴾ فإن لجوا فى عدوانهم فقولوا ﴿ **سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين** ﴾ .

أرأيتم إلى هذه الوصية ، وكأن صاحبها يرى بظهر الغيب ، أو أنها فراسة المؤمن التى لا تخيب ، لقد تحقق فى واقع الحياة ، كل ماوصى به الإمام الإخوان . فقد لقى الإخوان أوقاتا عصيبة على يد أعوان فاروق ، وعبد الناصر والسادات ، بصور ما كان يتصور إنسان أنها تقع من ادمى ، فى مشاعره وقلبه ذرة من يقين أو إيمان . لقد آذى هؤلاء الناس الإخوان ،

إيذاء الذى يثأر لما له ممن أخذه ، أو لعرضه ممن انتهكه ، أو لأبيه أو ابنه أو أخيه ممن قتله ، حقا لقد كان إيذاء دونه شراسة الضباع ، ودموية النمور ، وفتك الذئاب والأسود ، فى أشد الغابات ظلمة وحلوكة لماذا!؟..لا يمكن التعليل . أهم غير مسلمين ؟ لم نفهمهم بذلك . أهم أوفياء لأسيادهم ؟ إن الوفاء والوحشية لا يلتقيان فى قلب واحد !! أهم مأجورون من خصوم المسلمين ، ويزداد أجرهم كلما أفحشوا فى تعذيبهم ؟؟ لم نرمهم بهذه الجريمة المنحطة الخسيسة . إذن لماذا يفعلون ذلك ؟ علمه عند ربى ، وقد تكشف الأيام من الأسرار ما كان خافيا .

وقد حصل ما توقعه الإمام الشهيد ، فحيل بينهم وبينه ، فاعتقلوا الإخوان ، وأبقوا الإمام وحيدا ، وسحبوا منه سلاحه المرخص ثم اغتالوه،وليعلم الناس جميعا مدى تجنى الحكومات على الإخوان ، فأجهزة الدولة كلها مسخرة لمهاجمة الإخوان واتهامهم بالإرهاب ، إذا ما قتل وزير أو رئيس وزارة . أما أن يتم اغتيال الإمام الشهيد علانية ، أما أن تقتل السلطة الشهداء عبد القادر عودة وإبراهيم الطيب ويوسف طلعت فى جريمة شروع فى قتل كما يزعمون ، هم الذين دبروها ، أما أن تقتل السلطة الشهيد سيد قطب ويوسف حواش ، ومن معهم ، أما أن تمتلىء السجون بالمئات من الشهداء ، فهذا شىء تسدل عليه أكثف ستائر الصمت المشين ، ولا تتحدث عنه أجهزة الإعلان لا تصريحا ولا تلميحا ، ولكن الله قيض لمصر قضاء عادلا ، كشف المستور من كل هذه الجرائم الوحشية . وإذا كان الإخوان قد قتلوا ، فإن السلطات أطلقت يد زبانيتها ، لا فى القتل والتعذيب ، ولكن فى انتهاك أعراض الحرائر أمام ذويهم المقيدين ، بين ضحكات أولئك الأنجاس وتعليقاتهم التى تدل على المنبت والأرومة . هذا هو العدل فى عهد من لا يرعون فى أخ مسلم إلّا ولا ذمة . ولو أتيحت لهم الفرصة لأعادوا الكرة غير معتبرين بمصائر حمزة البسيونى وعبد اللطيف وغيرهم ممن بطشت بهم يد القدر . إنهم يمعنون فى الإيذاء المتوالى والدأب على التخلص من الإخوان ، ظنا منهم أن الإخوان لابد أن يثأروا منهم إذا مكن لهم ، ولكنها ظنون الأنفس التى لا ترى فى غيرها إلا ما تعكس مرايا أفعالهم الذميمة . أما الإخوان فما فكروا يوما فى أن ينتقموا من أحد أو يثأروا لأنفسهم ، لعلمهم أن ما حل بهم لم يكن لعداء بينهم وبين تلك الحكومات ، ولكن الحكومات تحارب دعوة الله ، فالإخوان يتركونهم لبطش الله « **إن بطش ربك لشديد** » .

## الإخوان هيئة سياسية

السبب فى أن فكرة الإخوان ، إسلامية بحتة ، غاية ووسيلة ، لا صلة لها بغير الإسلام . السبب أن الإمام الشهيد حصر تفكيره فى غاية واحدة هى إرشاد الناس إلى

الإسلام حقيقة وعملا ، وهذا فوق ما وصل إليه حال العالم الإسلامى من تأخر وانزواء وتبعية واستعمار ، الحال الذى لا يؤذى مشاعر الإمام فحسب ، بل يؤذى مشاعر أى إنسان له اهتمام بمصالح المسلمين . وشغله هذا الاهتمام حتى إنه التقى بالكثير من كبار القوم فى مصر ، وكان منهم المثبط ومنهم المحذر . وفى هذه الجولات التقى بالمرحوم « أحمد تيمور باشا » فوجد منه اهتماما بالغا فى هذا المجال أما فى محيط معارفه وأصدقائه ، فكان أسرع الملبين « الأستاذ أحمد العسكرى » والمرحوم « الشيخ حامد عسكرية » والشيخ « أحمد عبد الحميد » فتقاسموا وتعاهدوا على أن يصبغ كل ما فى هذا البلد بالصبغة الإسلامية .

ثم فعل الزمن فعله فتفرق هؤلاء الأربعة كل فى مكان بعيد عن الآخر . ولذلك كانت الإسماعيلية هى البلد التى وضعت فيها النواة الأولى للإخوان المسلمين فى ذى القعدة ١٣٤٧ هـ وقامت على هذه القواعد الأصولية ، فدعوة الإخوان المسلمين :

١ ــ دعوة سلفية تعود بالمسلمين إلى المعين الصافى من الكتاب والسنة .

٢ ــ طريقة سُنِّيَّة إلتزاما بأفعال رسول الله ﷺ وأحاديثه .

٣ ــ حقيقة صوفية ، لطهارة النفس والمواظبة على العمل ، والإعراض عن الخلق ، خوفا أو رغبة .

٤ ــ هيئة سياسية تطالب بإصلاح الحكم فى الداخل وصلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم ، وتربية الشعب على العزة والنبل .

٥ ــ جماعة رياضية .

٦ ــ رابطة علمية ثقافية .

٧ ــ شركة اقتصادية .

٨ ــ فكرة إجتماعية تعنى بعلاج أدواء المجتمع .

ثم كان من خصائص هذه الدعوة :

أ ــ البعد عن مواطن الخلاف .

ب ــ البعد عن هيمنة الكبراء .

ج ــ البعد عن الأحزاب والهيئات .

د ــ العناية بالتكوين والتدرج فى الخطوات .

هـ ــ إيثار الناحية العملية على الخطب والإعلانات .

و ــ شدة الإقبال من الشباب .

ز ــ سرعة الانتشار فى القرى والمدن .

وبعد ذلك بدأت مرحلة إيصال الفكرة للجماهير ، ثم تخير الأنصار ، وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف . ثم خطونا الخطوة الثانية :

١ ـــ الكتائب للتعارف وإحسان الصلة بالله .

٢ ـــ الفرق الكشفية والجوالة والألعاب الرياضية لتقوية الصف والطاعة والنظام .

٣ ـــ درس التعاليم فى الكتائب وأندية الإخوان .

وأسمع الإمام الشهيد يصارح الإخوان ، المصارحة التى تدحض كل ما نسب إلى الرجل والإخوان المسلمين ، اسمعه يقول : « أيها الإخوان المسلمون ـــ وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم ـــ اسمعوها منى كلمة عالية مدوية ، من فوق هذا المنبر ، فى مؤتمركم هذا الجامع ، أن طريقكم هذا مرسوم خطواته ، موضوعة حدوده ، ولست مخالفا هذه الحدود التى اقتنعتم كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول . أجل قد تكون طريقا طويلا ، ولكن ليس هناك غيرها . إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرةوالجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها ، أو يقتطف زهرة قبل أوانها ، فلست معه فى ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات . ومن صبر معى حتى تنمو البذرة ، وتنبت الشجرة ، وتصلح الثمرة ، ويحين القطاف ، فأجره عند الله فى ذلك . ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين ، إما النصر والسيادة وإما الشهادة والسعادة . فهل بعد أن يجاهر الناس بهذه الصراحة وهذا الوضوح ، يقال عن الرجل وعن الإخوان ما يروجه المغرضون ، أعداء دعوة رب العالمين . إن الرأى العام ، والحمد لله ، تبين كل هذه الأكاذيب والأباطيل ، وعرف على وجه التأكيد أهداف الإخوان ووسائلهم ، ولذلك تمتد فروع هذه الدعوة يوما بعد يوم ، وفى كل مكان .

إن تعاليم « **حسن البنا** » أصبحت مدرسة يتتلمذ عليها الملايين من الشباب الراغب فى الدعوةإلى الله ، وما عاد فى قدرة إنسان أن يقف فى وجه هذا المد الإسلامى السليم ، مهما حصل عليه من دكتوراهات ، وماجستيرات ، لقد أفلت الزمام من أيديهم ، وراح الجواد يسابق الريح فى حلبة الدعوة إلى رب الأرباب ، موفق الشباب إلى ما فيه العز فى الدنيا والآخرة .

استمعوا أيها الناس إلى هذا الملهم الموهوب يقول فى ثقة وعزة وعلم« أيها الإخوان المسلمون ألجموا نزوات العواطف ، بنظرات العقول ، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف ، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع ، واكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية ، البراقة ، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، ولا تصادموا نواميس الكون ، فإنها غلابة،ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها ، واستعينوا ببعضها على بعض،وترقبوا ساعة النصر فما هى منكم ببعيد » .

أبعد هذا كله يريد أصحاب الأهواء والدوافع الخفية أن يظلوا على اتهامهم للإخوان المسلمين بأمور هم براء منها براءة الطهر من الدنس . ليس لنا مع المفترئين حيلة ، لأن من يخلق ما يقول فحيلتنا فيه قليلة أو مستحيلة .

إن اتهمونا بحب القوة لامتنا ، فشعار الإسلام القوة « **وأعدوا** » . إن لنا من بعد النظر ودقة التفكير ما يصرفنا عن السطحية وفورة الأعصاب . إننا نعرف أن أول درجات القوة هى قوة العقيدة و الإيمان ، ثم قوة الوحدة ، وآخر الدواء قوة الساعد والسلاح ، فإذا لجأنا إلى العامل الأخير ، قبل استكمال العناصر الأولى ، فالمصير الهزيمة والبوار . إن الاسلام لم يوص بالقوة اعتباطا دون شروط وحدود . إن مصر جربت الثورات فلم تجن منها إلا ما نعيش فيه من تفكك وأزمات . إن الاخوان لا يفكرون فى الثورة كوسيلة ولا يعتمدون عليها كأسلوب .

# الحلقة العاشــرة

- النهــج الاقتصادى الإســلامى هــو المخــرج الوحيد من الأزمات المالية .
- فضائل الإخوان أرهبت اليهـود ،وديان اعترف بذلك صـراحــة .
- المال الصالح هو الحياة ولهذا نحرّم الكسب الخبيث

لأن الإسلام دين العدل والحرية ، فقد استمد المرشد الأول للإخوان المسلمين المنهج الاقتصادى لجماعته من التشريع الإسلامى ، انطلاقا من قول الله تعالى : ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾ .

والمشرع الإسلامى أدرك ببصيرته النافذة جوهر المشكلات الاقتصادية التى تراكمت فى المجتمع المسلم نتيجة لقرون السلب والنهب والتخريب الذى مارسته الموجات المتتالية للاستعمار الصليبى والصهيونى لبلدنا ...حيث تحولت هذه البلاد إلى مزارع ومناجم يغترف من خيراتها الغاصب المحتل ماشاء ، وقتما شاء ...كما تحولت هذه البلاد إلى أسواق رائجة يوزع فيها الغاصب منتجاته بالسعر الذى يراه دون منافسة .

وفى ضوء هذا ، حال الغاصب المحتل بين شعوبنا المسلمة وبين إمكان قيام صناعة محلية ، حتى تظل يده الناهبة تغترف المواد الخام كلها إلى بلاده ، وتظل أسواقنا حكرا على منتجاته ، وتظل حياتنا مرتبطة بما يبعثه إلينا . وترتب على ذلك أن ظلت شعوبنا ترسف فى أغلال الجهل والفقر والمرض قرونا كأنها الليل الحالك الذى لا يولد منه صباح .

● وفى هذه الحلقة من مذكراته ، قام الأستاذ « **عمر التلمسانى** » بتسليط الضوء على المنهج الاقتصادى لجماعة الإخوان المسلمين كما أرساه المرشد الأول « **حسن البنا** »

حيث يقول :

لا نظن أن الإسلام قاصر فى المجال الاقتصادى أو مقصر . لقد نظر إمامنا الشهيد فى الإسلام إلى الناحية الاقتصادية ، وخرج منها بالقواعد الآتية :ـــ

١ ـــ إعتبار المـــال الصالـــح قوام الحيـــاة ، ووجوب الحـــرص عليه ، وحســـن تدبيـــره وتثميـــره .

٢ ـــ إيجاب العمل والكسب على كل قادر .

٣ ـــ الكشف عن منابع الثروات الطبيعية ، ووجوب الاستفادة من كل ما فى الوجود من قوى ومواد .

٤ ـــ تحريم موارد الكسب الخبيث .

٥ ـــ تقريب الشقة بين مختلف الطبقات تقريبا يقضى على الثراء الفاحش والفقر المدقع .

٦ ـــ الضمان الاجتماعى لكل مواطن ، وتأمين حياته والعمل على راحته وإسعاده .

٧ ـــ الحث على الإنفاق فى وجوه الخير ، وافتراض التكافل بين المواطنين ، ووجوب التعاون على البر والتقوى .

٨ ـــ تقرير حرمة المال واحترام الملكية الخاصة ، ما لم تتعارض مع المصلحة العامة .

٩ ـــ تنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم والتدقيق فى شئون النقد .

١٠ ـــ تقرير مسئولية الدولة فى حماية هذا النظام .

ولم يترك هذه البنود فى هذا الحيز الضيق ، والكلمات المعدودة ، ولكنه تعرض لكل بندمنها بشىء من التفصيل الذى يكفى لأن يكون عدة لكل باحث أو مسؤول . كما تحدث عن استقلال النقد ، وتمصير الشركات ، واستقلال الثروة و الصناعة ونظام الملكيات فى مصر ونظام الضرائب ومحاربة الربا ، وتشجيع الصناعات المنزلية ، وتقليل الكماليات والاكتفاء بالضروريات .

ثم يقال بعد ذلك إنه ليس لدى الإخوان مناهج يقدمونها لحل المشكلات ، إن جماعة الإخوان المسلمين هى الهيئة الوحيدة ذات المنهج الذى لم يصل إليه حزب أو هيئة أو جماعة ، ولكن ماذا نقول لمريض ينكر طعم الماء لسقمه ، أو ينكر ضوء الشمس لرمده .

## الخلل الذى فى حياتنا

إن التشريع الإسلامى أوسع تشريع فى العالم منذ بدايته حتى منتهاه ﴿ مافرطنا فى

الكتاب من شيء ﴾ لأنه ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ ليس فيه للرجعية أو للتأخر أو للبلادة ذرة من وجود . كله علم ورقى وفخار ودقة إحكام وإبداع فى تصوير المسائل ، وسعة نظر على أشمل ما تكون السعة . وقد اجتمعت على هذه المعانى كل المؤتمرات التشريعية فى كل مكان وزمان . إن الإسلام يبيح لنا الانتفاع من كل تشريع فيه شيء يخدم الإنسانية كلها .

عندنا الاجتهاد والمصالح المرسلة واعتبار العرف ، واحترام رأى الإمام فى كل ما لا يتعارض مع قاعدة أصولية من قواعد الدين . وإذا كان للإمام الشهيد من رأى فى الحزبية السياسية فإنه يقول بغاية الوضوح ، إنه لا يحب أن يفرضها على الناس ، لأن ذلك ليس له ولا لأحد ولكنه لا يرى كتمان رأيه ، ويقدمه للناس على سبيل النصيحة هذا هو إمام الإخوان الذين ظلموهم بالتعصب والرجعية .

وهل نحن فيما نحن عليه ، نمت إلى تعاليم الإسلام الصحيحة بصلة فى :

١ ـــ نظام الحكم الداخلى .
٢ ـــ نظام العلاقات الدولية .
٣ ـــ نظام القضاء .
٤ ـــ نظام الدفاع والجندية .
٥ ـــ نظام المال والاقتصاد للدولة والأفراد .
٦ ـــ نظام الثقافة والتعليم .
٧ ـــ نظام الأسرة و البيت .
٨ ـــ نظام الفرد فى سلوكه الخاص .

من أجل هذا الخلل وحده قام الإخوان بدعوتهم للناس إلى الهدى .. ولما كان هذا الهدى يحرم البعض مما هو فيه وعليه ، كانت المحن التى لاحقت الإخوان المسلمين منذ قيامهم إلى الآن . والعجيب مرة أخرى ، أن جميع الأحزاب اليوم تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية ، هذا المطلب الذى مضى على الإخوان عشرات السنين يسعون لتحقيقه ، ولئن صدقت الأحزاب ، فأخرجت الوعود إلى حيز التطبيق ، فنحن أخلص جنودها ، وأصدق مؤيديها ، ولا نمن على أحد بأن الفضل للسابق .

ولئن تساءل الناس من أين لنا القوة التى نواجه بها الطغيان المادى فسلاحنا سلاح رسول الله ﷺ ، إيمان بالله ، ويقين فى صدق الدعوة وسموها ، وثقة بأنفسنا . إنه إن لم يثق المسلم بقدرة الله على كل شيء بلا استثناء ، ويثق بأنه أهل لحمل كل عبء يتخاذل عنه الناس ، أنه إن لم يثق المسلم بأنه أستاذ العالم ، وأنه يدعو إلى أضخم دعوة ، فبطن الأرض

خير له من ظاهرها .

إننا لا نقول للمسلمين حكاما ومحكومين ألقوا بأيديكم إلى التهلكة ولكننا نقول لهم عيشوا فى إسلامكم وتمسكوا به ، وخططوا على مهل ، وسلموا الراية لمن بعدكم على هذه المعانى ، وإياكم والرعونة والحماس الكاذب والتهور الأعمى ، والاندفاع فى الظلام . إن الإخوان لا يطالبون المسلمين بأكثر من التجرد الكامل ، والفهم الواعى ، والأخوة الصادقةوالجهاد الحكيم المدروس ، والتضحية فى سبيل الله . فهل بعد ذلك من غموض فى دعوة الإخوان ؟

وهل ما ندعو المسلمين إليه مستحيل التحقيق . إن الله كلفنا العمل فى العديد من آياتَ القرآن ، ولم يكلفنا ولا فى آية واحدة أن نضمن تحقيق النتائج ، فذلك أمر إليه وحده لا شريك له فيه .

## محاربة الفساد

إن النظام الاجتماعى فى مصر تعروه مفاسد جمة . فالسكان فى تكاثف ، والأرض الزراعية فى انكماش ، ولابد من الموازنة حتى لا تسوء النتائج ، وليست الموازنة فى تحديد النسل ، ولكنها فى توسعة الأرض الصالحة للزراعة . ثم إن المستغلين الذين ماتت ضمائرهم ينهبون مئات الملايين من دخلنا ، ويهربونها إلى الخارج ، ثم يهربون وراءها ، والذين يسهلون لهم هذا النهب معروفون عن يقين . استغلال الشركات الأجنبية لنا بما وضع لها من تسهيلات بحجة اجتذاب الأموال من الخارج ، وهى حجة ظاهرها الخير ، وباطنها من قبله الشر كل الشر ، المرض الفتاك ، الجهل المطبق ، الانحطاط الخلقى المريع ، ترك التعاليم الإسلامية وتقليد الغرب إنها شرور متراكمة كحلوكة الليل الأليل .

متى نَصْدُقُ فى علاجها ؟ جربنا كل التجارب ، فلم ينجح منها ولا تجربة ، ولا دواء إلا العودة إلى الدين الصحيح ، فلماذا لا نخوض غمار هذه التجربة ؟ لماذا تقف كل القوى الداخلية والخارجية ضد هذه التجربة ؟ إنهم يردون علينا بأن الشريعة مطبقة ، فالناس يصومون ويصلون ويحجون ويزكون ، والأزهر قائم ، والمساجد مفتحة الأبواب !

ويقولون إن هذا هو الدين الإسلامى ، وهو مطبق بهذه الصورة فى كل شىء ألا عافاهم الله ، وأنار بصائرهم ، وشرح صدورهم ، وهدانى وإياهم سواء السبيل .

## تناقضات فى المجتمع

هل قيام بيوت الخنا السرية اسما العلنية معرفة من تمام تطبيق شرع الله ؟ والحانات

( والكباريهات ) والربا وقيود الحرية وغيرها من تمام شرع الله ؟ إن كل شيء مما يظنونه تطبيقا لشرع الله منحرف ومعوج فخطباء المساجد محرم عليهم الكلام فيما يسميه المسئولون بالسياسة .

والمساجد الأهلية ضمتها وزارة الأوقاف إليها لتتصرف فى رسالتها كما تشاء ، بيوت الناس وحرمة مساكنهم مهدرة فى ظل قانون الطوارىء ، وفى القوانين العادية الكفاية كل الكفاية وما على حكوماتنا الإسلامية فى العالم الإسلامى كله إلا أن تعلن أنها حكومة إسلامية تمثل الإسلام على الصعيد كله،ولا تكتفى بأن دين الدولة الإسلام وكفى الله المؤمنين القتال .

وأن تحترم فرائض هذا الدين عمليا فتقف الأعمال الحكومية دقائق لتؤدى فيها الصلاة وعلى رأس الموظفين رؤساء المصالح كلها ، وألا يسمح لمسلم أن يظهر إفطاره فى رمضان،وأن توضع النظم لجمع الزكاة ، كما توضع لجمع الضرائب ، وأن تيسر وسائل الحج للعاجزين ماليا عن أدائه وغير ذلك كثير فى كل النواحى ، وما ذلك بالمستحيل إذا صحت النوايا وصدق الاتجاه .

وأيسر الوسائل إلى تحقيق ذلك كله الإيمان بالحق والوقوف إلى جانبه ونصرته وشحذ العزائم والتشمير عن سواعد الجد .

## الإسلام دين العزة

إن الإمام الشهيد حسن البنا لم يكتف بالكلام فى صفوف الشعب ، ولكنه توجه بدعوته مخاطبا كل مسؤول فى العالم الإسلامى . وذكرهم بأنهم رعاة شعوبهم ، وأن كل راع مسؤول عن رعيته ، إن لم يكن اليوم فغدا ، وحثهم على تحرير شعوبهم ، من كل القيود الداخلية والخارجية ، وأن يعيدوا بناء الأمة الإسلامية من جديد لتنافس غيرها فى ميادين الحضارة والقوة و الازدهار . وقد حث العالم الإسلامى كله عن طريق رسالة ( **نحو النور** ) فى الإسلام والأمل والعزة القومية والقوة والجندية والصحة العامة والعلم والخلق والاقتصاد ونظم الإسلام العامة وحماية الأقليات وصيانة حقوق الأجانب وأن مايسمى برجال الدين ليسوا هم الدين نفسه ، وكل ذلك تجده فى رسالة ( نحو النور ) ، ولا يحتاج إلا لتبويب ووضعه فى مواد مفصلة ، وهذا يقوم به الأخصائيون لا الدعاة . ثم يزيد الأمر تفصيلا وتوضيحا فى رسالة . ( **مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى** ) . وقد يعترض البعض وما أكثرهم بأن العصر غير العصر ، ودول العالم القوية لا تقيم أمورها على أساس من الدين . وهذا صحيح عند من لا يعرف الإسلام ولم يدرس تعاليمه ، وأيأسته الأحوال التى وصل إليها وطننا مصر ، وما وصلت إليه الأحوال فى بلاد الإسلام والعروبة من بلاء ليس يعدله بلاء ، وما انحدر إليه

التفكير بين زعماء العالم وساسة الشعوب من اختفاء المثل الإنسانية النبيلة ، والتصرف فى كل شىء على أساس من المادية المحضة ، والنفعية الخاصة والمصالح الوطنية المحدودة ، ولو احترق العالم كله فى أتون هذه الأفكار الضيقة المظلمة . وما من شك أن الزعماء العالميين وحكام الدولتين القويتين ، لو ظلوا على هذا التفكير الضيق ، والرغبة فى أن تسود أمتهم أمم العالم عن طريق القهر والقوة ، فالحرب الثالثة قادمة لا محالة ، ولن تتورع دولة من تلك الدول ، عن استعمال أفتك الأسلحة ، وأشدها تدميرا لخصومها ولو عم الفناء غير المتحاربين . ولست أدرى هل فى الحرب الثالثة خير أم شر . إنها قد تقضى على ثلاثة أرباع العالم فتخف الضائقة الغذائية والسكانية ، وقد تبتعد أخطارها عن أواسط آسيا وأفريقيا فتبدآن فى الظهور مرة أخرى كى يعيد التاريخ نفسه . وقد يعود العالم إلى ما بدأ به اقتصاديا ، يتبادل السلع بدلا من النقود . وقد تأتى هذه الحروب على العالم كله ، ويبرق لهيبها على الارض كما ينتشر فى أجواء الفضاء . علم ذلك عند ربى ، فالناس لا يدرون ماذا هم كاسبون غدا .

## وحدة الحكام والمحكومين

إن الإخوان المسلمين لم ينتقدوا ويسكتوا ، ولكنهم قدموا الحلول . لقد فاوضنا فلم تكن إلا المراوغات والإرجاء ومطالبتنا بضبط النفس والأعصاب وإرسال المبعوثين السياسيين فترة بعد فترة لدراسة الموقف فى هذه المنطقة ، إن هؤلاء المبعوثين يفدون إلينا تباعا منذ عشرات السنين ، فهل بعد ذلك لا تزال القضية غامضة ، لا يعرف لها مصدر ولا مبرر . ولقد عرضنا قضايانا على المؤتمرات الدولية ، فلم نلق منهم إلا الإغفال والإهمال والإمهال إلى متى ؟ ..لست أدرى ولا المنجم يدرى . فلم يبق إلا حل واحد لا ثانى له وهو الرجوع إلى الله ، والاعتماد على أنفسنا ، مادام الله سبحانه وتعالى أثرى منطقة الشرق الأوسط بكل مقومات الحياة وما يلزمها من أرض صالحة للزراعة تكفينا وتزيد،وكنوز مليئة بالمعادن من الملح والطين الطفلى إلى الذهب أبيضه وأصفره وأسوده .

والبدء فى هذا كله ، لا يأتى إلا عن طريق الحكام والمسئولين،لأن شعوب العالم الإسلامى على إستعداد لربط الأحجار على البطون مستجيبة لحكامها إذا ما بدأوا السير فى الطريق السليم . فلو واجهنا العالم كله صفا واحدا ، شعوبا وحكومات ، لاستبان اليائسون أى عز ومجد سنحققه ونحظى به .

إن الأسلحة لا تقضى على الشعوب ، ما يقضى عليها الوهن والخور ، وفقدان الثقة فى النفس ، والرضا بالواقع الذليل ، إكتفاء بلقمة العيش المغموسة فى الضعة والذل والهوان، وياليها

من حياة ، أصبحنا لا نقول غير «وكنا ، وكنا ، وكنا» لا ياقوم؟ ليس الفتى من يقول كان أبى وجدى ، ولكن الفتى من يقول هأنذا . ويوم يقدر الحاكم مسؤوليته أمام الله ثم أمام ضميره والناس ، ويوم أن يوحد صفوف الأمة ، ويوم أن يثق الشعب فى حكامه ، ويوم أن يكون ذلك رائد الجميع، هناك يشرق فجر يوم جديد طالما تشوف إليه المصلحون، من احترام إرادة الشعب ، وكيف تريد من غير محترم أن يحترم ؟ . ولا تنس أن التمثيل النيابى الصحيح السليم ، نظام لا اعتراض للإسلام عليه .

## توسطت بين الإخوان ومضر الفتاة

ونحن نؤمن أن الخلافة هى رمز الوحدة الإسلامية ، أما كيف تقوم ، فيا ليت حكام المسلمين يفكرون فى هذا الأمر الجدى الجليل تفكير من يريد للأمة وحدة قوية وارتباطا ، هم أول من يسعد به ، اطمئنانا على مستقبل حياتهم .

ونحن لا نعترض على الأحزاب ، إلا عن طريق أساليبها المتردية إلى تمزيق شمل الأمة بسبب التعصب للرأى دون مبرر .

إننا ماقصدنا يوما أن نهدم حزبا بذاته ، بدليل أننا ناصرنا كل حزب يأتى إلى الحكم ببرامج الإصلاح والوعود البراقة ، حتى إذا مضت الشهور ، دون أن يبدو من الحزب الحاكم ما يبشر بتنفيذ وعوده ، ذكرناه ثم انتقدناه ، وأرى أن هذا حق كل مواطن أولا .. ومن واجبه ثانيا ، فما بالك والإخوان المسلمون هيئة لها وزنها ولها أثرها السياسى فى جميع البلاد الإسلامية ، لا فى مصر وحدها . بل ومما يقطع بصحة ما نقول أن كل حزب مصرى لا وجود له إلا فى مصر فقط ، أما الإخوان المسلمون فلهم فروعهم فى كل بلاد العالم الإسلامى . مما يؤكد أننا دعاة وحدة إسلامية فى كل بلاد المسلمين .

وحتى حزب « **مصر الفتاة** » لم ننل منه بمثل ما نال منا ، ونحن نكن لرجالاته من أمثال المرحوم أحمد حسين ، والأستاذين إبراهيم شكرى وفتحى رضوان وأمثالهما ، المودة و التقدير والاحترام . ولقد دارت بين الإخوان ومصر الفتاة مفاوضات بين المرحومين أحمد حسين وحسن البنا ، وكنت رسولا بين الطرفين ، ولكن الأيدى التى تعمل لتمزيق هذه الأمة ، فعلت فعلها فلم تنته الأمور إلى نتيجة مرضية .

أما موقفنا من الدول الأجنبية ، فقوامه اعتقادنا أن العالم الإسلامى كله أمة واحدة ، وأى اعتداء أجنبى على بلد إسلامى ، هو إعتداء واقع علينا بالذات ، نَهُبُّ لدفعه ومقاومته .

إن استقلال وحرية وعزة أى بلد إسلامى ، هو دعامة من دعامات عزة مصر وغيرها .

وفى سبيل ذلك نحرص على الموت لتوهب لنا — للمسلمين جميعا — العزة والقوة والحضارة ، لا نضن فى هذا السبيل بمال أو أهل أو ولد أو وقت أو صحة ، فملكها لله وفى سبيله تكون التضحية والفداء . وما أظن أن هذا بدعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، لأن السلف الصالح كله على زهده فى الدنيا ، وبعده على الطنطنة وحرصه على تقوية الروابط الروحية بينه وبين ربه ، هم أنفسهم الأسود الذين حدثنا عنهم التاريخ وعن بطولاتهم وفدائيتهم ، وصلصلة سيوفهم فى ميادين الوغى . وقد سمعنا تصريحا لموشى ديان أيام أن كان وزيرا لدفاع العدو الإسرائيلى ، إنه على استعداد لأن يلقى جيوش البلاد الإسلامية مجتمعة ، ولا يلقى عددا محدودا من فصائل الإخوان،لأنهم ما يصابون إلا فى صدورهم ، وما استشهد أخ مسلم من ضربة فى ظهره أبدا .

* * *

# الحلقــــة
# الحادية عشـــرة

- هكـــذا تمت عمليـــة اغتيـال حســـن البنــا ؟ .
- الهضيبـى لـم يكـن مرشـحاً لخلافة البنا وجاء اختياره مفاجأة .
- البنا كان متحدثاً باسماً والهضيبى صامتاً رزيناً أما أنا فمختلف .

إذا كان للتاريخ جلال ووقار ، فإن المرشد العام للإخوان المسلمين « الأستاذ عمر التلمسانى » من القليلين الذين حملوا للتاريخ عباءة الصدق والجلال .. فهو لا ينطق الكلمة إلا بعد أن يوثقها ، فيعود إلى الآخرين من رفاقه للاسترشاد والتذكر ، ويمتنع عن الخوض فيما لا علم له به يحترم الكلمة . ولا يرجو ممن يتعاملون معه إلا أن يقدروا فيه هذه الفضيلة بالعمل ، هم أيضا على احترام الكلمة .

يفهم الكبرياء بأنها التواضع لله، ويدرك العظمة من خلال ممارسته للبساطة فى حياته العامة والخاصة ... وينفر من الجلوس وراء مكتبه فى « مجلة الدعوة » ويجلس وراء منضدة صغيرة من الخشب الأبيض ، خشنة الملمس والمظهر ، تفتح ابتسامته الطيبة أمامك الطريق إلى قلبه وعقله مباشرة ..« الالتزام » هو السمة المميزة لكل تصرفاته السلوكية والفكرية . قد يدهشك بخجله واحمرار وجهه ــ كطفل ــ رغم الثمانين عاما الواقفة على كاهله .

وفى هذه الحلقة من مذكراته ، يستهل الأستاذ عمر التلمسانى حديثه بتسليط الضوء على مفهومه للبيعة .. يقول :

إن كل حزب فى أى بلد من بلاد العالم ، يقسم أعضاؤه اليمين على الوفاء لهذا الحزب

ومبادئه . وكل رئيس وكل أعضاء الهيئات النيابية العامة يقسمون الأيمان على احترام الدستور وحمايته وتنفيذه . فإذا سلك الإخوان هذا المسلك ، علا الضجيج ، وثارت الثائرة ، وأشيعت الشائعات ، ووجهت الاتهامات وشوه وجه التصرفات ، وصاح المغرضون « البيعة ؟! » ما هذه البيعة ؟ ماالمقصود منها ؟ إنها كلمة مشبوهة مفزعة .. مع أن بيعتنا مع مرشدنا ، ما هى إلا بيعة مع الله ، إننا نبايع بشرط ألا نؤمر بمعصية ، وحتى يتأكد الناس أن هذه البيعة لله وحده ، فقد حدد الإمام معالمها وشروطها ، وليس فيها شرط واحد ، يمس أحدا بسوء ، أو يضمر شرا لمخلوق . إن أركان البيعة هى كما يلى وليس فيها أى مساس بأحد أو اتفاق جنائى كما يحاول البعض أن يصوروها .

١ ـــ الفهم .
٢ ـــ الإخلاص .
٣ ـــ العمل .
٤ ـــ الجهاد .
٥ ـــ التضحية .
٦ ـــ الطاعة .
٧ ـــ الثبات .
٨ ـــ التجرد .
٩ ـــ الأخوة .
١٠ـــ الثقة .

وكل منها له تفصيل ، وقام الإخوان ونجحوا بفضل الله أولا .. ثم بنظام الأسر ثانيا . هذه الأسر التى تجتمع على توجيهات أخلاقية ، ونفحات روحية ، وقواعد دينية ، وتعارف ومحبة بين الناس . ولكن للأسف الشديد يرى رجال الأمن أنها أكبر خطر على الأمن ، لأنها من الممكن أن تتسلح . ولما كان هذا الأمر يهم الأمن فعلا ، فقد استجاب الإخوان لإيقاف نظام الأسر ، حتى لا يتهموا بالعناد والتحدى ، ونسأل الله أن يلهم كل الاحزاب والهيئات أن تلجأ إلى نظام الأسر هذا ، لتلمس بنفسها مدى آثاره فى تقوية الروابط بين الشباب ، وتعاونه على كل مايؤدى إلى خير الوطن العزيز .

## تعريف الجهاد

ثم تعرض فضيلته بعد ذلك للجهاد وبيّن مصادره فى الكتاب والسنة ، وأنه موجه لحماية المسلمين وعقيدتهم ، وأنه لم يقصد به على الإطلاق العدوان والاستعمار والاستعباد

والاستغلال :

أظنني بهذا قد لخصت كل شيء يتعلق بالإخوان ، وأسأل الله ألا يكون تلخيصا مخلا . ذلك وإن لم تكن هذه المذكرات مقصودا بها التعرض لدعوة الإخوان المسلمين ، إلا أن هذه الناحية هي أهم نواحي حياتها ، وأصلحها تكوينا لشخصيتي في هذا المجتمع . وما كان لي أن أكتب مذكراتي دون التحدث عن دعوة الإخوان ، لأنها أهم ما في حياتي ، وهذه المذكرات كما أفهمها ليست لتسلية قارىء ، وما كنت أرتضي لنفسي أن أكون مصدر تسلية لأحد ، أو تسرية عنه ، وإنما أنا أدعو إلى الله بأسلوب الإخوان ، فلا بد وأن يقف الناس على الحق ، وإلا كانت هذه المذكرات أشبه بشيء من القصص ، ولست بالقاص ولا الراوي . وإني حريص على أن أؤكد على جريدة الشرق الأوسط أن تحرص على نشر مذكراتي كما هي دون اقتضاب أو مراعاة لأية ناحية من النواحي وإلا فقدت هذه المذكرات أدسم وأنفع ما فيها . ومن أجل هذا أهديت هذه المذكرات إلى جريدة الشرق الأوسط بلا ثمن ولا مقابل لما أرجوه من ورائها من نفع عام وفائدة محققة والله من وراء القصد ، والآن أعود إلى أحداث حياتي في هذه المذكرات .

## هل التاريخ يصنع الرجال ؟

هناك خلاف بين علماء الاجتماع هل التاريخ يصنع الرجال ، أم أن الرجال هم الذين يصنعون التاريخ ؟ وبعبارة أخرى : هل العظماء هم الذين يأتون بالأحداث والمواقف ، أم أن الأحداث والمواقف هي التي تبرز العظماء ؟

الحق عندي أن الأخذ بأحد الرأيين فيه تجن على الرأي الآخر ، ذلك أن الناحيتين ، كل منها تأتي بالأخرى على السواء .

فلولا الحال التي وصل إليها المسلمون ، لما قام الإمام الشهيد ، ولولا الإمام الشهيد ، لما صحا الوعي الإسلامي من رقدته على عهده . ويخرج من هذا الخلاف الرسل والأنبياء ، لأنهم مبعوثون من خالق الأحداث والمواقف ، وخالق العظماء .

لقد كان وضع المسلمين في العشرينات وما قبلها في أشد الحاجة إلى من يغير لهم ما كانوا عليه . وشاءت إرادة الله أن يكون ذلك على يد الإمام الشهيد ، فهجر كل شيء إلا الاهتمام بحال المسلمين ، لأنه منهم . وبرز الحقد عليه عند كل من كان يظن أن دور الإسلام والمسلمين انتهى أو كاد . من كان يظن في تلك السنين أن المسلمين سيستعيدون مكانهم تحت الشمس ، وأن الشباب المسلم سيستجيب إلى نداء الإمام ؟ لقد وصفته الصهيونية

بأنه « حسن الأعمى » بعد أن قال فيهم قول الشاعر :

« **زعم الفرزدق ان سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يامربع** »

وشاء الله أن يكون حسن البنا عظيما حتى بعد وفاته ، لأن دعوته اليوم هى الجامعة الكبرى لكل من يريد بالإسلام والمسلمين خيرا . لقد انتهى سعد زغلول باستقلال مصر ، ولم تبق إلا ذكراه ..وانتهى نلسون بانتهاء معركة الطرف الأغر ، ولم تبق إلا ذكراه . وغيرهما من أمثال كرومويل وبونابرت وقيصر وكل هؤلاء . أما حسن البنا فإن انتقل من دنيا الفناء إلى عالم البقاء ، فإنه ليس ذكرى فحسب ، ولكنه رمز دعوة تبقى ما بقى الوجود ، لأنهُ لم يعمل لوطنية ضيقة ، أو قومية محدودة ، ولكنه عمل للدنيا بأسرها ، اقتداء بزعيمه ونبيه ورسوله وحبيبه محمد ﷺ ، يوم أن نادى العالم كله ﴿ **يأأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً** ﴾ .

## عبقرية حسن البنا

لم يقل يأيها العرب ، ولا يأيهاالمسلمون ، ولكن « يأيها الناس » على مختلف مللهم وألوانهم وأجناسهم ، إنه يعرف مهمته تماما . فلما أحس بالخطر يقترب ، أخذ يتردد على الوزراء فى مكاتبهم ومنازلهم ، فكانوا يتهربون من لقائه لأنهم أجمعوا على التخلص منه ، فلما طالب الوزارة باعتقاله مع الإخوان ، أو فى معتقل إنفرادى ، أبوا عليه ذلك ، لأن الأمر عندهم استقر على اغتياله ، ولئن اغتال بعض الشباب بعض الوزراء ، فهذا مالا تقره جماعة الإخوان المسلمين ، فإن حسن البنا اغتالته دولة بأسرها .

وتلك عظمته . فوزير يغتاله شاب ، أما حسن البنا فأمنع من ذلك وأعز ، ولا تقدر على اغتياله إلا دولة بكل امكاناتها وجيشها وشرطتها . أرأيت « حسن البنا » كيف كان علما حتى فى اغتياله .

وأنا لا أدعى أنى كنت من أكثر الإخوان صلة بالأستاذ ، لأن عملى وإقامتى ، لم يكونا فى أول الأمر بالقاهرة ، بل كان من الإخوان من هو أكثر صلة به منى أمثال د . حسين كمال الدين واللواء صلاح شادى والأستاذين صالح أبو رقيق وفريد عبد الخالق وأمثالهم .

وكما يحدث فى كل جماعة أو حزب أو مجتمع ، فقد كان لبعض الإخوان آراء واقتراحات تتعارض مع فريق آخر ، ولكنى بحمد الله كنت بعيدا عن هذه الخلافات كلها ، وكنت أرى وأسمع وأفكر ، بعين فضيلته وآذانه وعقله لثقتى المطلقة فى صواب كل ما يرى .

وقد يكون فى هذا شىء من الخطأ أو إلغاء الشخصية عند بعض الناس، ولكنى كنت معه

« كالميت بين يدى مغسله » وكنت سعيدا بهذا كل السعادة ،

وللحقيقة فقد كانت مكانة الإمام الشهيد والإمام الهضيبى فوق كل مكانة فى جماعة الإخوان المسلمين ، فما تمرد عليهما أحد اعتدادا بمكانته إلا وكان مصيره النبذ والإبعاد . وتلك من مميزات جماعة الإخوان المسلمين ، الطاعة المطلقة لمرشدهم فى غير معصية ،

## قصة اغتيال حسن البنا

وتعتقل وزارة النقراشى كل المعروفين من الإخوان عام ١٩٤٩ وكنت من بين المعتقلين . فلما قتل النقراشى ، بدأت وزارة إبراهيم عبد الهادى ، تدبر مؤامرة اغتيال الإمام الشهيد ، لا انتقاما لمقتل النقراشى ، ولكنه طمأنة لفاروق ، حيث إن فاروق شعر أن دعوة الإخوان المسلمين تستهدفه ، ولا أنكر أن « مصر الفتاة » لعبت دورا فى المجال نفسه ، ولو طال وجود فاروق لقتل « أحمد حسين » كذلك .

وقد حدث أن اتصل أحد الوزراء بالإمام الشهيد فى ١٢ فبراير ( شباط ) ١٩٤٩ ليلقاه فى مبنى جمعية الشبان المسلمين ، وهو يقع فى أزحم شوارع القاهرة ، وظل الإمام ينتظر هناك ومعه زوج شقيقته الأستاذ عبد الكريم منصور ، ولما غابت الشمس ولم يف الوزير المنتظر بوعده ، خرج الإمام والأستاذ عبد الكريم منصور ، واستوقفا تاكسيا ، وما أن استقر فيه حتى أطفئت أنوار الشارع ، وأقبل اثنان أو ثلاثة من المخبرين وأطلقا سيلا من الرصاص على الأستاذ ومرافقه ، ورغم أن إصابة الإمام كانت قاتلة إلا أنه تحامل على نفسه وعاد إلى جمعية الشبان المسلمين واستدعى الإسعاف بنفسه ، ونقلتهما سيارة الإسعاف إلى قصر العينى ، وكانت الأوامر قد صدرت بعدم إسعاف الإمام ، وتركوا جراحه تنزف . وقبل أن يلفظ النفس الآخير جاء فاروق إلى القصر العينى شامتا ومتشفيا وبصق على الإمام ففتح عينيه وقال لفاروق : مزق الله ملكك . وكانت أبواب السماء مفتحة فاستجاب الله الدعاء وتمزق ملك فاروق إلى الأبد .

وهكذا فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، وقد أقسم بعزته وجلاله لينصرن المظلوم ولو بعد حين . ومع هذا الوعيد الربانى ، فلا يزال الظالمون ، فى كل مراحل التاريخ لا يتعظون أو يرعوون .

ما من شك أن فى هذا حكمة علوية ، لا تدركها عقولنا القاصرة،وكل ما نستطيع أن نقوله فى حدود هذه العقول المخلوقة لا الخالقة أن النهار لا يعرف إلا بزوال الليل ، وأن الحق لا يتجلى إلا عند انتشار الباطل ، وأن العدل لا يعرف إلا إذا كان هناك ظلم ، وأن الحرية لا

تعشق إلا إذا ساد قهر أو استبداد ..

لقد أفضى الإمام الشهيد إلى ما قدم من خير ، ولا نزكى على الله أحدا ، بعد أن ملأ طباق الأرض بدعوة الإخوان المسلمين . وما أسعدنا وأسعد حكام المسلمين يوم أن يتبنوا هذه الدعوة ، التى تجعل قوائم حكمهم أرسخ من الشم الرواسى ، وما ذلك على الله بعزيز .

إننا نؤكد لهم ، أننا أخلص جند لهم إذا ما حكمونا بشرع الله المنصف ، ليصبح كل منا عن أخيه راضيا . رحم الله إمامنا الشهيد بعد أن تركنا على محجة رسول الله ﷺ ، البيضاء ، ليلها كنهارها ، بعد أن أزال من فوقها غبش القرون وغفلة المسلمين .

بعد وفاة الإمام الشهيد رضوان الله عليه ، حدث ما يحدث فى كل جماعة وحزب ، وهل نحن إلا بشرا ، حدث أن تباينت الآراء فيمن يخلفه فى قيادة الجماعة . فقد كان هناك المرحوم الاستاذ صالح عشماوى وكيل الجماعة ، وهو متخرج من كلية التجارة ، وكان ترتيبه الأول على دفعته ، ولكنه آثر العمل الحر فى صفوف الجماعة على قيود الوظيفة .

وكان هناك الأستاذ عبد الرحمن البنا شقيق الإمام الشهيد وهوأهل لكل مكرمة ، وكان هناك المرحوم الأستاذ عبد الحكيم عابدين سكرتير الجماعة ، وهو حاصل على شهادتى الآداب والحقوق ، وكان شعلة من الذكاء والحركة ، وخطيبا مفوها ، وكان هناك الأستاذ الباقورى بلباقته وعلمه وإسلوبه الأدبى .

وكان لكل من هؤلاء من يفضل انتخابه مرشدا عاما . وقد يشتد الخلاف حينا ، وقد تخف حدته حينا آخر ، ولكنى على الحالين لم أكن أرى موجبا لهذا الخلاف ، فلم أفضل واحدا على الآخر ، وكنت أرى أيهم ينتخب ففى قيادته الخير . وطالت مدة الخلاف ، دون أن يؤثر ذلك على تمسك الإخوان بدعوتهم ، مترقبين مرشدهم الجديد .

وأخيرا رأى المرحوم الأستاذ منير الدلة ، المستشار فى مجلس الدولة ، والأستاذ فريد عبد الخالق ، وهو من رجال التدريس ، والأستاذ صالح أبو رقيق المستشار فى الجامعة العربية ، رأوا ومعهم آخرون أن يحسم هذا الخلاف برجل من رجال القضاء ، ليس من الإخوان ظاهرا ، وإن كان فى صميمهم حقيقة ، وصادف هذا الاختيار أهله ، واجتمع الإخوان فى منزل المرحوم الأستاذ صالح عشماوى وبايعت الهيئة التأسيسية الأستاذ الهضيبى مرشدا للإخوان المسلمين عام ١٩٥٢ .

وفضيلة الأستاذ الهضيبى كان وكيلا لمحكمة النقض ، وقد قرأ كتب الفقه ، ويعجب بأراء ابن حزم ، حتى أنه قرأ المحلى كله والوسيط ، وكان فقيها فى الشريعة ، دائم الربط بين أحكامه وقواعد الإسلام ، وكانت حيثيات أحكامه تمتاز بالأسلوب البلاغى البديع ، وكانت أحكامه على الأغلب مبادىء قانونية يرتاح إليها القضاة من أقرانه .

ولقد رأيت بعيني رأسي فضيلته يحضر بعض مؤتمرات الإخوان المسلمين . وأذكر أننا فى حفل بمركز شبين القناطر . وكان يحضره ، دعيت إلى إلقاء كلمة ، بدأتها بأن دعوة الإخوان تمتاز عن غيرها بعدم تجريح الآخرين أو مهاجمتهم ، لأننا لا نرضى لطهر دعوتنا أن يعكر صفاؤها بالنيل من أحد . بيد أن حماس الموقف دفعنى إلى كلمات لا تتفق مع ما بدأت به من احتراز ، فإذا بفضيلته ، وكان إذ ذاك لا يزال مستشارا بمحكمة النقض ، إذا به يقول : عد إلى ما كنت فيه . فتنبهت إلى المزلق ، ورجعت إلى ما أخذت نفسى به .

## أسلوب مختلف

وهنا أحب أن أقول لا متحدثا عن نفسى ، ولكن مقررا لحقيقة ، إن إسلوبى الهادىء فى الكتابة والنقاش ليس سياسة ولا مجاملة ولكنى طبعت على الرفق فى معاملتى مع الناس ، حتى لأعتذر لمن أساء إلى إذا كان فى الاعتذار ما يريح أعصابه . وبين المرشدين صور متشابهة ، وبينهما بعض الاختلاف فى المظهر والطباع . فالإمام البنا كان متحدثا بحكم عمله ومكانته . ولكن الأستاذ الهضيبى كان أميل إلى الصمت بحكم عمله ومكانته . فالقاضى يسمع أكثر مما يتكلم . كان البنا دائم الابتسام ، ولكن الهضيبى فبطابع كرسى القضاء كان صارم المظهر ، يحملك على ترك اللجاج فى حضرته ، فإذا تخاصم لديه أخوان ، بادرهما بعبارته المعروفة عنه ، « إذا كنتما عاجزين عن إصلاح ذات بينكما ، فكيف تصلحان ذات بين الآخرين » . كان من أكثر دعائه ( يارب أهلنى لطاعتك ) . لقد كان فضل الله عظيما على الإخوان باختيار فضيلة الأستاذ الهضيبى مرشدا للإخوان فى تلك المرحلة التى لا تحتاج إلى المهاترة وتحتاج إلى الصبر وإلى الصمود والتحمل .

لقد مرت الدعوة تحت قيادة الأستاذ الهضيبى بأقسى عواصف الظلم والاضطهاد . فكان صموده وعزوفه عن إعطاء الدنية من نفسه أعظم الأثر فى تماسك الإخوان إزاء تلك الرياح الهوج ، واحتمالهم لكل ما نزل بهم من محن عظام . وخرج الإخوان من محنة ١٩٥٤ أرفع الناس رؤوسا . وازداد انتشار دعوتهم فى كل مكان ، رغم انقطاع ما بين الشباب وقياداتهم المغيبة فى أعماق السجون .

وقد أدهش صبر الإخوان وتحملهم العذاب ، كل خصوم الإسلام والمسلمين ، الذين قرر الدارسون والباحثون منهم ، فى شئون المد الإسلامى ، أن أسلوب التعامل مع الإخوان يجب أن يتغير من العنف والشدة إلى اللين وفتح أبواب المغانم الدنيوية أمامهم ، علهم ينصرفون عن هذه الدعوة التى يرون أنها أخطر شيء عليهم ، فى هذا الوجود . وبالفعل أعيد الإخوان إلى وظائفهم مع حفظ درجاتهم ، وحكم بالتعويض للكثير منهم ، وأفرج عن المعتقلين ،

وعادت مجلة الدعوة للظهور لا لأنهم أعطونا ترخيصا بها كما زعموا . فهى تصدر بالفعل منذ عام ١٩٤٤ وليس هناك مايمنع من ظهورها فى ثوبها القشيب الجديد. ولكن كل ذلك لم يُجْدِ شيئا فى صرف الإخوان عن دعوتهم . وكان من المتوقع أن يطلب الأستاذ الهضيبى مقابلة فاروق للمشاركة فى إنقاذ الوطن مما كان ينحدر إليه فى جميع نواحيه ، ولكنه رفض خشـــية أن يقال عنه إنه يسعى لمقابلة فاروق ، ولأنه كان يرى أن وضعه كمرشد للإخوان المسلمين فوق ذلك بمراحل شاسعة وهو أحرص ما يكون على هذه الكرامة التى متعه الله بها فى مراحل حياته ، وأخيرا استدعاه وهو لا يملك إلا أن يستجيب ، فذهب وخرج من تلك المقابلة وهو يصفها بانها « مقابلة كريمة لملك كريم » ولو أنك أمعنت النظر فى تلك الكلمات الأربع ، لعلمت كيف كان ذلك المرشد العظيم رضوان الله عليه يزن الكلمات فى إيجاز مع إعطائها كل المعانى المطلوبة ، فهو قد بدأ فى تصريحه بالمقابلة الكريمة ولم يبدأها بالملك الكريم ، هذه واحدة ، وفى هذه المقابلة كان محل إحترام الملك وتقديره فعبر عنها بأنها مقابلة كريمة وهو صادق فى قوله ، ولم يقل : إنها مقابلة بناءة أو خلاقة ، أو حلت الكثير من المشاكل ، ولكن ما دام الملك قد قدره واحترمه فهى مقابلة كريمة ولا شك ، أما وقد كان موقف الملك على هذه الصورة معه فليس من المنطق أو اللياقة أن يصفه بأنه ملك لئيم أو ماأشبه ذلك .

المعتاد فى مباشرة المستشارين لعملهم أن يبدأوه بيمين أمام الملك ، أو رئيس الجمهورية ، أو الأمير ، أو ما إلى ذلك من الألقاب ، وكان رجال القصر يستقبلون المستشارين الجدد قبل لقائهم للملك ليبينوا لهم مراسم اللقاء وكيف يكون الدخول والانحناء والخروج بالظهر وأنهم لا يبدأون الملك بكلام وما إلى هذه التفاهات التى يحرص عليها الفارغون المتكبرون من الرؤساء والزعماء .

فلما عين الأستاذ الهضيبى مستشار وذهب إلى القصر مع زملائه لأداء اليمين المظهرية التى لا داعى لها على الإطلاق فى مجال القضاء ورجاله ، وفى يوم من الأيام كنت عائدا من محكمة بنها مع المرحوم المستشار السعيد رمضان السعيد فأخبرنى ونحن معا فى السيارة إلى القاهرة بالواقعة الآتية :

قال رحمه الله : ذهبت مع الهضيبى إلى القصر واستقبلنا رجال التشريفة وأفضوا إلينا بالتعليمات والشكليات التى يجب أن نقوم بها عند دخولنا على الملك وعند خروجنا بعد أداء اليمين ، وأدينا جميعا ما طلب منا بدقة إلا حسن الهضيبى فقد تصرف تصرفات تخالف كل ما طلب منه القيام به فبمجرد دخوله بادر الملك بالسلام قائلا : السلام عليكم ففزعنا وتوقعنا أزمة لها ما بعدها ، وأن الهضيبى أوقفنا موقفا محرجا لنا جميعا ، والغريب أن الملك رد السلام فى هدوء ، وحمدنا الله أن الموقف مر بهذه السهولة ، وبعد أن أدينا اليمين خرجنا جميعا بظهورنا إلا الأستاذ الهضيبى فإنه ولّى الملك ظهره وخرج من الحجرة الملكية بوجهه لا بظهره ، وهنا توقعنا أن السماء ستنطبق على الأرض ، فهذه أول مرة تخالف فيها التقاليد عند مقابلة الملوك ، ومرت

أيام وأسابيع ولم يحدث شيء وتأكدنا أن كرامة الإنسان لا يستطيع توفيرها للشخص إلا نفسه وبذاته ، الكرامة تنبع من دخيلة نفوس الرجال وليست الكرامة ما يفيض بها إنسان على إنسان ، فمن يلبى نداء الكرامة ويعف عند المغنم تحترمه الجن والإنس ولو كانوا معه على خصومة ، وهكذا كان مرشدنا فضيلة الأستاذ الهضيبى فى كل مراحل حياته ، ولست أدرى أذكرت الواقعة فيما سبق أو أعرض لها لأول مرة .

* * *

# الحلقـــــة
# الثانيــة عشــرة

- غنينـا مـع أم كلثـوم فى السجن الحـربى تحت تهديد السلاح ؟ .
- السـادات اتهمنى بالفتنـة الطائفيـة ثم بإخمادها فى الخطاب ذاته .
- مـازلت أشـك حـتى الآن فى ظـروف مقتـل الشيخ الذهبـى .

يتحدث عمر التلمسانى عن سلفيه المرشد الأول حسن البنا والمرشد الثانى حسن الهضيبى بانبهار وحب ووفاء ، فلقد حمل المرشد الأول مسؤولية نشر الدعوة ووضع الأسس والمبادىء السلوكية والفكرية التى تسير عليها الجماعة وتحمـل فى سبيل ذلك الكثير من المشاق والتضحيات التى توجها بدفع حياته ثمنا للذود عن دعواه . وتحمل المرشد الثانى مسؤولية قيادة معارك البقاء والاستمرار التى خاضها الإخوان فى مواجهة الثورة ، فتميز بالصلابة والقوة والصبر على المكاره التى فاقت كل حد ، ولم تنكسر إرادته ولم يسمح للوهن أن يصيب عزيمته ..فكان مجاهدا حقيقيا قاد الإخوان فى أحلك ساعات وأيام وسنوات وجودهم وكان قدوة فى جلده واحتماله أمام الآخرين .

وهذه الشهادة على عصرين لها قيمتها لأنها تجىء من المرشد العام الثالث للإخوان المسلمين ، الذى يتحمل اليوم مسؤولية قيادة سفينة الإخوان إلى بر الأمان ، هذا الأمان الذى لا يعنى أبدا فى نظره أى تنازل عن المبادىء التى أرساها السلف القدوة وبخاصة مبدأ تنفيذ شرع الله وتطبيقه ، والذى أصبح اليوم فى عهد المرشد الثالث مطلبا أساسيا فى برامج كل الأحزاب السياسية فى مصر بما فيها الأحزاب المنبثقة عن ثورة ٢٣ يوليو ( تموز ) « الوطنى والأحرار والتجمع » .

**وفى هذه الحلقة يواصل الأستاذ « عمر التلمسانى » حديث ذكرياته عن معارك سلفه المرشد « حسن الهضيبى » فيقول :**

## أم كلثوم فى السجن

عندما كنا فى السجن الحربى كانوا يوقفوننا صفوفا صفوفا نردد مع أم كلثوم « ياجمال يامثال الوطنية » وكان يقف على أسطح مبانى السجن الحربى جنود بأيديهم المدافع الرشاشة ليحصدونا حصدا ، لدى أية بادرة من توقف أو عصيان ! .. وفى مرة من تلك المرات طلب ضابط من فضيلة المرشد الأستاذ الهضيبى أن يضرب الأرض بقدمه بشدة . وبمنتهى الاستهانة بتلك العقلية الطفولية قال له : سأضرب الأرض بشدة لأخرج بترولا لا بطيخا ولا شماما ..وكم كان من المستحيل وفى مثل ذلك الموقف الخطير أن يسيطر إنسان على أعصابه وأن يتحدث مستخفا بالعقلية التى أمامه ، مستهينا بخطورة الموقف،ولكنه « حسن إسماعيل الهضيبى » وكفى ! .. الأنفة والشمم والصمود والاستهانة بالأخطار والثقة الكاملة بالقوى العزيز الذى لا يقع فى ملكه إلا ما يشاء . إن الإنسان فى دنياه بين يومين ، يوم قدر فيه قدره .. ويوم لم يقدر فيه ذاك القدر . فما الذى يخافه المسلم الصادق الإيمان .. يوم لا يقدر فيه قدر . لا يرهبه الإنسان لأنه فى كنف من قدر المقادير . ويوم قدر فيه قدر فأين منه المفر ، حيث لا حذر ينجى من قدر .

ولما أفرج عن فضيلته فى أوائل عهد السادات جاءه كل من كان مختلفا معه فى الرأى معتذرا ومقدرا ومقدما بعض مؤلفاته وكان لقاء بينه وبينهم تأكدت فيه مكانة الأستاذ الهضيبى فكان يلقاهم باسما فرحا بعودتهم إلى الحق بعدما تبين لهم،ولم يشر إلى الماضى بكلمة .

وظل الأستاذ الهضيبى رغم حل الجماعة ، ظل رمزا مشرفا لها ، وعنوانا هاديا إليها ، يعترف كل الإخوان المسلمين بأنه مرشدهم ، يرجعون إليه فى الكبير و الصغير من أمورهم .. وكأنما هذه الجماعة لم تحل إلا على الورق . ودون تحد لقوانين البلد ،ودون تنظيم مشهر أو غير مشهر ظلت أمور الإخوان تسير وكأنما شيئا لم يتغير .. إن الصلة بالله والحب فيه واجتماع المسلم بالمسلم ، وجلوسهم لقراءة القرآن .. ومدارسته وقراءة كتب السيرة والفقه والتفسير ومدارسة أحوال الوطن والمواطنين . أمر لا يحرمه القانون بل يرعاه الدستور ، وإن كان رجال الأمن يتصورون أنه الخطر كل الخطر . وليس لهذا الخطر فى حقيقة الواقع وجود فى برامج الإخوان المسلمين،وطالما قبضت أجهزة المباحث على العشرات من الإخوان لشبهة أو لأخرى . وبعد أن تحتجزهم الأيام والأسابيع فى ضيافتها ، ويالها من ضيافة حارة ! تقدمهم للنيابة التى تأمر بالإفراج عنهم بمجرد عرضهم عليها والاطلاع على ما يسمونه تهما منسوبة

إليهم . إذ ترى النيابة أنه ليس فى ما تقدم إليها من تحقيقات شبهة تستلزم إبقاء هؤلاء الإخوان لحظة واحدة فى قبضة المباحث ، التى تبقيهم بعد قرار النيابة بالإفراج عنهم أياما وأسابيع تسعد فيها برؤياهم فى ضيافتها الكريمة .

# جذور التكفير

وعندما كنا فى المعتقلات وكان عذاب زبانية عبد الناصر على أشد صورة فى قسوته ووحشيته تصور بعض المعذبين أن ما وقع عليهم لا يمكن أن يصدر من مسلم فى قلبه ذرة من إيمان . ولكنه يصدر عن أعدى أعداء المسلمين وأفحشهم ضراوة على الإسلام . وفى غمار هذا الهول الشنيع نبتت فكرة التكفير عند بعض الشباب . وراحت تصرفات رجال السجون والمباحث تنمى معنى التكفير فى عقول ذلك الشباب الذى يبيت على تعذيب ويصحو على تعذيب . دونه ما رواه التاريخ لنا عن محاكم التفتيش .. ورسخت فكرة التكفير فى ذهن بعض الشباب . وآمنوا بها فى إقتناع عجيب .. واتسع نطاقها فى معتقل مزرعة ليمان طرة ، حتى بلغت أخبارها فضيلة الأستاذ الهضيبى رضوان الله عليه . إذ كان معتقلا هناك فاستدعى رؤساءهم وناقشهم فى الفكرة . وكانت الجلسة تنتهى بما يشعر باقتناعهم بكلامه . وما إن يخرجوا من عنده حتى يعودوا لما كانوا عليه ، حتى يئس من إقلاعهم عن تلك الفكرة . فكتب كتابه « دعاة لا قضاة » مستعينا بالله بالأستاذ مأمون الهضيبى المستشار فى محكمة الاستئناف العالى،والأستاذ مصطفى مشهور . وكان الحق ما رآه فضيلته لأن تكفير المسلم ليس بالأمر الهين فى العقيدة الإسلامية مهما بلغ المسلم فى انحرافه أو قسوته،ولرسول الله ﷺ فى هذا المعنى أحاديث صحيحة لا حصر لها ، منها :يقول معاذ بن جبل ، كنت رديف رسول الله ﷺ فقال : « يامعاذ هل تدرى ما حق الله على عباده ، وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا . قلت : يارسول الله أفلا أبشر الناس ؟؟ قال : « لا تبشرهم فيتكلوا » .

ثم حدث ما حدث مما نسب إلى جماعة التكفير والهجرة ، وعلمه العام والخاص . وإن كنت فى شك حتى اليوم فى حقيقة مقتل الشيخ الذهبى رحمه الله .

وجاءنى فى عام ١٩٧٣ فضيلة الشيخ « سيد سابق » وأخبرنى أن السيد « أحمد طعيمة » وكان وزيرا فى عهد السادات جاءه وأخبره أن السادات على استعداد للقاء بعض الإخوان المسلمين المعروفين لإزالة ما فى النفوس والتعاون على خدمة الوطن . وكان ذلك قبل استبعاد الخبراء السوفيات بقليل فرحبت بالفكرة . وذهبت إلى فضيلة المرشد « حسن

( م ٨ - ذكريات )

الهضيبى » الذى كان فى الإسكندرية وأخبرته بحديث الشيخ سيد سابق معى ، فقال لى فضيلته إن الفكرة لا بأس بها إن صحت النوايا عند أصحابها ، وكلفنى أن أستمر فى المفاوضات التى سارت سيرا حثيثا وصل إلى الدرجة التى طلب منى فيها الشيخ سيد سابق ـــ طبقا لما طلب منه السيد أحمد طعيمة ـــ أن أقوم بتكوين لجنة من الإخوان تقابل السادات فى الإسكندرية لوضع الصيغة النهائية للاتفاق . واتصلت بالسيد أحمد طعيمة تليفونيا وأعلمته بأسماء الإخوة الذين سيقابلون السادات بناء على طلبه ، ثم حدث توقف تام لم أدر ما أسبابه . إلى أن التقيت بالشيخ سيد سابق مصادفة عند الأزهر وسألته عن النتائج ، فأخبرنى أن الجماعة ـــ يقصد السادات ـــ رأوا إرجاء الأمر إلى حين . وعتبت على الشيخ سيد سابق أنه لم يخبرنى بالأمر فى حينه ، وهل لو لم أقابله مصادفة عند الأزهر ما كان ليعلمنى بالنتيجة . وأترك تصرف الشيخ سيد سابق وتفسيره وتبريره لفضيلته . فلعل له عذرا وأنا ألوم .

وساءلت نفسى : لماذا يتخذ السادات مثل هذا الإجراء ؟ ليعلم مدى استعداد الإخوان للتعاون على ما فيه خير الوطن ؟؟ ربما ! . هل كان الغرض أن يعرف السادات المسؤولين فى الإخوان ؟ ربما ! . وإن كنت على ثقة من معرفته لهم فى واقعة أخرى سأعرض لها . هل يريد أن يعرف إن كنا على صلة ومترابطين وأن الأحداث لم تضعف من قوة هذا الرباط لأنه فى الله ولوجه الله ؟ جائز ! . هل كان يريد الوصول إلى شىء ثم عدل عنه بمحض رأيه أو أشير به عليه ؟ من يدرى ؟! هل يريد التأكد من حيوية الإخوان ووجودهم فى الميدان العام ؟ لعل . هل كان فى حاجة إلى تأييد شعبى حينذاك ولا يجده إلا عند الإخوان ؟ هل كان يريد البطش بالإخوان فقام بتلك المناورة ليأخذهم على غرة ؟ افتراض !

وكل غرض محتمل .. هل كان يريد حقا أن يتعاون مع الإخوان لعلمه بأنهم أصلح من يؤتمنون فى كل المواقف ، ثم رأى أو رئى له العدول عن ذلك خوفا من سيادة الرأى القائل بتطبيق شرع الله : لم لا ؟

هل هى فكرة طرأت له فى ساعة تجل ، فلما تنبه عدل ؟ ! ما المانع ؟ . وأخيرا فعلم كل ذلك عند ربى الذى يريد بعباده اليسر . المهم أن الإخوان وعلى رأسهم فضيلة المرشد ، كانوا فى قمة المسؤولية والتقدير عند أية بادرة من البوادر تهدف إلى إصلاح هذا الوطن العزيز .

## وساطة عثمان

وفى مرة أخرى طلب منا السيد « عثمان أحمد عثمان » وقد كان وزيرا للإسكان حينذاك

أن تلقاه مجموعة منا ، فذهبت مع الدكتور أحمد الملط والحاج حسنى عبد الباقى والاستاذ صالح أبو رقيق . وقابلناه ، فرأى أنه من الخير أن نقدم للسادات وجهة نظرنا فى الإصلاح كتابة ، حتى يدرس الأمر فى روية وعلى مهل ، فكتبنا له وجهة نظرنا فى تسع صفحات فولسكاب حملها إليه السيد « عثمان أحمد عثمان » ثم كانت لى مقابلات مع السيد محمد حسنى مبارك وكان نائبا لرئيس الجمهورية فى ذلك الحين ، لقيته فى منزله فى مصر الجديدة منفردا مرارا . ومعى الأستاذ مصطفى مشهور مرات أخرى ، لبعض استفسارات عن بعض ما جاء بتلك الصفحات التسع ، ثم انتهى الأمر إلى صمت مطبق . وتوقفت اللقاءات . ما هى الأسباب ؟ لست أدرى . والمهم مرة أخرى هو وثوق المسؤولين بثقل الإخوان فى الشارع السياسى ، وأثره فى الرأى العام . وإلا فما الذى يحمل المسؤولين على مثل هذة التصرفات . والذى أؤكده على وجه القطع واليقين أن الإخوان المسلمين كانوا وما يزالون وسيظلون بفضل الله على مستوى المسؤولية الوطنية ، وأنهم أبعد ما يكونون عن التعصب ، وأنهم على استعداد كامل لكل حوار من ورائه رفعة شأن هذا الوطن الغالى الحبيب . ومما لا شك فيه أن هذه اللقاءات التى كانت تتم بين المسؤولين تقطع ببراءة الإخوان من الخيانة والعمالة والتبعية ، وهى التى يقذف بها خصومهم كلما دعا داع إلى هذا الهجوم والافتراء بلا دليل ، بل وبلا تحرج ولا تأثيم .

إننا سنظل هدفا لهذه المحاولات المسمومة مرة بعد مرة . ثم ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ .

واستدعانى المرحوم السيد« فؤاد محى الذين » فى أوائل ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٨٣ لمقابلته فى دار رئاسة مجلس الوزراء ، ومدير مكتبه لا يزال حيا وندعو له بالصحة وطول العمر يشهد بذلك . وكنت أظن أن الاستدعاء لأمر له أهميته ، واستمرت المقابلة حوالى نصف الساعة ، وكل ما يهم فى هذه الذكريات أن سيادته سألنى عمن سيكون من جانبنا فى الانتخابات ، فكان الرد أن الإخوان لم يتفقوا مع أحد بعد . ولم يزد ولم أزد . وقال إن هذه اللقاءات ستكرر ، فحمدت له ذلك . وللحقيقة فقد كان الرجل رحمه الله غاية فى التلطف والرقة وحسن الاستماع . وكم كنت أود لو تكررت هذه اللقاءات وبهذا الأسلوب الرقيق . ولكن المنية عاجلته فرحمة الله عليه وعلينا أجمعين . ولو قدر المسؤولون أن مثل هذا التصرف له أثره فى جمع صفوف الشعب لحرصوا عليه وأكثروا منه . فالمواجهة تحل كثيرا من العقد ، وتعين على تضييق شقة الخلاف فى الرأى ، ولأن يناقش المسؤول مخالفيه فى الرأى مواجهة ، فذلك خير من أن ينقل إليه الرأى بالواسطة .

## الفتنة الطائفية

اعتقلوا الإخوان فى يناير ( كانون الثانى ) ١٩٥٤ واعتقلت معهم فى فبراير ( شباط )

من العام نفسه وكانوا يخرجوننا حوالى العاشرة صباحا للتشميس ويجلسوننا وبين كل أخ وأخ حوالى المترين من كل جانب . أماما وخلفا وشمالا ويمينا . وبعد أن نجلس يقف أحد الضباط يتلو تعليمات النظام فى هذه الجلسة الأرضية . ولا يزال يعلق بذهنى بعض هذه التعليمات « ممنوع الكلام » وممنوع الهمس والغمز .واللمز . ممنوع الإشارات . وهكذا تمضى فترة التشميس صامتة وإن كان الإخوان لم يعجزوا عن توصيل ما يريدون من معلومات إلى بعضهم بعضا .

ثم أعود لأذكر بالفتنة الطائفية التى أطلقها عهد السادات . فأذكر أن السيد اللواء نبوى إسماعيل وزير الداخلية كان يستعيين بأعضاء المؤتمر الدائم للجماعات الإسلاميةوكنت رئيسه .

وفى إحدى الجلسات الخاصة بالزاوية الحمراء أطلق علىّ لقب « أمير الأمراء » وذلك أمام الأساتذة محمد الغزالى وصلاح أبو اسماعيل وإبراهيم شرف وآخرين، ومنحنى هذا اللقب إقرارا منه بجهودى فى القضاء على تلك الفتنة المصطنعة . ومن العجب أن السادات فى خطابه يوم ٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٨١ تناقض مع نفسه تناقضا بينا فى علاقتى بتلك الفتنة المدعاة . إذ ادعى أولا أننى من مثيرى هذه الفتنة ، فصفق له أعضاء مجلسى الشعب والشورى . ولست أدرى أى سبب يدعو إلى مثل ذلك التصفيق ، وبعد قليل قال إن مؤتمر الجماعات الإسلامية كان له دور مشكور فى القضاء على تلك الفتنة . ولست أدرى هل نسى أننى رئيس ذلك المؤتمر، أم اعتمد على أن السامعين من أعضاء المجلسين نسوا ما نسبه إلى . ولكن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا . والمضحك أنهم صفقوا له فى المرة الثانية كذلك ! أهى شهوة التصفيق التى كانت تريح الأعصاب ؟ أم إشعاره بأن كل ما يقوله يستحق التصفيق إعجابا وإرضاء ؟ الله أعلم .

## تأديب النبوى إسماعيل !!

ويحضرنى هنا أن وزارة الداخلية بعد مقتل السادات كانت أشبه شىء بقلعة محصنة ، حتى أننى لما دعيت لمقابلة نبوى إسماعيل وزير الداخلية ، مررت من أمام أجهزة تبين إن كنت أحمل أى شىء معدنى أم لا ، ووجدت بمدفعين رشاشين يدلان على شدة التوتر العصبى فى تلك الأيام . وفى هذه المقابلة أخبرنى أن المرحوم كمال السنانيرى انتحر فى زنزانته . كما سألنى إن كنت أريد أن أنتقل إلى معتقل قصر العينى أم لا ؟ .. فأجبته أن الأمر عندى يستوى هنا أو هناك . ولكنه فى عصر ذلك اليوم ١٢ نوفمبر ( تشرين الثانى ) ١٩٨١ أرسل إلى ضباطا نقلونى إلى معتقل قصر العينى حيث التقيت بالكثير من الزعماء وذوى

الفكر فى مصر . وإنصافا للرجل ـــ اللواء نبوى إسماعيل ـــ إننى بعد الإفراج عنى بأشهر كنت فى زيارة لأحد وزراء ذلك العهد ، ولا يزال حيا فأخبرنى هذا الوزير أن السيد نبوى إسماعيل عارض فى اعتقالى معارضة طويلة شديدة ، ولم يسكت إلا بعد أن أمره السادات أن يترك هذا الأمر بالمرة ، فسكت ، ولكن مدير سجن طرة كان يخبرنى باستمرار أن السيد النائب ( يقصد وزير الداخلية ) كان يوصى بتوفير الراحة لى ، هذه الراحة التى لم أعرف لها طعما طوال إقامتى فى مستشفى ليمان طرة . وكانت الكثرة من الضباط تشدد الرقابة على إلى درجة المضايقة . والقلة هى التى تعطف . وفى هذه المقابلة شكوت إلى وزير الداخلية ، ما كان يحدث من تعذيب تحت نافذة غرفتى من منتصف الليل حتى مطلع الفجر بصورة مزعجة . والصراخ الذى يتصاعد من حناجر المعذبين . فكان رده إن ذلك لم يكن تعذيبا ولكن فى لوائح السجون شيئا اسمه التأديب . وهو عبارة عن جلد المذنبين المخالفين للوائح السجن على ( العروسة ) . فلم أناقشه لأنى أعلم أن التأديب ألغى من لوائح السجن وأنه كان يتم بالنهار وليس فى غسق الليل .

وتسعفنى ذاكرتى بأن جمال عبد الناصر جمع كل الصحف والمجلات التى فيها انتقادات لحكام المنطقة ومطالبتهم بتطبيق الشريعة الإسلامية ، وهى مقالات كتبت بأقلام بعض الإخوان ، تحريضا لأولئك الحكام على الإخوان .

أى أنه لم يكن يكفيه ما كان يفعله بالإخوان فى مصر . ولكنه يطلب من سائر حكام المنطقة أن يباشروا مع الإخوان ما باشره هو معهم من التعذيب والقتل والتشريد ، وكان ذلك فى مؤتمر الرباط الذى عقده ملوك وأمراء ورؤساء البلاد الإسلامية فى ذلك الحين .

كما افتخر فى موسكو بأنه اعتقل عشرين ألفا من الإخوان فى ليلة واحدة . إننى لا أذكر ذلك إلا تسجيلا للذكريات . فى حين أننى أدعو له بالرحمة ولكل مسلم مذنب أو عاص .

وهذا ما أوصى به كل مسلم . لاتجعلوا همكم الدعاء على الظالمين ولكن فكروا كيف تكفونهم عن الظلم . ولا ننسى أن عبد الناصر طالما انتقد ( فاروق ) فى إساءة استعمال اليخت ( المحروسة ) .

فلما استوى على حكم مصر كان يستعمل هذا اليخت فى نزهاته البحرية بين مصر وأوربا ومعه كل أسرته وأنسبائه . وفى عهد عبد الناصر ساد شعار تفضيل أهل الثقة حتى ولو كانوا جهلاء على أهل التخصص والدراية ، حتى ولو كانوا أكفاء . ومن منا ينسى مجوهرات بيت آل محمد على وما أثير حولها من كلام كله إتهامات ، وكانت الأركان فى كل مكان ، وكانت محل انتقادات عبد الناصر فلما آل الأمر إليه استولى أهله وذووه وذوو الثقة عنده على تلك المجوهرات واستعملوها أسوأ استعمال .

# الحلقــــة
# الثالثــة عشــرة

- قصــة الخــلاف بيــن عبد الناصـر والإخوان المسلمين .
- عبــد الناصـــر كان ماهــراً عندما ألغى الأحزاب وأوقع الإخوان فى حيرة .
- الباقــورى قبــل الــوزارة دون استشــارة الإخوان والمرشــد العام .

تراوحت العلاقة بين الإخوان المسلمين وثورة ٢٣ يوليو ( تموز ) ٥٢ ما بين المحبة الشديدة والتأييد فى البداية والعداء والمواجهة العنيفة بعد ذلك . قيل إن جمال عبد الناصر كان عضوا منتسبا لجماعة الإخوان هو والعديد من أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار ، وأن الإخوان كانوا يأملون فى تحقيق أهدافهم من خلال « حركة الجيش » لدرجة أن « النظام الخاص » قام بتأمين المرافق العامة والبنايات الهامة ، وحراستها خلال الأيام الأولى للثورة وقيل أيضا إن الإخوان هم الذين صنعوا الثورة .. لكن ما الذى حول التأييد إلى الرفض ؟ .. ما الذى حول الحليف إلى خصم ثم إلى عدو ؟ .. هل حاول الإخوان فرض وصايتهم على الثورة ؟ هل حاول المرشد العام « حسن الهضيبى » أن يلوى زراع جمال عبد الناصر حتى يخضعه لإرادة الإخوان ؟ وهل طلب منه عدم إصدار القرارات من مجلس قيادة الثورة دون الرجوع إلى قيادة الإخوان ؟

العلاقة بين الإخوان والثورة ، تراجيديا لم يسبق لها مثيل .. وفى العداء يباح كل شىء ويبقى فى النهاية اجترار المرارة والألم . إنها حكاية مؤلمة طويلة يفتح ملفها الأستاذ « عمر التلمسانى » فى الحلقات المقبلة ...

# الإخوان والثورة

حاول بعض الضباط الأحرار ، فى أواخر حكم السادات ، أن يكونوا حزبا منهم ومن الإخوان ، والأسماء موجودة وأصحابها على قيد الحياة،وأنا لا أكتب للتشهير ولكن للذكرى التى تنفع المؤمنين . فقال لهم المتفاوضون معهم من الإخوان : إن مثل هذا الحزب الذى يجمع المتناقضات يبدو شيئا ممجوجا وسمجا عند الرأى العام بعد كل ما حصل من الضباط الأحرار فى عهد عبد الناصر ، من إساءات إلى الإخوان . فلا أقل إذا كان يراد لهذا الحزب شىء من الاحترام ، أن يعلن هؤلاء الضباط الأحرار ، أن كل ما حدث فى عهد عبد الناصر ، كان أخطاء . فقال المتفاوض من الضباط الأحرار — وما يزال على قيد الحياة — إن كل ما حدث من عبد الناصر قبل عام ١٩٦٥ ، كان صحيحا ، وما حدث بعد ذلك كان خطأ ، ومعنى ذلك أنهم يقرون كل ما فعله عبد الناصر بالإخوان ، وعند هذا الإصرار رفض الإخوان الاستمرار فى تلك المفاوضات بعد أن ثبت لديهم أن نوايا الضباط الأحرار إزاءهم لا تزال كما هى من إقرار تعذيب الإخوان وتشريدهم .

كانت صلة عبد القادر عودة برجال « الانقلاب » أو « التغيير » طيبة ، ظنا منه أنهم سينفذون ما اتفقوا عليه ، ولكن لما بدا منهم ما يدل على أنهم غير جادين فى تطبيق شرع الله بدأت العلاقة تفتر بينهم وبينه .. حتى إذا كانت مظاهرات عابدين فى فبراير ( شباط ) ١٩٥٤ ، وضاق الميدان بمن فيه من المتظاهرين ، مطالبين بتطبيق الشريعة والإفراج عن فضيلة الأستاذ الهضيبى — رحمه الله — ومن معه ، وفشلت كل المحاولات فى صرف تلك الجموع . واستدعى السيد « محمد نجيب » رئيس الجمهورية أنذاك الشهيد « عبد القادرعودة » وطلب منه أن يصرف تلك الجموع ، وخرج الشهيد عبد القادر عودة مع السيد محمد نجيب رئيس الجمهورية إلى الشرفة المطلة على الميدان ، وطلب من المتظاهرين أن ينصرفوا ما داموا قد عبروا عن مشاعرهم ، وأعلنوا مطالبهم ، وما هى إلا دقائق حتى بدأ ميدان عابدين وكأن لم يكن فيه من كان فيه . وهنا أحس عبد الناصر بخطورة الشهيد عبد القادر عودة على حكمه ، وما هى إلا ليلة أو بعض ليلة حتى قبض عليه ، وقدم للمحاكمة بعد حادث المنشية فى أكتوبر ١٩٥٤ بتهمة العمل على قلب النظام القائم . وحوكم كل أعضاء مكتب الإرشاد ، وصدر الحكم بإعدام فضيلة المرشد وعبد القادر عودة والأستاذ محمد فرغلى ، والسجن المؤبد على الإخوة المرحوم الدكتور خميس والأستاذ صالح أبو رقيق ، والأستاذ عبد العزيز عطيه والأستاذ محمد حامد أبو النصر ، والسجن مع الشغل خمسة عشر عاما على المرحوم الشيخ أحمد شريت وعمر التلمسانى راوى هذه الذكريات ، والدكتور محمد كمال خليفة والدكتور حسين كمال الدين والمرحوم المستشار منير الدلة ، وبراءة الأساتذة الشيخ عبد العزيز عبد الستار

الأستاذ البهى الخولى والأستاذ عبد الرحمن البنا . وسيق كل منا إلى سجنه ، وأكثروا من نقلنا من سجن إلى سجن ، فأدخلت سجن مصر ، ثم نقلت إلى سجن بنى سويف ، ثم إلى الواحات ، ثم إلى المحاريق ، ثم إلى سجن أسيوط ، ثم سجن قنا ، ثم إلى مستشفى ليمان طرة ، وفيه انتهت الخمسة عشر عاما ، وخرجت منه إلى معتقل مزرعة سجن طرة . وقضيت فيها عامين آخرين رهن الاعتقال . وبهذه المناسبة لما انتهت مدة العقوبة حضر بعض أقاربى إلى باب السجن ليصحبونى معهم إلى المنزل ، فطلبت منهم الانصراف ، ولك أن تتصور الصدمة التى أصابت الأهل الذين كانوا فى انتظارى ليفطروا معى — إذ كنا فى رمضان — تصور حالهم وهم يتفرقون فى حسرة وحزن بعد أن صدمتهم حقيقة حكم عبد الناصر وعدالته ووفائه ورقة قلبه التى تحدث عنها أحد مشايخ الأزهر فى إحدى مقالاته الأخيرة ، وغفر الله لنا وله ، لأنه يقدم ما لا يليق بأمثاله وبدون مقابل . وكل ميسر لما خلق له .

## محكمة عجيبة

كانت المحكمة التى عقدت برئاسة جمال سالم وعضوية حسين الشافعى وأنور السادات ، أعجوبة الأعاجيب فى دنيا المحاكم . لم تكن محاكمة ، لأن الأحكام كانت مقررة ومعروفة قبل صدورها . ولم تكن مناقشات واستيضاحات ولكن مساخر وإهانات . فقد طلب من الأخ يوسف طلعت رحمه الله أن يقرأ الفاتحة بالمقلوب . بربك هل سمعت بمثل هذه المساخر المضحكة المبكية . وكان أى متهم ينكر ما ذكر على لسانه ، لأنه صدر تحت إكراه التعذيب . يرفع المرحوم جمال سالم الجلسة ويحيل المتهم إلى رجال السجن الحربى ليروا رأيهم فيه ، فيعودون به بعد قليل، عادلا عن إنكاره، معترفاً بما جاء فى أوراق التحقيق . ذلك لأن المتهم المسكين ظن أنه أمام محكمة حقيقية ، وأنه ليس أمام محكمة هزلية مأساوية ، فإذا به والمحكمة نفسها تعيده إلى الزبانية ، الذين يعودون به معترفا بكل ما لم تجترمه يداه . وكان جمال سالم يسأل عن بعض الآيات فى سورة « **العمران** » وهو يقصد « **آل عمران** » ظنا منه بأن « **آل** » هنا أداة تعريف ! .

هؤلاء هم الذين كانوا يحكمون علينا ، لا يحاكموننا . وقد نالنى أثناء المحاكمة شىء من سخريات السيد جمال سالم إذ طلبت طلبا من المحكمة فقال لى « نعم يا سى عمر » وخشيت أن يتمادى فى مداعباته الظريفة الخفيفة على سبيل تسمية الأشياء بضدها ، كما تقول للأحمر ياأصفر أو للأسود ياأبيض فأسرعت بالتنازل عن الطلب ،

وكفى الله المتهمين الطلبات . كل هؤلاء كانوا يظنون أن الله غافل عنهم ، ولكنه يمهل ولا يهمل .

ولو علمت كيف مات جمال سالم وأخوه صلاح سالم وحمزة البسيونى وعبد اللطيف رشدى وسلومة وآخرون لأيقنت تماما أن الظلم مرتعه وخيم ، ولن يفلت ظالم من بين قبضات القدر ، مهما ظن أن حصونه مانعته من الله .

لقد أقر فضيلة المرشد « حسن الهضيبى » هذا الانقلاب أو التغيير ، لأن الإخوة الذين كانوا على صلة بجمال عبد الناصر ، كانوا يتصلون بعلم فضيلته وإشاراته وتوجيهه والدليل على ذلك أن جمال عبد الناصر لما طلب من فضيلته ترشيح عدد من الإخوان ليدخلوا الوزارة ، رشح الشهيد عبد القادر عودة ، فقالوا إنهم لا ينسجمون معه ، فرشح لهم الأستاذ منير دلة ، فقالوا إنه لم يصل بعد إلى درجة مستشار ، فرشح لهم المرحوم الأستاذ العشماوى فقالوا إنه صغير السن ، فترك لهم حرية الاختيار ، فاختاروا الأستاذ الباقورى فقبل دون أن يستأذن المرشد أو مكتب الإرشاد . وبعد أن استنفذوا غرضهم من تعيينه قالوا فيه ما قالوا ، مما علمه العام والخاص فى مصر وغير مصر ورغم ذلك ظل يمدح عبد الناصر حتى سماه فى إحدى مقالاته « بمانح الخير ومجريه » . وهو يعلم بحكم دراسته الأزهرية ــ على الأقل ــ من الذى يمنح الخير ويجريه . أهو الخالق أم المخلوق ؟! ولكن ماذا أقول ولا تزال لى معه بعض الذكريات . غفر الله لنا وله .

وبدأ عبد الناصر بحل الأحزاب ، بعد أن طلب تطهير صفوفها ، وللأسف الشديد أن الأحزاب ابتلعت الطعم ، ففصلت بعض أعضائها ، وكان تصرفا أحمق لأنها أثبتت أن صفوفها تستلزم التطهير ، وظن الإخوان أن هذا بدء لتطبيق الشريعة ، ففرحوا لذلك ، ولكن فضيلة الأستاذ الهضيبى بحكم فراسته ونظرته الثاقبة ، وبصيرته المجلوة ، قال للإخوان : لا تفرحوا فإن الدور آت إليكم قريبا أو بعيدا ، وحدث ما توقع تماما . وكانت مهارة من جمال عبد الناصر ، إذ ألغى الأحزاب ، وأوقف الإخوان موقف الحيرة بهذا التصرف ، وهو موقف لم تنسه الأحزاب للإخوان . فلما خلا الجو من الأحزاب وانفرد عبد الناصر بالإخوان ، فلم يجدوا من بأس لما حل بهم . ولكن عبد الناصر أرسل خطابا فى إبريل ( نيسان ) ١٩٥٤ يقول فيه إن الوزارة قررت عودة الإخوان ومباشرتهم لنشاطهم ، وكنت فى المركز العام فاستلمته ، وأطلعت عليه الدكتور خميس حميدة باعتباره نائبا للمرشد . وبقى ذلك القرار عندى حتى فتشوا منزلى فأخذوه من بين الأوراق التى استولوا عليها كلها .

ولا تنس أن عهد جمال عبد الناصر كان يتميز بالإيذاء والقضاء على الحريات،ولم يرع ذلك العهد حرمة لأحد ، حتى رئيس مجلس الدولة الدكتور السنهورى سلطوا عليه الرعاع فاعتدوا عليه بالضرب فى المجلس ، لسبب واحد هو إبداء رأى يخالف رأى عبد الناصر فى

الحرية كما سلطوا رعاعهم على نقابة المحامين وهتفت تلك الببغاوات الجاهلة « فليسقط المحامون الجهلاء » إى وربى .. المحامون جهلاء .. ورعاع ذلك الحكم هم العلماء ! وكان عبد الناصر يعلم بذلك كله ، إذ كانت تنقل إليه الأحداث مسموعة ومرئية ، يستمتع بمشاهداته فى غرفة استقباله بقصر القبة ، الذى جعله مقره الدائم بعد أن استتب له الأمر . ونسى ما كان يهاجمه من الإسراف والفيلات ، وتبعه خليفته السادات فكان يزهو كالطاووس ، ويستحضر الورود والأزاهير من فرنسا بالطائرة يوميا ، والظاهرة العجيبة فى حكم عبد الناصر والسادات أنهما حرصا كل الحرص على إزالة تاريخ زعماء مصر ، وكأنه لم يكن لمصر تاريخ إلا ابتداء من يوليو ( تموز ) ١٩٥٢ ، وليست هناك وصمة أسوأ من أن تكون مصر بلا تاريخ وهى المذكورة فى القرآن أكثر من مرة . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تفاهة التفكير ، والشعور بالنقص ، وإخفاء التاريخ عن الشباب حتى لا يعرفوا غيرهما ، فلا يكون هناك مجال للمقارنة التى قد تكون نتائجها فى غير صالحهما . ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يثبت للعالم كله فساد هذا التصرف وأضراره ، فألهم رئيس الجمهورية الحالى السيد « محمد حسنى مبارك » أن يعدل عن هذا الأسلوب الرخيص ، فأذن أن يعرض تاريخ الزعماء ليعرفه الشباب والطلاب ، وليس لنا على هذا سوى مأخذ واحد ، وهو إخفاء تاريخ الإمام الشهيد حسن البنا ، والأستاذ المرشد حسن الهضيبى ، مع أن بصمتيهما على تاريخ مصر أوضح وأبين من أن تخفيها أية محاولة ، لطمس معالم تاريخهما المشرق الوضاء .

علمونا أن زهرة البنفسج تميل إلى التوارى ، ولكن عبق أريجها يدل عليها . وكذلك كان المرشدان عليهما الرحمة والرضوان . والظاهرة العجيبة فى تاريخ وزراء وزارة التربية و التعليم ، أنهم لا يذكرون تاريخ الرجلين ، مع إشادتهم واحتفالاتهم بغيرهما . فى حين أن تاريخ الرجلين أجدر بالإشادة والتأريخ من غيرهما ، لأن ما قدماه لم يكن مقصورا على مصر وحدها ، ولكنه أثر على العالم الإسلامى كله حتى فى ماليزيا وأندونسيا والفلبين . وحسبُ حسن البنا أنه أيقظ الوعى الإسلامى ، وحسب الهضيبى قولته المشهورة « أقيموا دولة القرآن فى قلوبكم ، تقم على أرضكم » ويالها من عبارة جمعت فأوعت .

## المباحث والإخوان

لقد نزل الأستاذ الهضيبى رحمه الله مقتديا بسلفه البنا إلى القرى والدساكر والكفور تبشيرا بدعوة الإخوان المسلمين ، رغم سنه ومرضه . وسافر إلى سوريا ولبنان واستقبل عند عودته استقبالا شعبيا رائعا ، مما يدل على مكانته فى نفوس المسلمين . ولقد كان الأستاذ الهضيبى صارم المظهر فى المجالات العامة ، إلا أنه كان غاية فى الرقة والمؤانسة والتبسيط فى

جلساته الخاصة مع الإخوان . وأذكر أن السيد « حسن طلعت » رئيس المباحث فى ذلك العهد ، زار المركز العام ، ومما علق بذهنى من حديثه مع الأستاذ الهضيبى قوله : « إننى استطعت إيجاد عيون لى فى كل الأحزاب ، إلا الإخوان المسلمين ، فلم أستطع أن أوجد لى عينا فى صفوفهم » . ومما تعيه الذاكرة أن السيد حسن طلعت الذى آذى وضرب وعذب ، سلط الله عليه ضابطا من المخابرات ضربه على سلم وزارة الداخلية ، مقر سطوته ، لأنه كان يحاول إخفاء بعض الشرائط التى تمس الكثيرين ، والتى ادعى السادات أنه حرقها فى أحداث ما سماه بثورة التصحيح فى مايو ( آيار ) . وما أظنها إلا موجودة إلى اليوم عند من يتخذها وقاية له من الغير ، إذا ما فكر هذا الغير فى إيذائه،هذه الشرائط لا تزال موجودة والله وحده أعلم بما فيها ، مما يسيء ويضر . لقد كان من دعاء الإخوان فى السجون ( اللهم أهلك الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين ) ، فكان المرشد الأستاذ الهضيبى ، رحمه الله يبتسم قائلا : « وأنتم لا تعلمون شيئا » .

ولما كثرت افتراءات عبد الناصر وصحفه على الإخوان ومرشدهم ، وهم فى معتقلهم فى السجن الحربى ، لا يصرح لهم فى الدفاع عن أنفسهم ، وهو حق من أبسط الحقوق الإنسانية ، لما حدث هذا تمكن الأستاذ المرشد من إرسال خطاب إلى جريدة « المصرى » — وكانت لا تزال تصدر فى ذلك الحين — وفى هذا الخطاب دعا فضيلته رجال الثورة إلى المباهلة ! واحتاروا فى معنى المباهلة ، إذ لم يكونوا يعرفون عنها شيئا ، إلى أن أخرجهم من حيرتهم فضيلة الأستاذ الباقورى ، فشرح لهم معناها ، الذى يطلب فيه المتخاصمان من الله أن يجعل لعنته على الكاذبين . ويبدو أن خروج هذا الخطاب من معتقل السجن الحربى سبب حرجا كبيرا لمديره عند رؤسائه ، فحضر إلينا ونحن جلوس تحت ظل شجرة ثائرا وأمر بعودتنا إلى الزنازين ، وحرماننا من طوابير الفسحة ، تكديرا لنا ، وطبعا لم يستجب رجال « الانقلاب » إلى هذه المبارزة . مبارزة المباهلة بين يدى الله ، من غير ما سيف ولا مزراق . ولم يكن من أخلاق الهضيبى أن يبيت على ضغن لأحد ، حتى أنه زار إبراهيم عبد الهادى فى أحد المناسبات التى تستدعى الزيارة شرعا . وكان أحرص ما يكون على الوفاء بمواعيده ، إذ كان أول من يحضر جلسات انعقاد مكتب الإرشاد وآخر من ينصرف منه وباستمرار .

وفى السنة التى حج فيها منحه الملك سعود هدية فلما قال لرجال القصر : إننى لا أستطيع قبول مثل هذه المنح ، قيل له : إن هذا الرفض سيسبب أزمة خطيرة لأن الملوك حريصون على أن هداياهم لا ترد ، لأنهم يعتبرون فى الرد مساسا بمكانتهم الملكية ، وراح رجال القصر يلحون عليه فى قبول الهدية إنقاذا للموقف ، فقبل أخيرا ، ولكنه أودع الهدية فى خزانة الجماعة تتصرف فيها كما تشاء .

ولم يكن يرضى لنفسه أن تكون مكانته الدينية سببا لجنى المغانم الدنيوية . وحتى لا يفتخر أحد مهما كان مركزه أنه منح مسؤولا إخوانيا مبلغا من المال تحت أى مبرر من المبررات ،ورغم ذلك فلا يزال هناك من يتهم الإخوان المسلمين بأنهم يتاجرون بالدين !! .. ألا خرست الألسنة التى تتهم الشرفاء كذبا وافتراء .

## الهضيبى والوصاية على الثورة

وفى أحد لقاءات عبد الناصر بمنير دلة رحمهما الله ، قال عبد الناصر : إنى أريد أن أقيم لحكمى نظاما فريدا بأزرار كهربائية ، فإذا ضغطت علىَ زر قام الشعب ، وإذا ضغطت على زر آخر قعد الشعب . فقال له الأستاذ منير « والله طيب ياسى جمال !! كأنك تريد أن تحكم منفردا ! إن هذا لن يكون فى إمكانك » فسكت ولكنه لم ينسها له ، فلما بدأ فى تعذيب الإخوان ، كان تعذيب منير دلة مضاعفا . وليس هذا رأى الإخوان فى عبد الناصر بل إن خليفته السادات ، ذكر فى كتابه « البحث عن الذات » ما معناه أن عبد الناصر ما كان يطيق أن يناقشه أحد فيما يراه . ولعل هذه الديكتاتورية كانت من بين الأسباب التى أثارت حقد ( الديكتاتور ) على المرشد أولا .. أى أنه مسلم ، ويعرف حق الرعية على الراعى ، كما يعرف واجباتها إزاءه ، ولأنه رجل قانون يعرف ما له وما عليه إزاء الحاكم طبقا للقوانين الوضعية بعد السماوية ، ولأنه رجل مجتمع يعرف ما يليق وما لا يليق ، ما كان له أبدا أن يطلب من عبد الناصر كرئيس للوزارة أن يعرض عليه أى قرار أو إجراء يتخذه ، إنها إذن ليست حكومة ، وإنها من جانب الهضيبى إذن وصاية على الحكومة ، وهذا مالا يخطر للأستاذ الهضيبى على بال ، بأية حال من الأحوال ، بدليل أن عبد الناصر اختار الباقورى وزيرا للأوقاف ، دون أن يخطر المرشد ، ودون أن يستأذن الباقورى مرشده ، رغم ما كانت فى عنقه من بيعة ، ولعلها شهوة الحكم سيطرت على الشيخ ، فلم يستطع إفلاتا من قبضتها الزبرجدية ! ، مع علمه بأن طاعة المرشد فيما يحب أو يكره أمر مقرر يوم أن وضع يده فى يد المرشد يبايعه ، وما أظن إلا أن فضيلة الشيخ الباقورى ، أحس بخطورة نقض البيعة ، وخاصة بعدما أصابه معنويا من دخول وزارة عبد الناصر بلا إذن أو استئذان من المرشد ، وما هذه الفرية فرية إطلاع المرشد على قرارات عبد الناصر قبل إصدارها ، إلا صورة من الاتهامات الباطلة التى ألصقها عبد الناصر وحواريوه وكتابه بالمرشد ، تبريرا لما فعله بالمرشد والإخوان . إن عبد الناصر لم يندم يوما على شىء فعله ولم يبك مرة رقة ورأفة ورحمة على أية ضحية من ضحاياه ، وما أكثر عدد الضحايا .

# قانون الإفساد الزراعى

إن الأستاذ الهضيبى لم يطلب من عبد الناصر أن يكون تحديد الملكية الزراعية بخمسمائة فدان ، ولكن هذا كان رأيا له . ولم يخاصم عبد الناصر أو يجادله فيه . ولم يرفض التحديد بمائتى فدان . والسبب فى ذلك أن الأستاذ الهضيبى كان يرى من الناحية الاقتصادية أن تفتيت الملكية الزراعية يضر ولا ينفع ، لأنه يؤدى إلى ضعف الإنتاج ، وهو الأمر الذى أثبت الواقع صحته . هذا إلى جانب أن الإسلام يرفض مصادرة أموال الناس أو يعطل حقوقهم فيها إلا للضرورة القصوى التى لا مفر منها لإنقاذ المسلمين . وحتى تحديد الملكية الزراعية بمائتى فدان ، قانون لم يحترمه عبد الناصر وهو الذى أصدره — فأنزله بعد ذلك إلى خمسين فدانا . وبعد أن تعهد بدفع ثمن الأراضى المصادرة لأصحابها فى فترة من الزمن ، فإنه لحس هذا القرار ولم يدفع مليما واحدا . وحسبك أن تعرف أن كثيرا من الملاك حدد لهم عبد الناصر معاشا شهريا فى حدود لا تزيد على خمسة جنيهات شهريا مع الإذلال الذى لاقوه فى الحصول على هذه الملاليم . إنها نفسية جمال عبد الناصر فى إذلال كل ذى شأن فى مصر ، ولست أدرى ماذا يسمى علماء النفس هذه الرغبة وإن كنت أعلم أنها نقيصة خلقية بعد ما نهانا عنها رسول الله ﷺ إذ يقول : « أكرموا عزيز قوم ذل » فهو لا يكتفى أن يستذل الأعزة فقط ،ولكنه يحارب إكرامهم والرأفة بهم . ولكن العقول والطباع والأخلاق والنفسيات تتخالف بسبب مؤثرات وضغوط كثيرة يعرفها علميا المتخصصون فى علم النفس . والآن وقد تبينت الحقائق أقول وأنا مستريح الضمير إن قانون الإصلاح الزراعى أولى به أن يسمى بقانون الإفساد الزراعى . لا لأنى أنكر فكرة الإصلاح الزراعى .. أبدا فقد تفتحت عينى على حياة الفلاحين وكنت أعيش بينهم .

وأنا لا أقر أن يتملك مالك للأرض آلاف الأفدنة ويعيش فى بيته عيشة الترف والرفاهية ، فى الوقت الذى يأكل فيه الفلاح العيش القفار ، وينام إلى جانب بقرته ولا يجد من الملابس مايقيه وخزات الرياح الباردة فى الشتاء . إنى أقر الاصلاح الزراعى بوسائله المشروعة ، لا بالوسائل المستوردة والأساليب التى تخالف شرع الله .

كان بإمكان عبد الناصر أن يصدر قانونا باقتسام المالك والفلاح لثمار الأرض عن طريق المزارعة ، وعنده رأى لبعض الفقهاء لا يقر تأجير الأرض ، ولو أن فلاحة الأرض قامت على المزارعة ، لكانت المحاصيل الزراعية أقرب ما تكون للاكتفاء الذاتى أو لما هجر الفلاحون الأرض للعمل فى المدن . إن الفلاح إذا علم أن ناتج الأرض له فيه حق لا يقل عن النصف مثلا ، فإنه سوف يبذل كل ما يستطيع لإيصال هذا النصف إلى أعلى مستوى يحقق له

عيشة كريمة ، لا يشعر فيها بالتبعية والإذلال ، أو يصدر قانونا بمشاركة الفلاح للمالك فى الآلات الزراعية التجارية أو السولارية أو البنزينية ، وفى حيوانات الجر والألبان والدواجن مثلا . لو أن شيئا من هذا حدث لما وصل ثمن البيضةإلى ما يزيد على عشرة قروش ، وثمن الجاموسة أو البقرة ما يزيد عن الألف جنيه .

إن ما ظنه عبد الناصر خيرا للفقراء وجموع الشعب ، أصبح نكبة على هذا الشعب المسكين ، فلا يأكل البيض أو لحم الضان أو الحمام أو الديوك الرومى إلا الأثرياء إياهم .

* * *

# الحلقـــة
# الرابعـــة عشـــرة

- قصـــة تمـــرد الإخـــوان على قيـادة الهضيبى وإلقائه خـارج منزلـه .
- عبد الناصر وافق على مفاوضاتنا مـع الإنجليز ثم اتهمنا بالخيانة بســببها !! .
- أفرجوا عنى فى الليل وعندما طلبت المبيت فى السـجن للصباح رفضـوا !! .

تظل التساؤلات بلا نهاية عن علاقة الإخوان بالثورة ..والتاريخ لا يتم توثيقه إلا باستعراض كل وجهات النظر المعاصرة للحدث . ولعب الإخوان دورا وطنيا بارزا فى تاريخ مصر المعاصر ، وأيا كانت التجاوزات التى شابت ممارساتهم السياسية ، فإن أحدا لا يستطيع إنكار دورهم الريادى فى إيقاظ الحركة الوطنية المصرية خلال الأربعينات من هذا القرن .. ودورهم البطولى خلال معارك التحرير فى فلسطين عام ١٩٤٨ .. حيث لم يكن فى استطاعة أية حركة ثورية أو وطنية تنطلق شرارتها خلال تلك الحقبة من تاريخ مصر أن تتجاهل فعالية الإخوان فى الشارع السياسى المصرى .

لقد أخذ خصوم الإخوان فرصتهم من خلال أجهزة الصحف والإذاعة والتليفزيون طوال الأعوام الثلاثين الماضية فى التعبير عن وجهة نظرهم ، فى الوقت الذى لم يكن فى استطاعة الإخوان الذين أودعوا فى السجون والمعتقلات ، أن يشرحوا وجهة نظرهم أو يستعرضوا حججهم ودفاعاتهم .

وقد باشر « الإخوان المسلمون » مسؤوليتهم النضالية فى التصدى للاحتلال الإنجليزى لمنطقة قناة السويس ، وكانت جماعاتهم الفدائية هى صانعة أروع ملاحم الكفاح الذى مهد بعد ذلك للحصول على الجلاء من خلال المفاوضات التى جرت عام ١٩٥٤

**بين ممثلى الإنجليز وحكومة الثورة .**

**يقول التاريخ إن الإخوان عارضوا اتفاقية الجلاء التى أبرمت بين بريطانيا ومصر .. ترى لماذا رفض الإخوان هذه الاتفاقية التى كانت إحدى ثمرات كفاحهم المسلح :**

يجيب الأستاذ « عمر التلمسانى » المرشد العام للإخوان المسلمين :

## الاتصال مع البريطانيين

إن كل موقف وقفه الإخوان كان مدروسا . وقد درس الإخوان معاهدة الجلاء ، وقدموا رأيهم لعبد الناصر قبل أن يعرفه أحد . وأذكر أنه كان من بين ما اعترضنا عليه فى تلك المعاهدة ، أن فى بنودها ما يلزمنا بوضع أرضنا كمراكز انقضاض أو تموين إذا ما هوجمت إحدى حليفات بريطانيا كتركيا ..

ومعنى هذا أننا قد نجر إلى حرب ، دون أن يكون لنا فيها ناقة ولا جمل . ولو لم يكن فى هذه المعاهدة إلا هذا الشرط لكان كافيا لرفضها . لقد مر على ذلك ما يقرب من ثلاثين عاما وقد كنت واحدا من بين المشتركين فى وضع أسباب الرفض . ولنقرأ شهادة الأستاذ الفاضل « صالح أبو رقيق » متعه الله بالصحة والعافية وحول هذا الموضوع يقول :

هوجموا بأنهم يعملون ضد الثورة ، وأنهم عقدوا اجتماعات مع المستشار الشرقى فى السفارة البريطانية لإقناعه بأن الضباط لا يمثلون الشعب فى مفاوضات الجلاء .

وكنت أنا والمستشار منير دلة ممن قام بالاتصال بالمستر « إيفانز » المستشار الشرقى للسفارة البريطانية وبطلب جاءنا من السفير البريطانى عن طريق المرحوم محمد سالم السكرتير العام لوزارة المواصلات .

وعندما عرضت على فضيلة المرشد الأستاذ حسن الهضيبى رضى الله عنه ، وافق على هذا الاتصال من ناحية المبدأ على أن يعتبر من بريطانيا أول اعتراف سياسى بنا ، ولكن على شرط أن يوافق جمال عبد الناصر وزملاؤه على ذلك .

وطلب الهضيبى عبد الناصر للقاء فى بيته فى الروضة ، وكانت الاتصالات التليفونية بينهما عادية فى ذلك الحين . وحضر إليه كل من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وكمال الدين حسين ، وعرض عليهم الأستاذ الهضيبى الأمر ، فوافقوا على هذا الاتصال . وقال لهم إننا سنوافيكم بما يدور من مباحثات أولا بأول . وفى أول لقاء مع مستر « إيفانز » فى منزل الدكتور محمد سالم فى المعادى ، وصلت معه إلى شروط لم يصل إليها

مفاوض مصرى من قبل ببساطة ، لأنهم كانوا عازمين على الجلاء : ونقلت كل ما دار بالتفصيل لفضيلة المرشد ليقرأ عليهم منه ما يرى . وحضر إليه ثانية جمال عبد الناصر ومن كان معه فى المرة الأولى ، وقرأ عليهم التقرير بكل تفاصيله . فسروا كثيرا وأظهروا إعجابهم ، أو هكذا فعلوا ، وكنا نعطيهم علما بكل مقابلة وما دار فيها .

## غدر ناصر بالإخوان

وعندما بدأت مناوشاتهم ، ابتداء من زيارة جمال عبد الناصر للحوامدية حيث هاجم الإخوان لأول مرة . وفى البحيرة عندما صفع وحيد رمضان أحد الإخوان فى حوش عيسى بالقلم أمام الناس ، وشعر بذلك الإنجليز،وحدثنى فيه المستر إيفانز على أنه خلاف ، فقلت له بالحرف الواحد : هذه أمور بسيطة ومتوقعة لا تصل إلى حد الخلاف بيننا ، والذى أحب أن تعلمه أن هذه حكومة مؤيدة من الشعب جميعه وهذا ما كان عليه الحال فى ذلك الحين .

وعندما شعر جمال عبد الناصر وزملاؤه بأن الثمرة نضجت ، أرادوا أن يخرجوا الإخوان من الصورة ليجنوا وحدهم فخر الجلاء ، فافتعل حادثة لنا فى جامعة القاهرة ، بينما كان طلبة الإخوان يحتفلون بذكرى نواب صفوى رئيس جمعية « فدائيان إسلام » فى إيران ، فأرسل لهم شرذمة من المجندين وبعض شباب هيئة التحرير فى سيارة جيب ومكبر صوت ليفسدوا الحفل ، فما كان من الطلبة إلا أن انهالوا عليهم ضربا حتى فروا هاربين ، وأحرقوا السيارة . ونفاجأ فى ذلك اليوم ، بعساكر عبد الناصر وضباطه يقتحمون علينا بيوتنا ، ويعبثون فيها تفتيشا وإرهابا للنساء والأطفال فى قسوة ذهبت بكل معانى الكرامة والإنسانية ، وسحبونا مكبلين بالحديد إلى السجن الحربى ومعتقل العامرية ، وبعد يومين أخرجونا من الزنازين المظلمة ووزعوا علينا الصحف التى قرأنا فيها بالمانشيتات العريضة ( مؤامرة الإخوان المسلمين ورجال السفارة البريطانية لقلب نظام الحكم .. الإخوان يتصلون بالحكومة الإنجليزية من خلف الحكومة ) ، بيان من مجلس الثورة الذى انعقد برئاسة جمال عبد الناصر ، يلصق بنا هذا الاتهام الخطير ( الخيانة العظمى ) التى معناها الإعدام . وللناس تفكير .. ولله مقادير بتدبير .

ولكن الله نجانا من مشانقهم بأزمة مارس ( آزار ) ١٩٥٤ المعروفة ، والتى كنا لا نعلم عنها شيئا لوجودنا فى الزنازين حينذاك وفوجئنا ونحن فى السجن الحربى بوفد يرأسه جمال عبد الناصر مكونا من السادة « محمد أحمد ومحمد فؤاد جلال رحمه الله ، وكان وزيرا للشؤون الاجتماعية ، ومحيى الدين أبو العز مدير المخابرات فى القاهرة ، واجتمعوا بفضيلة المرشد فى

زنزانته وكنا معهم وبلغنا سلامه وتحياته ، ويقول إنه ثبت لديه أننا مواطنون صادقون ويجب أن تخرجوا لنتعاون معا على المصلحة الوطنية . وأثناء الحديث ( والكلام للأستاذ صالح أبو رقيق ) قلت لهم : أنتم اتهمتمونا بأخطر تهمة توجه إلى مواطن ، وجمال عبد الناصر يعلم حقيقتها ، وأول عمل سيعمله بعدما نخرج هو أن ينفى عنا بنفسه هذه التهمة ، فلا ندخل فى مساجلات يكذب فيها بعضنا بعضا ، مما يعكر صفو الجو الذى تتحدثون عنه ، فما الحل ؟! وذهب السيد « محمد أحمد » — وهو بحمد الله حى يرزق وجاء بالحل . يخرج فضيلة المرشد ومعه الإخوان الستة الذين جاء ذكرهم فى بيان مجلس الثورة وأنا أحدهم ، ويأتى جمال عبد الناصر زائرا المرشد فى منزله ، وتعلن هذه الزيارة فى الصحف وتذاع فى الإذاعة .

## أزمة مارس ١٩٥٤

وخرجنا من السجن وألغى قرار الحل ، ثم فوجئنا بتلك المظاهرات التى هتفت بسقوط العلم والمحامين الجهلاء ! ، واقتحموا على المرحوم السنهورى باشا قدس القضاء ، وأوسعوه ضربا وشتما وإهانة . وعلمنا أنهم سيهاجمون جريدة المصرى كذلك . وأرسلنى فضيلة المرشد على الفور إلى جمال عبد الناصر لإيقاف هذه المظاهرات ، وعدم التعرض لجريدة المصرى لأن هذه الأفعال لا ترضينا .. وقابلت جمال عبد الناصر بمقر قيادة الجيش بكوبرى القبة ، ونقلت إليه ما كلفنى به فضيلة المرشد ، فقال لقد أوقفنا المظاهرات وسوف لايعتدىأحد على جريدة « المصرى » ولا يقف أمامنا الآن إلا طلاب الإخوان فى الجامعة ، الذين مازالوا يثيرون الاضطرابات فى الجامعة وأنتم مادامت حرياتكم مكفولة لكم ، فما لكم والآخرين ؟ فقلت له : ما هذا الذى تقول ياسيد جمال ؟ .. هل تستطيع أن تصرح به فى مؤتمر صحفى قال : لا .

وعندما علمنا باشتداد الخلاف بينه وبين السيد « محمد نجيب » ذهب فضيلة المرشد وفى صحبته الدكتور محمد كمال خليفة والأستاذ محمد حامد أبو النصر وصالح أبو رقيق لمقابلة جمال عبد الناصرفى بيته المتواضع فى منشية البكرى . وقال المرشد إن هذا الخلاف خطير ، ورجاه المرشد أن يؤجل البت فيه ليومين أو ثلاثة ، حتى تهدأ النفوس . فقال إن ضباط الجيش ثائرون ، وحضر إلى هنا ثمانمائة ضابط محتجين على الوضع .. وسنؤجل الموضوع يومين ونحن ذاهبون الآن لمقابلة نجيب . وأرسل فضيلة المرشد المرحوم الشيخ محمد فرغلى والأستاذ سعيد رمضان للغرض نفسه إلى الرئيس محمد نجيب . وكان رأينا أن يأخذ فرصة للتوفيق بينهما . وكان هذا ما فى وسعنا بعد أن قص عبد الناصر أجنحة محمد نجيب باعتقال

ضباط الفرسان الذين تحركوا من أجل الرئيس محمد نجيب ، فأى تحرك منا كان معناه الصدام مع الجيش الذى أحكم القبضة عليه جمال عبد الناصر ، فتصير البلاد إلى حرب أهلية ، وهذا ما كنا نتجنبه ونتفاداه فى كل المواقف ، وتحملنا العذاب الشديد من أجله .

وبعد خروجنا من السجن ، اقترح جمال عبد الناصر أن تؤلف لجنة منا ومنهم ، لنعالج كل الأمور والمشاكل ، التى قد تنشأ بيننا وبينهم ، وهذه هى اللجنة التى سبق أن اقترحها المرحوم منير دلة وصلاح شادى ، وفاجأهم جمال بثورة مفتعلة قائلا : إننا لا نقبل وصاية على الثورة . وعبثا حاولنا إقناعه أن هناك مشاكل بدأت تثار ويجب التفاهم عليها . ولم يطلب الإخوان أن تعرض عليهم القوانين قبل إصدارها ، فهذا كذب ومحض افتراء . وهذا شأنهم معنا دائما الاستعانة بنا عند حاجتهم ، والافتراء علينا وقت طمأنينتهم .

كان هناك اتفاق ألا يظهر الإخوان فى الصورة حتى تجتاز « الحركة المباركة » خطواتها الأولى ، تفاديا لأى تحرك من أعداء الإخوان الدوليين الذين أفزعتهم فدائية الإخوان فى ساحات فلسطين ، وقالوا إن هذا الشباب الذى يحمل رسالة محمد ﷺ ، هو الخطر الذى سيوقظ أمة الإسلام التى عشنا نعمل على إفنائها .

واجتمع سفراء الدول الغربية فى « فايد » وأرسلوا للنقراشى رئيس الوزارة حينذاك مذكرة شديدة اللهجة فيها تهديد وإصرار على حل جماعة الإخوان المسلمين . واستجاب لهم النقراشى وأصدر قرارا بالحل . بينما كان الجيش المصرى يعتمد عليهم فى المواقع التى تتطلب صمودا وفدائية .

ومنذ ذلك اليوم وضع مخطط لضرب الإخوان حينا بعد حين ، وبأيد مصرية ، فكأنهم يضربون ثلاثة عصافير بحجر واحد : الإخوان والحاكم والوطن خاصة ومصر هى معقد الأمل للعالم الإسلامى كله والعالم العربى .

## الهجرة واتساع الدعوة

ولا يفوتنى هنا ، أن أذكر أن قسوة التعذيب التى باشرها عبد الناصر كانت سببا فى هجرة الإخوان من مصر . ولقد رأى عبد الناصر أن فى هجرة الإخوان من مصر تخفيفا عن كاهله فى تخوفه منهم ، فكانت إجراءات السفر بالنسبة لهم غير معقدة . ولكن رب ضارة نافعة .

ذلك أن هذه الهجرة كانت سببا مباشرا فى اتساع دعوة الإخوان فى المنطقة كلها شرقا وغربا . وكانت سببا فى إيقاظ الوعى الإسلامى بين شباب هذه المنطقة .

وليس فى هذا غرابة ، فالتاريخ يعيد نفسه .. فهجرة علماء القسطنطينية عند الفتح العثمانى ، كانت من بين أسباب النهضة فى أوربا . وهذا ما حدث فعلا بسبب خروج بعض الإخوان من مصر نتيجة للإرهاب .

مما يعلق بذهنى أننى كنت أصلى المغرب فى آخر يوم من يونيو ( حزيران ) ١٩٧١ ، فسمعت لغطا بين الإخوان وسمعت اسمى يتردد فى هذا اللغط ، فلم أعر الأمر اهتماما . وبعد قليل جاءنى ضابط المعسكر وقال : لقد أفرج عنك وعن الأستاذ مأمون الهضيبى وآخرين . فاجمع حاجاتك لتخرج . وكان الوقت بعد العشاء .. فقلت للضابط : ألا يمكن أن أبيت الليلة هنا ، وأخرج صباحا فإنى قد نسيت طرقات القاهرة ، ولابد وأن يكون قد طرأ تغيير طوال تلك السنين فى معالم المدينة . فإذا خرجت ليلا فقد لا أهتدى إلى منزلى . فدهش الضابط وقال : ماذا تقول ؟ .. ألم تضق بالسجن وتود الخروج منه فورا ؟ قلت : بل أفضل المبيت هنا هذه الليلة وأخرج صباحا . قال : لا أستطيع تنفيذ رغبتك ، لأنك من وقت وصول قرار الإفراج عنك لم تعد محسوبا علينا من النزلاء ، فإذا أصابك هذه الليلة شىء فمسؤوليتى خطيرة . تفضل اخرج من السجن ونم على بابه إن شئت إلى أى وقت تشاء ، فطلبت أن يستحضر لى تاكسيا . فلم يرفض ، وجاء التاكسى وحملنى إلى منزلى . والعجيب حقا أننى عندما التقيت بأهلى وأقاربى ، لم أحس بتغير كبير فى مشاعرى ، وكأنى لم أفارقهم إلا بالأمس . ما السر فى هذا ؟ لست أدرى وإن كنت من أشد الناس تعلقا بأهله . وفى كل شىء له أية جل وعلا . وأنظر إلى حالى وأنا أقضى هذه السنين الطوال ، فأجدنى غير قلق . وغير متعلق بالخروج من السجن ، وعجيب أن يكون هذا حال عاشق للحرية متيم فى هواها ، هائم فى أجوائها ، يحسد الطير على انطلاقه حيثما يشتهى ، والأسماك على مروقها إلى أعماق البحر فى انسياب ثم عودتها إلى سطح الماء ، وكأنها تقول هذه هى الحرية . حقا إن صغار الطير والسمك طعمة للأقوياء منها ، ولكن هذا لا يتعارض مع حرياتها فى التنقل والاختيار ، تصدح بالنغم الذى ترتاح إليه . ولو أن الظلمة تركوا الناس أحرارا فى كل شىء ، ثم يؤاخذونهم على مخالفة القوانين ، لسعدت حياة الناس إلى حد كبير . ولكنهم يحرمونهم من الكلمة إلا إذا كانت لهم . ومن حرية التفكير إلا إذا كانت إلى جانبهم .

لذلك يكره الناس الاستبداد والمستبدين . ما علينا ! ، فالشىء الوحيد الذى كان يذهب عنى متاعب السجن ، هو إيمانى بأنه كان فى قدر الله أن يذهب جانب من عمرى فى السجون ، وإنى لراض قطعا بقدر الله ، راض به من كل قلبى ومشاعرى . وهنا يتجلى الدعاء المعروف عن النبى ﷺ « اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه » .. وإذا كان فى قدر الله — ولا راد لقضائه — أن أسجن ، فإن اللطف فيه أنى سجنت من أجل أشرف غاية ، وأنبل هدف ، وأسمى مطلب . الدعوة إلى الله ، وحسبى هذا رضاء بكل شىء .

## التمـــرد

لما انتخب الأستاذ الهضيبي مرشدا للأخوان ، وانتخب معه مكتب الإرشاد ، صادف أن كان أغلب أعضائه من الحاصلين على الإجازات العلمية المدنية ، فلم يرض ذلك بعض الإخوان ، ولما رأى فضيلته تصرف بعض أعضاء « النظام » تصرفات خاطئة ، وهو لا يقر ذلك ، أحس بعض أعضاء النظام أن المرشد عازم على إلغائه ، أو تعديله ، أو تغييره . ولما كانت علاقة عبد الناصر بعبد الرحمن السندى قد فعلت فعلها فى نفس عبد الرحمن السندى ، بدأت تبدو صور التمرد على قيادة المرشد حسن الهضيبى . والرجل حازم فى قراراته ، لا يقر الازدواجية فى قيادة الإخوان . ولعبت الأيدى دورها ، فذهب الفريق المتمرد إلى منزل فضيلة المرشد ، وقطعوا أسلاك التليفون ، وتجرأ البعض وطالبوه بالتخلى عن قيادة الإخوان .. ولكن ليس حسن الهضيبى بالذى يخضع للتهديد ولو كان السيف على رقبته .. وخرجوا من عنده واحتلوا المركز العام ، وفى المساء دق جرس التليفون فى مسكن صاحب البيت الذى كنت أسكنه فى المطرية ، وكان على التليفون من الناحية الأخرى ، الأخ الأستاذ فريد عبد الخالق الذى قال لى : احضر فورا ، نحن فى بيت فضيلة المرشد ، وأرسلوا إلى دراجة بخارية ذات مقعد . وهنا لا أنسى موقفا لصاحب المنزل الذى كنت أشغل شقة منه ، إذ اعترض على ذهابى فى الدراجة البخارية ، وقال لى إننا لسنا متأكدين من أن الذى خاطبك تليفونيا هو الأستاذ فريد ، هذا إلى جانب أنك لا تعرف هوية الذين سيصحبونك إلى منزل المرشد كما قيل لك . والأسلم أن تأتى معى فى سيارتى « الإسكودا » والدراجة تسير أمامنا حتى نصل إلى منزل المرشد ، وتم هذا فعلا .

ولما دخلت مسكن المرشد وجدت فيه لفيفا من الإخوان وفى حالة غير طبيعية ، فاستفسرت فعلمت بالذى حدث . وكان من الحاضرين هناك الأخ الأستاذ هارون المجددى فطلبت منه أن يوصلنى بسيارته « الاستودبيكر » إلى المركز العام ، فوجدت الباب موصدا بالسلاسل وفى حراسة أخ من الداخل فلما طلبت منه أن يفتح الباب ، أمهلنى حتى يستأذن المرحوم الأستاذ صالح عشماوى ، فقلت له ( والله طيب . أجاء اليوم الذى لا أدخل فيه المركز العام إلا بإذن ؟ ! ) .. ولكنه ترك الباب ثم عاد وفتحه ، فدخلت حيث وجدت حوالى الأربعين شخصا من أفراد « النظام » معسكرين فى البهو الواسع نائمين على البساط ، ثم دخلت غرفة المرشد حيث وجدت المرحوم صالح عشماوى فقلت له : ما هذا المولد ياحاج صالح ؟ فقال لى باسما : هذا مولد النبى . ودارت مفاوضات من الدار إلى حيث يوجد عبد الرحمن السندى ، وكان يتولى الحديث التليفونى الأستاذ أحمد عبد العزيز جلال ، وبعد لأى

شديد وطويل ، وكان الفجر قد أوشك على الأذان ، قبل عبد الرحمن السندى أن ينسحب المعسكرون فى الدار . وفى ذلك الوقت كان فريق آخر من الإخوان يجتمع فى جامع السلطان حسن ، ليأتوا إلى الدار ويخرجوا من فيها ، ولكن الله لم يرد أن يحدث بين الإخوان صدام . فما أن خرج المعسكرون من المركز العام ، حتى وصل الذين كانوا مجتمعين فى جامع السلطان حسن ، وحمدت الله من كل كيانى على أن هذا الأمر قد انتهى على أيسر ما يكون ، وأقام الإخوان لفضيلة المرشد حفلا رائعا فى المركز العام حضره عشرات الألوف من الإخوان . ومن يومها انتهى أمر عبد الرحمن السندى ومن معه ، من صفوف الإخوان ، ولم يعد لهم فى الجماعة من شأن ، وبدأ عبد الناصر يحتضنه ، وعينه فى شركة شل ، وأسكنه فيلا فى الإسماعيلية ، فيها كل وسائل الراحة . ولكنه كعادته اعتقل فى عام ١٩٦٥ كل الإخوان الذين سبق اعتقالهم ، حتى الاستاذ عبد العزيز كامل وأمثاله ممن خرجوا على الإخوان بمن فيهم عبد الرحمن السندى الذى ناله فى هذا الاعتقال من الإيذاء ما أضر بصحته كثيرا ، فما أن خرج من المعتقل حتى انتقل إلى رحمة الله ، فغفر الله لنا وله ورحمه ورحمنا .

* * *

# الحلقـــة
# الخامســة عشــرة

- كـنت الأقـل تعذيبـاً فى السجن الحـربى ولم أنجُ من الضـرب .
- ربينا الدواجـن وذبحنـا الخـراف فى سـجن الواحـات .
- عـبد الناصـر صار عضـواً فى « النظام الخاص » بعد عودته من السـودان .

**يواصل الأستاذ « عمر التلمسانى » شهادته أمام التاريخ حول حقبة عاشها ما بين السجن والكفاح من أجل المبدأ والعقيدة .. حقبة سادها التعتيم على الرأى الآخر .. فبدت الحياة وكأنها زاوية واحدة ورأى واحد وإرادة واحدة .**

**إن الصوت الآخر والإرادة الأخرى هما الدليل القاطع على أن هناك أمة تفكر وتعيش،أمة تستطيع أن تقول « لا » للخطأ ، وتقول « نعم » للصواب ،أمة ليست فى حياتها عصا الراعى التى تفرض مسار القافلة ، وإنما توجد القدوة التى تصهر الإرادات وتذيبها فى بوتقة واحدة مهما اختلفت منابعها .**

**فلنستمع إلى رأى « عمر التلمسانى » مرة ، بعد أن استمعنا دهرا لآراء خصومه فى الفكر والعقيدة ، ذلك هو العدل ، وتلك هى الحكمة ..**

يقول الأستاذ « عمر التلمسانى » مواصلا حديث الحلقة الماضية :

ظل المضيبى كما هو ، لم ينل من مكانته فى قلوب الإخوان أحد كما أن جمال عبد الناصر لم يحصل من السندى على كل مايريد ، فكانت محاولة لم تستطع أن تؤثر على البيعة لفضيلته ، فرقابة الله فوق كل شىء . وبقيت دعوة الإخوان تزداد قوة مع الإيام ، فالفارق بيننا وبين المعترضين أو المعتدين ، أننا نريد بهم خيرا ، وهم يريدون بنا شرا ، وشتان ما بين الهدفين ،

وما بين النيتين . نية الإبقاء ، ونية الإفناء ، ويذهب الفناء مع تحدر السيل ، ويظهر النبت بعد انحسار الماء ﴿ **إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار** ﴾ .

كثيرا ما يظن بعض الناس أن بعض الأحداث قد يكون من ورائه تخطيط وتدبير وتنظيم . والحقيقة أن بعض المواقف قد تحدث تلقائيا ، دون تخطيط سابق ، فالفرنسيون لم يجتمعوا ولم يخططوا لتحطيم الباستيل ، ولكنه فساد ومظالم ذلك العهد ، واعتقادهم أن سجن الباستيل أسوأ مظاهر ذلك البغى والتسلط أثار حفيظة الشعب الفرنسى ، وأشعل هذه الحفيظة كتاب الحرية فى ذلك العهد ، فاندفع العامة من تلقاء أنفسهم إلى تحطيم ذلك السجن ، الذى كانوا يعتبرونه مقبرة الأحرار ، ثم حدث ما حدث .. وهكذا كانت مظاهرات عابدين ١٩٥٤ . فقد أحس الطلبة فى الجامعة بمدى الإسراف فى خنق الحريات فقاموا يعبرون عن مشاعرهم بمظاهرة كما هى عادتهم . ولم يقبل عبد الناصر هذه الصورة ، واعتبرها تحديا لسلطاتـه ، فأطلق عساكره يمنعون المظاهرة فحصل الصدام الدموى وقتل من الطلبة من قتل وجرح من جرح ، وانتهى الأمر .

## ميل الإخوان لنجيب

هذا كل ما تصوره الناس تخطيطا وإعدادا .. وكل الذى كان من صراع بين عبد الناصر ونجيب أمر عرفه العام والخاص من مذكرات السيد « محمد نجيب » وكان الإخوان يميلون إلى محمد نجيب لما عرفوه فيه من طيبة وعزوف عن القهر والإعنات وكانوا يحبذون اتجاهه ، ويتمنون له النجاح .

وظن عبد الناصر أنها مؤامرة ضده فأخذ بعض الضباط الأحرار السيد محمد نجيب إلى خارج القاهرة واعتدوا عليه بالسب والضرب ، وتصرفوا معه التصرفات التى وردت فى مذكرات بعض أولئك الضباط .. وكان نجيب يبادلنا شعور المودة خاصة بعد أن رأى التزام الإخوان وطاعتهم لإخوانهم الكبار يوم أن دعا الشهيد « عبد القادر عودة » مئات الألوف إلى الانصراف من عابدين فانصرفوا فى دقائق . وكم تمنى محمد نجيب فى ذلك اليوم أن يكون الشعب كله على هذا الغرار فى الطاعة والالتزام . إذا ما دعى إلى ما ينفعه ويرفع من شأنه . وصدقونى ليست هناك تفصيلات ولا أسرار أكثر مما ذكرت . فليصدق من يصدق ، ولا يصدق من لا يريد أن يصدق .

## بداية العلاقة

إن صلة الإخوان المسلمين بالضباط الأحرار بدأت فى أيام مقاومة الإخوان للإنجليز على ضفاف القناة حيث تعارف المرحوم الأستاذ حسن العشماوى وجمال عبد الناصر ، وكان هذا

التعارف سرا .. وكان الأستاذ حسن العشماوى وسيلة الاتصال بين الإخوان والضباط الأحرار .

ويروى المرحوم « حسن العشماوى » وقائع هذه الصلة ، مقررا أن جمال عبد الناصر كان ضائقا بقلة معارف هؤلاء الضباط ، وأنه جمعهم من مجالس تحضير الأرواح ، وما إليها من هذه الخزعبلات ، وأضيف من عندى تأكيدا لهذه الرواية ، أن الأخ الحاج محمد جودة شفاه الله ، دعانى يوما إلى منزله وكان معى فضيلة المرحوم الأستاذ البهى الخولى ، وعند وصولنا إلى هناك ، وجدت حوالى سبعة من الضباط الأحرار ، لا أعرف منهم إلا إبراهيم الطحاوى وأحمد طعيمة وعقدت جلسة تحضير أرواح . والحقيقة أنى دهشت لمعرفة الوسيط عن طريق الروح المستحضرة لبعض التفصيلات وكانت الأصوات رفيعة ومضايقة للأذن . ولأنى لم أكن أعرف الوسيط إذ دخل والحجرة مظلمة ، قدرت أنه يعرف هذه التفصيلات فيلقيها كأنه موحى به إليه من تلك الروح . وكان كل كلام الروح حملة على السيد « محمد نجيب » وفضيلة المرشد الأستاذ « الهضيبى » .

ثم انفصلت جماعة الضباط الأحرار عن الإخوان عام ١٩٤٨ بحجة أن تعاليم الإخوان وشروط الالتحاق بها ليست سهلة القبول عند البعض منهم . وكان عبد الناصر يخفى جانبا من ذخائر معركة القناة عند بعض الإخوان هربا من المسؤولية ثم يتهم غيره بما هم أبرياء منه ، ولكن كل أجهزة الإعلام الداخلية والخارجية تساند عبد الناصر تشجيعا له على المضى فى محاربة الإخوان إلى أن صدق أن محاربة الإخوان بطولة ، ولكنها بطولة فى ميدان حبس فرسانه فى غياهب السجون ، ولما حدث حريق القاهرة تخلص الضباط الأحرار مما لديهم من قنابل وأسلحة ومواد ناسفة بنقلها إلى بيت المرحوم حسن العشماوى الذى نقلها بدوره إلى عزبة والده بسيارة المرحوم منير الدلة ، وسيارة الحاج صالح أبو رقيق أطال الله حياته . وفى الأيام الأولى من شهر مارس ( أذار ) ١٩٥٢ ، فكر عبد الناصر وبعض الضباط الأحرار فى القيام بانقلاب وتناقش فى هذا مع المرحوم حسن العشماوى طويلا .

وفى يناير ( كانون ثانى ) لما قبض على بعض الإخوان قيل إنه ضبط فى عزبة العشماوى أسلحة تكفى لنسف القاهرة عشر مرات .. فى حين أنه أول من يعرف من وضع هذه الأسلحة هناك . ومن الذى صمم مخابئها . وإنى حقا لفى دهشة من مثل هذا السلوك ، يقبل العشماوى إخفاء أسلحة الضباط الأحرار عنده ، إنقاذا لهم مما قد يحدث إذا ضبطت عندهم ، والعشماوى يعلم مدى الخطورة التى يعرض نفسه لها من أجل هؤلاء الضباط ثم تكون هذه التضحية النبيلة النادرة ، هى التى يجعلها عبد الناصر دليلا لاتهام المرحوم الأستاذ حسن العشماوى ، توطئة لاتهام الإخوان بأنهم متآمرون . وليس هذا بالشىء الجديد فى سياسة عبد الناصر ، فإنه تخلص من شركائه فى موقع القيادة واحدا بعد واحد ولم يعارضه واحد منهم أو يفكر أن دوره آت لا محالة .

## نقض عبد الناصر للاتفاق

كان الاتفاق كما يقول الأستاذ حسن العشماوى أنه فى حال نجاح الثورة يكلف على ماهر بتشكيل وزارة تجرى انتخابات نزيهة ليتولى الشعب حكم نفسه بنفسه . وكان هناك من عارض قيام الانقلاب عن طريق الجيش ، لكنها معارضة لم يؤخذ برأيها . وكان عبد الناصر يخطط لأمبراطورية تفتقت عنها أحلامه ، ولعل هذا سر ضيقه بأية مخالفة لرأيه أيا كان مصدرها . ولذلك تنكر بعد نجاح الانقلاب لكل من شاركوا فيه .. وفى منتصف أغسطس ( أب ) عام ١٩٥٢ تنكر عبد الناصر لعلى ماهر ، وحتى ذلك الحين كان الضباط يسمون انقلابهم ( حركة ) ، ثم طوروا تسميتها إلى ثورة . وتخلصوا من على ماهر ، وعينوا محمد نجيب رئيسا للوزارة . وفى أواخر العام ١٩٥٢ طلب مستر إيفانز المستشار فى السفارة البريطانية فى القاهرة من بعض أصدقائه أن يجمعوا بينه وبين بعض الإخوان المسلمين ووقع اختيار المرشد على الأستاذين منير الدلة وصالح أبو رقيق . وكلف فضيلة المرشد الأستاذ الهضيبى المرحوم الأستاذ حسن العشماوى بإبلاغ عبد الناصر بما تم .. فرحب جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بهذا ترحيبا كبيرا . وبعد هذا اللقاء طلب مستر إيفانز مقابلة المرشد شخصيا . ومرة أخرى أبلغ حسن العشماوى عبد الناصر بذلك . وأضيف من عندى أنه رغم ذلك كله ، فقد اتهم عبد الناصر الإخوان بأنهم يتصلون من وراء ظهره بالإنجليز . وفى ١٥ يناير ( كانون ثانى ) ١٩٥٤ اعتقل المرشد ومن معه . وأعلنت صحفه أنهم يتآمرون مع الإنجليز ضد حركة الجيش وطبعا لم يصدق واحد من الشعب هذا . ولكن عبد الناصر سار فى طريقه إلى نهايته . وحدثت أحداث عرفها الناس .. وهكذا يتضح أن أول اتصال بين الإخوان وعبد الناصر كان فى أشرف ميادين التضحية والفداء .. ولكن كل ما بذله الإخوان ، كان عبد الناصر يسطره سيئات لهم . فالتضحية من جانبنا ، والوفاء شيء لا قيمة له عنده .

فى كل أوقات تلك الأحداث كنت على صلة دائمة ببعض الضباط الأحرار فى دكان الأخ الحاج محمد جودة تاجر الأرز فى خان الخليلى . وكنت أؤمن وقتها بأن عبد الناصر سيضرب الإخوان ضربة مريعة . فكنت أحاول التقريب بين رجال الانقلاب من ناحية ، وبين الإخوان المختلفين فى الرأى إزاء عبد الناصر من ناحية أخرى . وما كان هؤلاء ولا هؤلاء يقدرون هذا الموقف . وكان الإخوان يرونني ميالا إلى عبد الناصر .. كنت أريد إذا اصطدم عبد الناصر بالإخوان وأراد التخلص منهم أن يفعل معهم ما فعله مع الأحزاب . وكان بعض الضباط الأحرار يحملون ورقة وقع عليها بعض أعضاء الهيئة التأسيسية للإخوان ، يطلبون استبعاد المرشد الأستاذ الهضيبى ولو إلى حين ، وحل مكتب الإرشاد وتكوين مكتب جديد

كانوا يحملون هذه الورقة ، وألحوا على مرارا أن أوقع عليها . فكنت أرفض فى إصرار ، لأنى أعتبر أن التوقيع على هذه الورقة إنخلاع من بيعة فى عنقى لله ، على يد فضيلة المرشد رحمه الله . وكنت أعتبر أن التوقيع على هذه الورقة انضمام لفريق ضد فريق . ولم يكن ذلك ليدور فى خلدى لأنى أخ مسلم وسأظل كذلك إلى أن ألقى الله موفيا ببيعتى . وترامى إلى خلال تلك الأيام أن الأخ « عاكف » يعذب فى السجن الحربى تعذيبا وحشيا . وبعد صلاة العصر فى أحد الأيام فى دكان الحاج محمد جودة ، تحدثت إلى أحد الضباط الأحرار فى هذه المسألة ولعله السيد « محمد عبد الرحمن نصير » ولكنه أقسم بصلاته وبالمصحف الذى كان يحمله أن عاكفا لا يعذبه أحد فى السجن الحربى . وكدت أصدق لولا ما رأيته من حال عاكف عندما اعتقلونى فى السجن الحربى فى آخر فبراير ( شباط ) ١٩٥٤ . فقد كان فى حالة يرثى لها ولكنى حمدت الله أن الرجل لم يكن يبدو عليه أى مظهر من مظاهر الفزع أو الجزع .

إن عبد الناصر يعرف عزوفى عن العنف . ولكن ما حدث بينى وبينه فى منزله فى ٩ سبتمبر ( أيول ) ١٩٥٤ . ورفضى للتوقيع على تلك الورقة ، كان من الأسباب التى دعت إلى الحكم على بخمس عشرة سنة واعتقالى عامين أخرين . أما الحقيقة الواضحة وضوح الشمس فى كراهيته للإخوان المسلمين ، هو تمسكهم بدعوتهم وإصرارهم على تطبيق شرع الله وهو شيء لا يشفع فيه أى موقف من المواقف ، وحسب الإنسان أن يكون أخا مسلما ليكون موضع حقد عبد الناصر وكراهيته .

وهو موقف يتفق تمام الاتفاق مع موقف الصيلبية والشيوعية والصهيونية من كل ماهو أخوانى .

ترى ماالسبب الذى جمع بينهم ؟ الله ورسوله أعلم .

## عبد الناصر عضو فى الإخوان

وحرصا على جمع المعلومات من مصادر متعددة ، فقد قال الأخ اللواء صلاح شادى فى كتابه ( صفحات من التاريخ ) أن صلة جمال عبد الناصر بالإخوان كانت ثلاث مراحل :

- **المرحلة الأولى** : بعد عودة عبد الناصر من العمل فى السودان ، حيث اتصل به الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف الذى أخذه إلى عبد الرحمن السندى وعقد معه بيعة .
- **المرحلة الثانية** : بعد تعرفه بالمرحوم الصاغ محمود لبيب عام ١٩٤٤ .
- **المرحلة الثالثة** : فى نهاية ١٩٥٠ وقد اشتد المرض بالمرحوم الصاغ محمود لبيب ، فالتقيت بالضابط صلاح سالم وحددت ميعاد للقاء الأخ المسؤول عن ضباط الإخوان

بالجيش ، وكانت أول لقاءاته لعبد الناصر قبل نهاية ١٩٥٠ فى مكتب المرحوم حسن العشماوى .

ومنذ ١٩٤٦ بدأ عبد الناصر فى تحويل ولاء الضباط له من خلف ظهر المرحوم الصاغ محمود لبيب .. وكان انطباع جمال عبد الناصر عندى ( عند اللواء صلاح شادى ) فى أول لقاء لى معه ، أنه رجل قليل الكلام جاء لهدف واضح هو إعادة صلته بالجماعة .

وزادت الصلة قربا بعد وفاة المرحوم الصاغ محمود لبيب . وجرى التعاون بيننا فى مجالات شتى ، فى شراء الأسلحة والمعدات التى كنا نعدها لمواجهة الإنجليز .. وشارك الإخوان فى نقل الأسلحة والذخائر التى كانت فى منزل عبد الناصر ومجدى حسنين انقاذا لهما من أن تصل يد التفتيش إلى منزليهما فنقلت أسفل جراج عزبة العشماوى باشا .

ويقول الأخ صلاح إنهم يشكون ويتوجسون .. من كل شيء إلا جمال عبد الناصر الذى جعل جزاء الإخوان لإنقاذه وزملائه سببا فى اتهامهم بالتآمر مع الإنجليز ضده فى يناير ( كانون ثانى ) ١٩٥٤ .. فالأسلحة التى أعدت لمعونة الثوار ضد الإنجليز يقول جمال عبد الناصر إنها أسلحة معدة ضد الثورة .

وبدأت لقاءات متعددة فى منزل الحاج صالح أبو رقيق المستشار فى الجامعة العربية سابقا حضرها المرحوم حسن العشماوى واللواء صلاح شادى مع عبد الناصر الذى كان يلح فى تقديم موعد الانقلاب .. ومما يلفت النظر فى ذلك الحين ويدعو إلى العجب الدور الذى قام به السفير الأمريكى لإقناع فاروق بالتنازل . وفى يوم ٣٠ يوليو ( تموز ) ١٩٥٢ تم اللقاء بين عبد الناصر والمرشد فى منزل الأستاذ صالح أبو رقيق وعقب هذا اللقاء أبدى المرشد عدم ارتياحه لاتجاه عبد الناصر . وفى يوم ١٣ يناير ( كانون ثانى ) ١٩٥٤ صدر قرار بحل جماعة الإخوان المسلمين من مجلس الثورة . وحدث بعد ذلك ما حدث .

وهنا يعرض سؤال : هل تمكن عبد الناصر من خداع حسن البنا ومحمود لبيب وعبد القادر عودة وصالح أبو رقيق ، وكل من اتصل بهم من الإخوان ؟

## إمبراطورية عبد الناصر

لقد كان عبد الناصر شعلة نشاط فى صفوف الضباط ، تغرى أشد الناس حرصا على الثقة به .. هناك شخصان سبرا غور جمال عبد الناصر منذ أول لقاء لهما به . هما الأستاذ الهضيبى رضوان الله عليه . والسيد فؤاد سراج الدين أطال الله حياته .

إن عبد الناصر ما كان يحلم بحكم مصر . لكنه كان يريد أن يجعل المنطقة كلها

امبراطورية تحت حكمه ، فغامر بمصر وأهل مصر وجيش مصر وموارد مصر فى سبيل تحقيق ذلك .

إننا لسنا أعداء الانقلاب كما يزعم ، لأننا أكبر عناصره ، ولولا فضل الله على الإخوان المسلمين لما استطاع عبد الناصر وكل من كان معه أن يكون لهم فى التاريخ إسم وأثر .. إن كل أجهزة الإعلام فى مصر والدول القوية كانت تشيد بعبد الناصر وبقيادته لمصر .. ويا لها من قيادة أودت بمصر وبالعالم الإسلامى بما يعانيه ، هل نسينا حرب بورسعيد ١٩٥٦ وما كنا معرضين له لولا تدخل ايزنهاور ورغبته فى القضاء على الإمبراطورية الإنجليزية والفرنسية فى هذه المنطقة . هل نسينا حرب اليمن وما جلبته علينا من خراب ؟ وهل نسينا هزيمة ١٩٦٧ وما جرته علينا من خزى وعار ؟ هل نسينا إذلال المصريين وطمس تاريخ السابقين ؟ هل نسينا قصوره وأركانه وتخلصه من زملائه ؟ ماذا بقى له بعد ذلك ؟ .. لاشىء إلا بطولات كاذبة ينسبها إليه أفراد لم يشاركوا فى أية حركة من حركات هذا الأنقلاب ! إنهم يقبضون الآلاف من الجنيهات على اختراع أمجاد لا وجود لها إلا فى عالم الخيال والأساطير ! لقد كان عبد الناصر السبب الأول والأخير فى إضعاف اليقظة الإسلامية وتأخير نتائجها عشرات السنين .

## فى السجن الحربى

لقد فعل عبد الناصر مع الإخوان مالا يستطيع عقل أن يتصوره ، وكانوا يرغمون الإبن على أن يشتم آباه وأن يبصق فى وجهه . وأن يبادل الشقيق شقيقه صفعا ولكما والضباط من حولهما يضحكون .. هل رأيت مواتا فى المشاعر إلى هذا الحد ؟ .. لقد صوروا سيدة من كرام السيدات عارية الصدر وأمامها زجاجة خمر وفى يدها كأس وسيجارة .. ترى لو أن أى قارىء ابتلى لا قدر الله ـــ أن يرى ابنته أو إخته أو أمه أو زوجته عارية يعتدى عليها عسكرى أمام عينيه .. ماذا يكون إحساسه ؟ ألا يتمنى الموت والتقطيع إربا إربا قبل أن يمر بهذا البلاء المهين البشع . ثم بعد ذلك نجد فى مصر من يثنى على عبد الناصر !! لو أنهم مروا بهذه الشناعات التى لا أتمناها لهم ، لكان لهم رأى آخر .. كذلك من الحق أن أقول إننى كنت من أقل الإخوان تعذيبا فى السجن الحربى ، فكل ما نالنى أنهم أدخلونى الزنزانة رقم ٢٤ فى السجن الكبير ، وجاء الحلاق ليحلق شعرى ، فارخيت رأسى ليبدأ عمله .. فإذا بصفعة على قفاى وهو يقول : « اجعد على الأرض يابن الكلب ! » ، وبعد أن تمت حلاقة رأسى وجدتهم يحضرون حبالا غليظة ولفوها حول جسمى من فخدى إلى صدرى ، ثم أوقفونى على كرسى وربطوا هذه الحبال بخطاف مدلى من السقف ، وأزالوا الكرسى ، فأصبحت معلقا بين سقف الحجرة وأرضها . وانهالت الكرابيج والشتائم ولم أفتح فمى بآهة ، لأن ذلك كان

يسعدهم ، وما كنت حريصا على ذلك .. فلما حمى وقع السياط على مكان واحد ، طلبت منهم أن يضربوا فى أماكن متعددة .. وهنا عادت بى الذاكرة إلى العام ١٩٣٣ حيث كنت أدرس لابنى عابد وفى يدى مسطرة أضربه بها على فخذه كلما أخطأ فلما آلمه الضرب فى مكان واحد ، رجانى باكيا أن — أضربه فى مكان آخر فرفضت .. تذكرت هذه الواقعة وإن كانت لا تهم القراء . ولكنها زادتنى يقينا بأن الله لن يترك شيئا بغير حساب وتأكدت من خاتمة هؤلاء الظالمين ولو بعد حين .

## ظروف سجن الواحات

وكان سجن الواحات أكثر سجن استمتعنا فيه بحرية تصرف واسعة .. فزرعنا الرمل جرجيرا وفجلا وبطيخا وشماما .. وربينا الدواجن من دجاج وأرانب . وأحضر لنا السيد « محمد حامد أبو النصر » خرافا لنذبحها فى عيد الأضحى .. وكنا نصلى الفرائض جماعة ونصلى الجمعة والعيدين ، وكنا نتبادل الخطب ودروس الثلاثاء وكنا نتمنى أن نقضى فترة السجن هناك ، رغم قسوة الجو التى تبلغ ٥٢ درجة فى الظل صيفا و ٦ درجات تحت الصفر شتاء ، ورغم كثرة الثعابين والصلال والحيات فقد أبعدها الله عنا بالمرة . ولكن عز على عبد الناصر ما كنا فيه فوزعنا على سجون الوجه القبلى . ومرت السنون وأمضيت من عمرى سبعة عشر عاما فى السجون ولست آسفا على ما حدث . ولكنى شاكر كل الشكر أن ثبتنى الله على المحنة دون أن أحنى رأسى لظالم . ولأن يموت الرجل واقفا مرفوع الرأس أمام خصمه أفضل وأشرف من أن يموت جاثيا تحت قدميه . ويالها من حكمة تتناقلها الأجيال عن أسماء بنت أبى بكر وهى تحث ابنها عبدالله بن الزبير على الرجولة فى مفاوضاته مع الحجاج قائلة : « ولضربة سيف فى عز أكرم ألف مرة من ضربة سوط فى ذل » .

## طرائف سجن قنا

ومن الطرائف فى ذكرياتى ، أننى كنت يوما فى سجن قنا ، وكان فى السجن مذنب اسمه حجازى ، محكوم عليه بأكثر من ثمانين عاما .. وكان كل من فى السجن يتقى شروره . الموظفون والضباط والمسجونون .. وجرى حديث بينى وبينه عن أم كلثوم . وكان يأنس إلى ، فعلم أن أغنية من أغانيها فى مدح الرسول ﷺ تروقنى وأحب سماعها ، وأويت إلى فراشى فى مستشفى السجن . وكان هو فى المستشفى ، وبينما كنت مستغرقا فى نومى ، خيل إلى أننى

أسمع هذه القصيدة من أم كلثوم وأخذت أتبين شيئا فشيئا ، فإذا بى أرى راديو ترانزستور على المخدة إلى جانبى وأم كلثوم تشدو بهذه الأغنية . ورأيت أحمد حجازى هذا العاق ، وقد رفع طرف الناموسية ، وأمسك بالجهاز قريبا من أذنى .. فراعتنى هذه اللفتة العاطفية من سجين يرهبه كل من فى السجن . وهنا تجلت أمامى أساليب الإمام الشهيد فى اجتذاب عواطف أقسى القلوب تحجرا ، وتحريكها إلى الإحساس بما تفعل ، أيا كان لون هذا الشىء الذى تفعله .. ولو أن الحكومات فى كل بلد إسلامى تركت الدعوة تأخذ طريقها فى تقويم الناس عمليا وروحانيا ، لكنا على غير ما نحن عليه اليوم .. ولكنها مشيئة الله التى لها فى كل تصرفات أقدارها ، تخفى على فطنة أشد الناس ذكاء ، وأغزرهم علما وفى كل شىء له آية .

* * *

# الحلقـــــة
# الســـادســـــة عشـــرة

- طلبنـا الخروج من السجـن للقتال فى حـرب الســويس فرفضوا .
- أنا صاحـب فكـرة « جامعـة الشـعوب الإسـلامية » التى تبنـاها السـادات وأفشـلها .
- لا تعـارض فى الجمـع بين عضـويـة الإخوان وعضـويـة الأحـزاب .

الخلاص الإسلامى أو الحل الإسلامى هو الطريق الذى تعلقت به أفئدة الأجيال الجديدة للخروج من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى تحاصرها ، بدليل تلويح جميع الأحزاب السياسية فى مصر على اختلاف مشاربها بهذا الحل خلال الانتخابات النيابية الماضية .. ما ملامح ذلك الحل ؟ وما هو الطريق إلى ذلك الخلاص ؟ وكيف نعد الكادر العلمى والفنى والإسلامى الذى يطوع حضارة العصر ويلبسها ثوب الإسلام الحق ؟ متى يصل المسلم فى تعامله مع المسلم إلى المستوى الذى يجعلنا بحق « خير أمة أخرجت للناس » ؟ ..

لقد حرص الاستعمار ـــ العدو التقليدى لأمتنا ـــ على أن يجعل حياة هذه الأمة صراعا متصلا من أجل الحصول على لقمة العيش .. وبهذا يستنزف طاقات أبنائه فلا يجدون متسعا من الوقت للطموح العلمى أو للأحلام .. إنهم يكافحون من أجل الحصول على المسكن وعلى ثمن الخبز وثمن العلاج .. ينفقون أعمارهم دفاعا عن مجرد البقاء على هامش الحياة . بينما الشعوب والأمم الأخرى تناى بأبنائها عن مثل هذا الاستنزاف لآدمية الإنسان . فتكفل الحد الأدنى من الحياة الكريمة لكل أبنائها ، وتتركهم يتفرغون بعقولهم وسواعدهم للكفاح من أجل الرقى والازدهار لأمتهم .

**ولقد كان الإسلام سباقا إلى كفالة الحياة الكريمة فى المجتمع الإسلامى الأول .. وكانت علاقة المهاجرين بالأنصار نموذجا رائدا لهذه المثل والمعانى الخالدة التى تفيض بالرق ويشع منها العدل .**

## مطاردة مباحث السادات

فى هذه الحلقة من مذكراته يواصل الأستاذ « عمر التلمسانى » مناقشته لفلسفة الحل الإسلامى كما يراها للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية يقول :

مَرّ بى فى شريط ذكرياتى ، ما اخترعه السادات من نظام أسماه « المدعى العام الاشتراكى » وحاولت أن أجد له شبيها فى كل دول العالم المتحضر . فلم أجد . ولعله قد سبقت الإشارة إليه فى ما مضى من هذه الذكريات . وقد دعيت إلى التحقيق أمام أحد رجال النيابة فى هذا الجهاز ، وظل التحقيق فى أول جلسة ست ساعات متواليات بلا انقطاع .. وتبين لى أن رجال الأمن كانوا يرصدون على كل تحركاتى ، ومن بينها محاضرة عن الحرية فى الإسلام بدار نقابة المحامين ، ثم توالت التحقيقات على مدى خمس جلسات ، أقلها ساعتان ، وانتهى التحقيق إلى لا شىء .. هذا لون من ألوان الحكم فى عهد السادات . وإنها لحياة عجيبة أن يحيا المواطن المسالم حياته وهو يحس بأن هناك من يتعقبه فى كل مجال ، ثم نجد من بعد ذلك من ذوى الأقلام من يشيد بعهد السادات !

إن هذا الأسلوب فى الحكم يوجد حساسية من نوع معين بين الحاكم والمحكوم . بافتراضه سوء النية فيمن يلى أمرهم ، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : « إذا ابتغى الراعىَ الريبة فى الرعية أفسدهم » .. أو كما قال . ولن يلجأ إلى الإكثار من العسس والعيون إلا حاكم يشعر أنه ليس مرضيا عنه من شعبه ، وإلا فما كان أغناه عن ذلك .

ومن ذكرياتى ، لا للمباهاة أو التفاخر أنه كان يزورنى فى منزلى كثير من المصريين والأجانب .. والمسكن متواضع جدا .. والآثاث منذ العام ١٩٢٦ .. وقد تأثر البعض بهذا المظهر فرأى بعض الأحباب فى الخارج أن يشتروا لى مسكنا فى المكان الذى أتخيره ... وبالأثاث الذى يعجبنى .. فرفضت كل الرفض .. لأنى قانع بما أنا فيه . وحامد لربى ماأنا عليه ، وما دار فى خلدى أن أغير شيئا من هذا المظهر على الأطلاق .. بل سألت الله الستر ودوامه . وكلما قلت تطلعات المسلم إلى زخارف الحياة الدنيا وزينتها سرى الرضا وتوفرت أسباب السعادة ، اللهم أرضنا بما ترضى ، ولا تفتنا بمباهج هذا الدار الفانية .

إنى أرى أن ما نمر به من مصاعب ليس مرده إلى أزمة غذاء أو مسكن . أو ما إليه ..

ولكنها أزمة الأيدى التى تتولى شؤون هذه الضروريات .. ولو حرص المسلمون فى كل بلد إسلامى على انتقاء الأيدى الأمينة فى شؤون البلد لكان العالم الإسلامى أزهى وأقوى العوالم كلها . ولكن للأسف الشديد ، أن الموظف الأصغر رأى ما عليه رئيسه والموظف الصغير رأى ما عليه رئيسه الكبير الصغير ، وهكذا .. فلو لزم كل واحد حد الأمانة ورعاية المصلحة العامة قبل أن ينظر إلى مصلحته الخاصة لكان الحال غير الحال . والناس على إسلوب رؤساؤهم .

## فلسفة الإخوان الاقتصادية

تفتحت عيناى وأنا أرى المساجد خالية إلا من أرباب المعاشات وبوابى المنازل وأمثالهم . ورأيت أسوأ مظاهر الفساد الخلقى والاجتماعى سائدة فى كل مكان وبلا استحياء .. وما أن انتشرت مبادىء هذه الدعوة الكريمة ، حتى بدأت المساجد تزهو بالشباب الناضر وقل التظاهر بمخالفة التعاليم الدينية وحرص شباب البلد عامة والإخوان خاصة على طلب العلم مع استمرار النجاح عاما بعد عام .. بل إن كل الأحزاب والرؤساء يتحدثون عن القيم الدينية لشدة ما يرون من إقبال الناس عليها ،

وهم يريدون أن ينافسوا الإخوان فى هذا الميدان الحبيب . إلى قلوب الشعب . وما أسعدنى يوم أن رأيت كل الأحزاب ترصد فى رأس نشرتها الانتخابية أنها ستطبق شرع الله .. وياله من انتصار لدعوة الله ، وعدم اعتبار العودة إلى شرع الله تعصبا ولا رجعية ولا تأخرا ولا دعوة للحياة فى مجتمع مشوه . كل ما بناه أعداء الدين هدمته هذه الدعوة التى شلت فاعلية الجماعات التبشيرية . وإرسالياتها إلى حد الاحتضار . وكان هذا سببا من أسباب الحملة المحمومة الشرسة على هذه الدعوة ، وأذكر مستشفى هرمل فى « شبين القناطر » الذى يعج بالوافدين ، تُعرض فيه بعض المبادىء الصليبية والذى انتهى أمره إلى الغلق بعد أن هجره كل من كان يغشاه ، بسبب دعوة الإخوان التى نبهت الفلاحين والعمال إلى الأغراض الحقيقية لمثل هذه المظاهر الأنسانية .

وأذكر أنه إذا تحدث أحد عن فلسفة الإخوان فى الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، كنت أجد لهذا الكلام وقعا غير مستساغ فى ذهنى فقد علمت من بعض دارسى الفلسفة أن من بعض تعاريفها أنها مجموعة أخطاء البشر على مر السنين . هذا إلى أنى لا أعرف فى العقيدة الإسلامية فلسفة لأنها أوضح من الشمس ، وليست به حاجة أبدا إلى التعقيدات الفلسفية .. فإلهنا واحد . وشرعنا واحد . ورسولنا واحد . وكلها أمور مبسطة يفهمها الجاهل كما يفهمها العاقل . وليست به حاجة إلى تفسير فلسفى أو تحليل منطقى ..

ولئن تعرض بعض علمائنا للفلسفة أمثال الغزالى وابن رشد وغيرهما فما كان ذلك منهم إلا للرد على الفلاسفة الذين أخذوا يرددون آراء سقراط وبقراط وأفلاطون . ومن إليهم سعيا وراء التشكيك فى عقيدة التوحيد ، والكلام فى وحدة الوجود وقدم العالم ، وما إلى هذه البحوث التى ليس من ورائها إلا « وجع الدماغ » وإضاعة الجهد ، وتبديد الوقت .

لقد عشت حياتى متفائلا وما عرف التشاؤم يوما طريقه إلى نفسى ومرد ذلك عندى إلى سبب واحد : لن يحدث فى هذا الوجود شىء إلا بإرادة الله .. وإرادة الله لا تقاوم ، ومشيئته لابد وأن تنفذ ، وهو بر رحيم . فيجب أن ننظر إلى مالا يرضينا من عدة جوانب :

١ ـــ أليس الله حكيماً؟.. أجل. إذن ماحدث لابد وأن تكون له حكمة

٢ ـــ أليس الله رحمانا رحيما ؟ .. أجل . إذن ففى باطن المحنة حكمة لا تصل إليهاعقولنا .

٣ ـــ أليس الله عادلا ؟ .. أجل . إذن فليس هناك من ظلم نشكو منه .

بمثل هذا التفكيرلن يتسرب إلى نفوسنا تشاؤم ولا اكتئاب ، ولذلك أثر عن النبى ﷺ أنه كان دائم البشر ، وما رؤى عليه الصلاة والسلام عابسا إلا أن تنتهك حرمة من حرمات الله .

لقد كان مظهرنا جميعا فى السجون يتسم بهذا المظهر الباسم . وكان عساكر السجن يسألوننا : هل أنتم مع الهضيبى أم مع عبد الناصر ؟ .. فإذا قال أحدنا إننى مع الله .. فلن يكون الرد إلا الشتائم .

كنا ولا نزال فى اجتماعاتنا الطويلة نلجأ إلى أخ إسمه ( على ) معروف ببيع الطعمية والفول المدمس والكبدة المقلية ، فكان يحضرها إلينا فى المركز العام وكثيرا ما كان يرفض أخذ مقابل لها . فعوضه الله على ذلك خيرا كثيرا شفاه الله وعافاه ومتعه بالصحة وطول العمر فى صالح الأعمال ولا نزال حتى اليوم إذا دعينا ، خير ما يقدم لنا الثريد واللحم ، وإن كان بعض من أفاض الله عليهم بالخير الوفير ، يتحفوننا بما لذ وطاب من فاخر الطعام فالقاعدة أنه لا سرف ولا إسراف فى إكرام الأحباب ، بعد أن قال رسول الله ﷺ ما معناه ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ) .

## عضويتى فى الإخوان والوفد

كانت صلتى بالأحزاب كلها صلة مودة . رغم انعطافى إلى الوفد فى مطلع حياتى . وأذكر أن صلتى بالمرحوم أحمد حمزة باشا وزير التموين فى ذلك العهد جعلته يقيد إسمى فى

دفاتر الوفد باعتبارى عضوا بلجنة الوفد المركزية فى مديرية القليوبية . وفى الوقت نفسه أدرج المرحوم محمد الفقى بك عضو مجلس النواب فى شبين القناطر عن الأحرار الدستوريين اسمى فى عضوية ذلك الحزب . دون أن يؤخذ رأيى فى هذا أو ذاك . وما كنت أرى فى ذلك حرجا لأن المرحوم محمد عبد الرحمن نصير النائب عن بنها فى حزب الأحرار الدستوريين ، كان عضوا فى الهيئة التأسيسية لجماعة الإخوان المسلمين . وما كان للإمام الشهيد من اعتراض على ذلك . ففى ذلك الحين كان الوفدى أو الحر الدستورى أو السعدى أو الكتلى أو الحزب الوطنى يستطيع أن يباشر عضويته فى تلك الأحزاب ، وهو أخوانى ، مادامت مبادىء الإخوان والدعوة إلى الله هى هدفه . وما كنت أرى فى ذلك أنه تقلب بين الأحزاب والمبادىء لأنى ما فكرت يوما أن أستغل عضويتى فى أى حزب ، وسيلة لجر مغانم ذاتية ، فالاستغلال والتسلق ليسا من طبيعتى ولا فى تكوينى فطريا وكانت تروقنى كلمة شكسبير فى رواية قيصر « الأول فى قرية ولا الثانى فى روما ! » لا تعاليا ولا كبرا ولكن عزوفا عن التبعية لأى كائن من كان على ظهر الأرض . وما كانت عضوية مكتب الإرشاد رغبتى ولكنها رغبة الأمام الشهيد ، ثم من بعده ، رأى الهيئة التأسيسية فى عهد فضيلة المرشد الأستاذ الهضيبى رضوان الله عليه . وإذا وجدنا فى غرفة واحدة فى مصر أو فى غيرها كنت أتخير الجلوس إلى جانب باب الحجرة إلا أن يطلب منى أحدهما الجلوس إلى جانبه ، فأستجيب وأنا فى غاية الحرج ، إذ أرى أن الفارق بينى وبين المرشدين رضوان الله عليهما شبيه بالبعد بين السموات والأرض . لا تواضعا ، ولكن عن وعى حقيقى . وتقدير صادق .. وما زلت حتى اليوم والإخوان يروننى أخاهم الكبير ، والحكومات تتعامل معى بهذا المفهوم ، أحس بينى وبين نفسى بأننى لست أهلا لهذه المكانة ، التى لن يملأها تماما ، ويمثلها تمثيلا كاملا ، إلا من كان فى وضع الإمام الشهيد والإمام الهضيبى رحمهما الله ، وأين أنا من ذياك المقام ، ورحم الله عبدا عرف قدر نفسه .

من أعذب ذكريات حياتى وأغلاها أننى رأيتنى وعن طريق دعوة الإخوان المسلمين شخصا له وجود فى هذه الحياة . رأيتنى آكل لأعيش ولا أعيش لآكل . ولو أنى عدت إلى شبابى — ولا أريد أن أعود إليه ، فقد ألفت الحياة مع شيخوختى ولن أرضى معها بديلا من شباب — لو عدت وخيرت فى اختيار طريق لحياتى لما اخترت غير ما أنا عليه . أية قربى من الله أن أذوى فى سبيله وأنّى لى ذلك لولا فضل الله وإقامته لى فى هذا السبيل إنها عز الدنيا وسعادة الآخرة .

## طلب مأمور السجن الغريب

استدعانى مرة أحد مأمورى سجن من سجون الوجه القبلى ، وأخذ يشرح لى مزايا عبد الناصر ومفاخره وينهال على الإخوان باتهامات ما لها فى الوجود من أشباح واسترسل قرابة

نصف الساعة فى هذا الحديث ، وأنا أصغى إليه فى صورة المقتنع حتى إذا ما انتهى ظنا بأنى مقتنع بما قال : سألنى : والآن ما رأيك فى إرسال تأييد منك لعبد الناصر ؟ .. فكان جوابى : إنك كنت فريدا فى شرح غرضك ولكنى أسأل نفسى ، هل بعد هذه السنين الطوال أؤيد ظالمى ؟؟ وهل كنت طوال تلك المدة لا أعلم أننى على حق فى موقفي من عبد الناصر ؟ لئن كنت كذلك فإنى أستحق السجن عشرات السنين ، لهذا أعتذر إليك عن عدم إستجابتى لطلبك .

فأعادنى إلى زنزانتى مشيعا بقوله : « الله يخرب بيتك » فأحسست أن دعاءه على سيدور ويدور ويرجع إليه ، وهذا ما حدث . فقد أصيب بسرطان وانتقل إلى رحمة الله .. غفر الله لى وله .

ولما كنا فى سجن الواحات وقامت حرب ١٩٥٦ تقدمنا بطلب إلى مأمور سجن الواحات نقول فيه : إننا هنا جميعا على قدم الاستعداد للجهاد فى سبيل بلادناضد الغزاة . الشاب منا والعجوز ، الصحيح والمريض ورحب مأمور السجن بهذا العرض النبيل من أناس أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .. ويا لسوء تفكير المسؤولين فى ذلك العهد إذ رفضوا هذا الطلب الخالص لوجه الله .. وهكذا كانت نظرة عبد الناصر ومن حوله للإخوان فى كل شىء . حتى لو قال لهم الإخوان سلام الله .. لقالوا غضب الله ! .

والغريب أن الكتب التى صدرت تؤرخ لمصر خلت كلها ، اللهم إلا النادر من إشارة إلى دور الإخوان فى هذه المنطقة ، مع أن الأحداث التاريخية فى السنوات الستين الأخيرة ، كانت تدور كلها حول الإخوان المسلمين وكانوا محور الأحداث التى جرت طوال تلك السنين . فالمستر « إيدن » وزير خارجية إنجلترا لم يدع إلى قيام جامعة عربية إلا عن تخطيط مدروس . ذلك لما رأى نمو الوعى الإسلامى فى هذه المنطقة ، وخشى أن ينتهى الأمر إلى جامعة إسلامية ، فبادر إلى إحباط هذا الاتجاه ، وشغل حكام هذه المنطقة بالجامعة العربية ، التى كان لها أثر سىء فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، إذا اقتصر الأمر فيها على هذه المنطقة العربية ، فبعدت باكستان وإندونسيا وماليزيا وأفغانستان وغيرها من البلاد الإسلامية .

## جامعة الشعوب الإسلامية

ولما تحدثت مع السيد « نبوى إسماعيل » وزير الداخلية الأسبق ، عن جامعة الشعوب الإسلامية وأنها أنفع للقضية الإسلامية كلها . رأيت بعد أيام من هذا الحديث كلاما عن إنشاء جامعة شعوب إسلامية ، وأقيمت هذه الجامعة ، ولكنها فشلت لأنها بنيت على شفا جرف ، من الأغراض الشخصية ، والخطوة أن لم يكن مقصودا بها وجه الله ، فلن تفلح أبدا . ودارت قضية فلسطين حول الإخوان المجاهدين ، ودارت الانقلابات العسكرية كلها فى

هذه المنطقة ، والهدف الأول منها كان محاربة الأخوان والقضاء عليهم ، الأمر الذى أثبتته الأيام والأحداث بعد ذلك بصورة قاطعة ، مما أدى إلى تعويق المد الاسلامى سنين وسنوات لا يعلم مداها إلا الله .

وإقبال الشباب الجامعى على التمسك بتعاليم الإسلام كانت بذرته الأولى من غرس الأخوان فى الجامعات وأحداث كوبرى عباس فى عهد النقراشى وضحاياه . كل ذلك كانت رحاه تدور حول محور الإخوان المسلمين ، وغير ذلك مالا حصر له من الآثار ، كان من أثر دعوة الإخوان ، ولكننا ومن غير تعجب ولا دهشة ، نرى المؤلفين لهذه الفترة يغفلون دور الإخوان التاريخى فى العالم الإسلامى ، وأن تعرضوا له ، تعرضوا بالوقائع المزورة المفتعلة ، التى لا دليل عليها إلا الأهواء والأغراض المعادية لدين الله . إن هذا الموقف يعبر عما وراءه من خفايا وأهداف لن يمكن تحقيقها. إن كل مجمع على طمس تاريخ الإخوان كى ينساهم الناس، وهو هدف لن يستطيعوا تحقيقه ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. إن إسرائيل وأعوانها وراء هذا المخطط، علم الذين يكتبون التاريخ أو لم يعلموا.

ومع كل هذه المقاومة العنيفة لدعوة الإخوان ، وتجهيل تاريخهم ومحاربتهم ، والأشادة بغيرهم ممن لم يبلغوا شأوهم ، فإن هذه الدعوة أصبحت شجرة مباركة أصلها ثابت وفروعها فى السماء ، وثمارها مجنية شهية فى الصيف والربيع والخريف والشتاء . وليس أدل على ذلك من أن أية دعوة من أية جهة لأى غرض ، لا يقبل عليها إلا الأعداد اليسيرة من الناس ، أما إذا دعا الإخوان إلى حفل أو اجتماع ، وتركته الحكومة دون رفض أو مساءلة فإنك ترى الألوف وعشرات الألوف ، يحضرون هذه الاحتفالات ، لأنهم يعلمون خيرها ، وما يقال عنها ابتغاء وجه الله ، الأمر الذى يغيظ أعداء الدعوة الإسلامية فيمعنون فى الإيذاء ، ولن يبلغوا ما يريدون ، ولو اجتمع الجن والإنس على ذلك ، لأن الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظ دينه ، وهو موف بعهده من غير إلزام .

## الرجاء تحول إلى تهديد !

والعجب أن أناسا محترمين إذا تعرضوا لسرد بعض الأحداث التاريخية ، رضوا لأنفسهم أن يغيروا الحقائق التى حدثت أمام أعينهم ، وعلى سبيل المثال لقاء النحاس باشا للإمام الشهيد عندما كان يرجوه ويلح عليه فى الرجاء أن يتنازل عن ترشيحه فى الإسماعيلية لمجلس النواب ، فقد كان الموقف رجاء من المرحوم النحاس باشا ، ووعده للإمام الشهيد بفتح المركز العام والشعب ، والموقف على هذه الأسس موقف رجاء ، ولكن بعض الذين حضروا هذا اللقاء مع المرحوم النحاس باشا ، أبوا فى تصريحاتهم لبعض الصحف إلا أن يلبسوا الأمر ثوب التهديد من المرحوم النحاس باشا والوعيد ومجابهة الإمام الشهيد بعدم المتاجرة بالدين مع أنهم

يعلمون أن هذا لم يحدث بالمرة . والموقف نفسه هو الذى يتحدث عن وقائعه ، وهل يجب أن تأخذ طلبات النحاس باشا صورة الرجاء والوعود الطيبة والأمل فى وطنية الإمام الشهيد وحرصه على مصلحة بلده ، وعدم تعريضها لتمحكات الإنجليز سامحنا الله جميعا .

لن تزول هذه الدعوة لأنها مظهر من مظاهر النضال فى سبيل نشر الرسالة المحمدية والإسلام باق بفضل الله ، ولا يزال فريق من أبنائه قائمين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ، ولا يصدهم من عاداهم ، ولن يوقفهم من كان دأبه تدبير المكائد ومحاولة الإيقاع بين المسؤولين والإخوان . إن الإخوان سيتركون المسؤلين يفعلون مايشاؤون ، حتى اليوم الذى يؤمن فيه المسؤولون بأنه لارفعة لأوطانهم ولا سلامة لهم إلا فى تنفيذ مايطالب به الإخوان المسلمون ، والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء . وكما يقول بعض الصالحين « فى لمحة المصلحة » .

وأذكر كذلك أن مصر كلها فرحت بتولية فاروق الحكم ، مؤملين خيرا فى حداثة سنه التى لم تلوثها أقذار السياسة ، واستقبله الإخوان استقبالا باهرا ، لا ليظهروا قوتهم أمامه ، ولكن ليعربوا له عن فرحتهم به ، وليعلم أن القوة والمنعة فى الإسلام ، لا فى مدنية الغرب وحضارته .. وقد أبدى ارتياحا لذلك . وفعلا التقى طبيبه الخاص يوسف رشاد بالإمام الشهيد ولكن الأيدى التى لا تضمر خيرا لشرع الله ، زرعوا فى قلبه الخوف من الإخوان ، ولما استهوته النزوات مال بكليته إلى خصومة الإخوان ، خاصة بعد رأى الناس يسيرون خلف الإمام الشهيد أينما سار . وينفرون من كل مكان يوجد فيه فاروق وتفاقم الخوف والكره فى نفس فاروق حتى دبر اغتيال الإمام الشهيد ، وبعد هذا الوضوح فى موقف الإخوان من فاروق وانتقادهم لفجوره وانفراده بالحكم ما يزال على هذه الأرض من لا يزال يكرر أن الإخوان عملاء للقصر ! أتراهم مؤمنين بما يقولون ؟ أم أن عداوتهم للإخوان هى التى تدفعهم إلى هذه الأكاذيب دفعا لا حد له ؟ .

إنى أذكر هذه الأحداث مختصرة ولكنها تتحدث عن الحقيقة مهما حاول البعض إخفاءها .

أذكر أن إسماعيل صدقى زار الإمام الشهيد وكان زوج ابنة المرحوم إبراهيم باشا رشيد واسطة الاتصال بينهما ، فترة انتهت بعودة صدقى باشا فاشلا فى مفاوضاته « صدقى ـــ بيفن ـــ » ، ووقف الإخوان مع النقراشى ، فى سفره إلى الأمم المتحدة . وزار وزراء الوفد المركز العام وأشادوا بالإخوان : أحمد حمزة وفؤاد سراج الدين وصبرى أبو علم وسليمان غنام وزار شاعر فاروق ـــ غاب عنى اسمه ـــ المركز العام وخطب فيه . ترى هل كان الإخوان يعملون لحساب كل هؤلاء ، هذا أمر ماأظنه يقع فى عالم العقلاء ، أم أن الأحزاب كلها كانت تخطب ود الإخوان لتجذبهم إلى تأييدها ، فلما لم يصلوا جميعا إلى هدفهم ، تحالفوا جميعا على مواجهة الإخوان المسلمين رغم اختلافهم مع بعضهم البعض فى كل شىء .

## طعام حسن البنا

كنت أرى هذه المظاهر وأعايشها ، فأعجب من عقليات وصلت إلى هذا الحد من سوء الظن بجماعة لم تنافسهم فى حكم أو سلطان بل كل هدفها أن ترى شرع الله مطبقا أيا كان هذا الإنسان الذى يقوم بتحقيق هذا الأمل المنشود . وأقول بكل الصدق من موقفى هذا أن الإخوان حتى اليوم لا يزالون عند هذا الفهم ، بسياستهم هى سياستهم ، ونواياهم هى نواياهم ، وما دخولهم البرلمان إلا دليل على أنهم ألزم ما يكونون للطرق المشروعة وحتى سلوك هذا الطريق المشروع . أثار غيظ البعض فهاجموه،والله من ورائهم محيط .

إنى لا أزال أذكر عذوبة البسمة التى كانت تعلو شفتيه — الإمام الشهيد — إذا ما ظللت معه فى المركز العام إلى موعد الغداء ، فيداعبنى قائلا : نحن اليوم طابخون فتعال نتغدى معا . أو يقول لسنا اليوم طابخين فاذهب فتغد حيث تجد ما يروقك . إلى هذا الحد من الظرف والرقة يداعب الإخوان رضى الله عنه وأرضاه فى الجنة ، وذهبت معه يوما إلى شبين الكوم فى حفل أخوانى ، وبعد صلاة العشاء وجدت الإخوان يجلسون كما يجلس الناس فى سماط ، وجاء الطعام فإذا به بيض مقلى وجبن قديم ، فملت على أذنه قائلا : « هل جئت بى إلى هنا لتجوعنى ؟ » . فقال هامسا : « اسكت الله يسترك » ونادى أخا فأحضر لى لحما مشويا وشيئا من العنب ، هكذا كنا نثقل عليه ، وهكذا كان يتسع صدره لنا فى ارتياح كامل ، لا عن ضيق أو تذمر . ما أكثر ما تعلمنا على يديه من دروس .

* * *

# الحلقـــــة
# الســـابعة عشـــرة

- الإخـــوان رفعـوا الإثـم عن المسلمين جميعاً بقتالهـــم فى فلســطين .
- جـــرت محاولات لتغيـــير اســم الإخوان باءت كلـها بالفشل .
- القيــادات البــارزة للإخــوان فى حرب فلســطين قتلت بأيــدٍ مصــرية .

فى هذه الحلقة يستعيد الأستاذ « عمر التلمسانى » ذكرياته حول حقبة التضحية والفداء ، دفاعا عن فلسطين ، فيقول :

أذكر أن أكثر زعماء مصر ألماما بدور الإخوان المسلمين فى جهادهم المقدس ضد اليهود فى فلسطين وأعمقهم أخلاصا لهذه القضية ، كان المرحوم « عبد الرحمن عزام باشا » لإيمانه بعدالة القضية وتفانى الإخوان فى هذا الجهاد فكان يمدهم بالنصيحة وبخبرته الواسعة وحبه للإمام الشهيد .. وكان يساعدهم فى البحث عن الأسلحة كذلك وسافر الإمام الشهيد إلى معسكر البريج حيث كانت الوحدات الإخوانية تعسكر وتتدرب هناك . وسافر ومعه الأستاذ المجاهد « محمود عبده » أطال الله حياته ومتعه بالصحة والعافية والشهيد فضيلة الأستاذ « محمد فرغلى » وبعد أن تفقد أحوال الإخوان هناك ، عاد إلى القاهرة ليواصل إدارة المعركة المقدسة . وكان مما يلفت النظر هنا ، أن كل المعروفين من الإخوان المسلمين فى قيادة هذه المعركة ، قتلهم حكام مصر .

فالإمام الشهيد حسن البنا قتل فى عهد فاروق والمرحومان فضيلة الشيخ فرغلى ويوسف طلعت ، قتلا فى عهد عبد الناصر ، وقدما هدية لليهود وحبس الضابط « معروف الحضرى » وعذب عذابا شديدا وهو الضابط الذى كان يمد عبد الناصر بالأسلحة والذخيرة والمؤونة أثناء حصاره فى الفالوجا، وغير هؤلاء . فهل كان ذلك

اعتباطا ومصادفة ، أم أنه كان نتيجة لتخطيط سابق من الذين رضوا أن يتقبلوا الضربة الأولى يوم ٥ يونيو ( حزيران ) ١٩٦٧ ، استجابة لنصيحة الروس والولايات المتحدة وهم يعلمون تمام العلم مدى مساندة روسيا وأمريكا لليهود والوقوف إلى جانبهم . وأعجب من هذا ما بذله السادات فى إضاعة كل الثمرات التى حققها انتصار جيشنا الباسل فى العاشر من رمضان ، هذا الجيش الكريم الذى كان يقاتل إيمانا منه بقضية استخلاص سيناء وفلسطين ، دون علم منه بما كان فى خفايا نفس السادات من موالاته لليهود، هذه الموالاة التى كشف عنها وزيرا خارجيته « اسماعيل فهمى » و « محمد ابراهيم كامل » فى مذكراتهما التى نشرت على العالم كله . ولم يكذبهما أحد إلى اليوم ، وتظهر هذه الموالاة فى صداقته لكيسنجر ، اليهودى الذى لا يريد أن تبتلع إسرائيل فلسطين وحدها ولكنها تحرص على السيطرة على كل هذه المنطقة . أن هذه المظاهر تستوجب تحليلا عميقا لهذه النفسيات ، أهى تمثل مصر حقا ، أم أنها تغمض العين رغم التصريحات الأفلاطونية التى لا تجوز إلا على البلهاء .

أذكر آن اثنين من أشهر الأسماء المعروفة فى أوساط الأخوان ، رضى أحدهم أن يعمل وزيرا لعبد الناصر والآخر وزيرا للسادات ، وهما يعلمان كل العلم ما هو موقف عبد الناصر والسادات من الأخوان ، مع أن أحدهما كان حارسا لفضيلة الأستاذ الهضيبى المرشد الثانى للإخوان المسلمين أثناء اشتداد الخلاف بين الهضيبى وعبد الناصر .

أنها فلتات تستدعى التفكر العميق فى تقلبات النفس البشرية ، إنى لا أنتقدهما ، ولكنى أرصد ذكرياتى فى صفوف جماعة الإخوان ، وأترك الحكم على موقفيهما لمن عرفهما ، واختلط بهما أكثر من معرفتى واختلاطى بهما .. ويا لها من ذكريات مريرة ، مع تقدير لذكائهما واتساع علمهما وفرط أدبهما ، وما زلت إلى اليوم أطمع فى عودتهما إلى الصف مظهرا ومخبرا .

## الإخوان وموقف الحكومات

ومن المفارقات العجيبة أن الأخ الفاضل المهندس « مصطفى مؤمن » زارنى يوما فى مجلة « الدعوة » بمقرها الحالى ، وذلك بعد عقد معاهدة السلام . وجرنا الحديث إلى هذه المعاهدة فقال : إن الإخوان عارضوا هذه المعاهدة على استحياء ، فابتسمت إذ حرت بين أمرين ، أنحن الذين عارضنا المعاهدة على استحياء ؟ .. أم أنه هو الذى أراد انتقاد موقفنا من المعاهدة ، فأبداه على استحياء ! ؟ ..

وحقا إننى ما عرضت لأمر أنتقده ، إلا كان ذلك منى على استحياء ، لأنى لا أحب

أن ألقى أحدا بما يكره ولأنى لا أقطع بأننى وحدى على الحق. سواء كنت ادافع عن الرأى أو أنتقده، وأنا مقتنع بأننى أتحدث عن عقيدة وإيمان فيما أفعل. أما إننى كنت أتناول الأمور على أننى المحق المصيب فيها. فهذا ما لم يخطر لى فى بال، إلا إذا كان الأمر يتعلق بحرام أو حلال، فلا أناقش انتصارا لرأى، ولكن تقديرا لواقع فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بل إننى أمضى فى هذا المجال إلى الحد الذى قرأته عن الإمام الشافعى إذ يقول «ما جادلت أحدا إلا وتمنيت أن يكون الحق إلى جانبه» .. ولهذا أرانى أمل الحديث فى أى موضوع إلا إذا تعلق بدعوة الله كما يسير فيها الإخوان المسلمون .

إن كل خلاف وقع بين جمال عبد الناصر والإخوان كان من الممكن جدا جدا أن ينتهى إلى تفاهم واضح قريب . ولكنه كان يبيت أمرا ، ترى هل كان هذا الأمر وليد ما افتعله من مواقف ؟ .. أم هو تخطيط سابق من الجهات التى مكنت له كالسفير الأمريكى الذى كان وسيط عبد الناصر لدى كل السفراء ليلة « الانقلاب » يطمئنهم أنها حركة ليس الأجانب مقصودين بها من قريب أو بعيد .. ونحن نعرف جميعا من وراء سفير الولايات المتحدة وما هى أهدافهم ؟ .. ثم ظهر بعد ذلك أنه كان يقصد القضاء على الإخوان فقد تملكته شهوة الانفراد بالحكم ، بعد أن تركه زملاؤه يتلاعب بهم كما يشاء ، ويغرى بعضهم ببعض ، فقد تخلص أول ما تخلص من يوسف صديق الذى تولى قيادة الحركة ليلة الانقلاب ، عندما كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يرتديان ملابسهما المدنية ، فى مكان مجهول وكان السادات بملابسه المدنية فى سينما يفتعل مشاجرة ويذهب إلى قسم الشرطة ليثبت وجوده هناك ، وتخلص بعد ذلك من محمد نجيب ثم خالد محى الدين ، وبغدادى وزكريا وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين ولم يبق معه إلا الذين خضعوا خضوعا كاملا لارادته وأيقن أنهم لا يستطيعون معه شيئا . ولم يقتصر على الإخوان المسلمين أو زملائه فى الانقلاب . بل امتدت يده إلى الأزهر ذلك أنه لما رأى من المرحوم فضيلة الشيخ الخضرى حسين تمسكا بالمبادىء والقيم ضايقه حتى ألجأه إلى الاستقالة بعد أشهر من توليه للمشيخة ، وعين لمشيخة الأذهر شيخا مريضا أنهكه المرض وأقعدته الشيخوخة ، وكان الشيخ الجديد من المسبحين بحمد عبد الناصر حتى سماه ( الشاب الملهم المظفر ) ثم تعالى حتى كان ينادى وزراءه فى المحافل العامة والمجتمعات باسمهم المجرد ، وكأنهم أتباع له وليسوا وزراء يشاركونه الحكم . وهو الأسلوب نفسه إسلوب « العنطظة » الذى اتبعه السادات مع زملائه فى آخر عهده . ويدهشنى حقا كيف كانوا يقبلون هذه الغطرسة ؟ إن ملوك انجلترا ورؤساء فرنسا والولايات المتحدة لا يخاطبون وزراءهم دون كلمة « مستر أو مسيو أو سنيور » هل لهذا تعليل عند علماء النفس والاجتماع ؟ لست أدرى .. ومن الخير فى هذه المناسبات ألا أدرى ، حتى لا تجرنى هذه الدراية إلى مالا يرضاه الغير .

إن المسؤولين فى بعض الدول الإسلامية لا يجدون فى أنفسهم راحة إلى الإخوان المسلمين لأن التقارير التى ترفع إليهم مليئة بالأوصاف السيئة عن الإخوان المسلمين وأنهم إرهابيون

يميلون إلى استعمال القوة والعنف يستندون فى ذلك إلى تصرفات طائشة يقوم بها بعض المغامرين من الشباب دون نظر إلى العواقب فى حين تنكر قيادات الإخوان وبلا استثناء هذه التصرفات التى تضر الدعوة أكثر مما تنفعها . فماذا على هؤلاء المسؤولين لو أنهم جربوا الاتصال المباشر ومن غير وساطة،بالإخوان ليتبينوا منهم حقيقة نواياهم وأساليبهم ؟

لا شك أن هذه الخطوة الموفقة تحدد الأمور أمام المسؤولين بشكل واضح ، هذا إلى أنها فى صالح الجميع فوق أنها فى صالح الوطن نفسه ، حتى تنتهى هذه الأوضاع المفجعة . إنهم لم يفعلوا ، ولو أقدموا فإنهم لا يخسرون شيئا ، إن استماع المسؤولين فى العالم الإسلامى إلى كل الآراء والاتجاهات من الداعين إليها فى بلادهم دون الإخوان المسلمين ، أمر يثير العجب ويذهب الظنون كل مذهب . إن الإخوان المسلمين يودون من أعماق قلوبهم أن يطمئن إليهم المسؤولون وأن يعينوهم على أداء رسالة التوعية الدينية ليأخذ المد الإسلامى طريقه سهلا ميسرا . أنا لا أقول إننا نمد أيدينا طاهرة نظيفة منذ اليوم بل لقد مددناها من أول يوم قامت فيه هذه الدعوة ورسائل الإمام الشهيد أوضح دليل . فقد كان يتوجه بكل الرجاء والإلحاح إلى الجميع ولم يغضبهم أن أحدا لم يستمع إليهم،لأنهم أصحاب رسالة دعا الله ورسوله إليها ، فإن هم وفوا بعهدهم مع الله فذلك حسبهم مع استمرار الدعاء بقلوب خالصة أن يهدى الله الجميع سواء السبيل . غير حاقدين على من أساء أو عذب أو قتل ، فكل ما أصابهم كان فى سبيل الله .

## معارك القناة

لما وقف الإخوان المسلمون وقفتهم الإسلامية الجهادية على ضفاف القناة وعلى أرض فلسطين السليبة يروونها بدمائهم الطاهرة حفاظا على كرامة المسلمين المتقاعدين وليعلم خصوم الإسلام أن من بين بنيه من يفتديه بالروح إن ضن الجبناء بها . عتب بعض محبى الإخوان عليهم أن أظهروا قوتهم على هذه الصورة الرائعة ، ولكن القابض على النار ليس كالقابض على الماء . فقد كانت الأحداث تملى إملاء على الإخوان أن يتحركوا فلم يعد فى قوس الصبر منزع ، يرى هؤلاء المحبون أنه كان من الحكمة إخفاء هذه القوة . إنه اعتراض نظرى ، ولأسباب عديدة :

● **أولا** : كانت فرق الكشافة المدرسية والأهلية نشاطا مشروعا فى مصر . وكان لزاما على الإخوان وهم يربون الروح والجسد معا ، أن يكون هذا الأسلوب من بين برامجها ، وهى هيئة تعمل فى وضح النهار . والكل يعترف أن من بين برامج الكشافة : الرحلات والمعسكرات والتدريبات وكانت كلها نشاطا مشروعا حينذاك ، تتبارى الفرق فى ميادين المنافسة لرفع مستواه . هذا إلى جانب أن الرحلات والمعسكرات والتدريبات كانت كلها تتم فى أماكن مكشوفة لا يمكن إخفاؤها فما المبرر إذن لأن يتخفى الإخوان بهذا النشاط ، والعلل التى

تعللت بها الحكومات فى هذا المجال كانت كلها ذات أثر رجعى ، وهذا أمر غير مشروع . ولقد كانت جوالة الإخوان موضع الإعجاب والتقدير داخل مصر وخارجها ، وأضفت على الدعوة صورة الجدية التى يمارس بها الإخوان جنبات دعوتهم .

● **ثانيا** : الدعوة إلى الله لابد وأن يعلن الناس بها ليعرفوا ويهرعوا إليها وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس فى الأسواق كعكاظ وذى المجنة وغيرهما ويقول : ألا من رجل يحمينى حتى أبلغ دعوة الله . ثم ماذا تفعل الدعوة إذا كانت قد وجدت قبولا وترحابا من الجماهير المسلمة فى كل أنحاء العالم ؟ .. هل تقول للناس .. لا تقبلوا علينا ، لا تسمعوا لنا ، أو اهجرونا مليا ؟ إن الدعاة إلى الله يسعدهم أن يستجيب الناس لندائهم .. ونحن لم نحاول كشف قوة ، أو اعتداد بقوة ولكنها الدعوة وجدت مسارها وأينعت ثمارها بفضل رضاء الله عنها فكان لابد أن تظهر قوتها تلقائيا دون جهد من أبنائها .

● **ثالثا** : نزل اليهود فى فلسطين ومكنهم الإنجليز من رقاب المسلمين هناك وارتكب الصهاينة أبشع صور الجرائم مع الفلسطينيين العزل ، ووقف جميع المسلمين حكاما ومحكومين موقف المتفرج ، اللهم إلا احتجاجات هزيلة جوفاء . يعرفها اليهود قبل أن تعلن على الملأ وزادت هذه الاحتجاجات الواهنة من طمع اليهود فأفحشوا فى المذابح فكان ولابد شرعا وخلقا وعرفا أن يخف الإخوان إلى إنقاذ فلسطين الشهيدة . لما قعد المسلمون جميعا عن القيام بهذا الواجب الكفائى وإلا أثم الجميع ، فالإخوان رفعوا الإثم عن المسلمين رغم موقف وزارة المرحوم « النقراشى » منهم ، وإنزاله إياهم من ميادين الجهاد إلى زنازين الاعتقال !! أى وصف يمكن إسباغه على تصرف النقراشى ؟ أهو ينتصر لليهود ؟ أم هو يكيد للمسلمين وينتقم منهم لمحاربتهم اليهود تخليصا لفلسطين ؟

● **رابعا** : كان من الضروريات التى لا فكاك منها أن يعرف العالم كله ، أن الإسلام لم يعد جثة هامدة كما يشيعون ، وأن من بين أبنائه ، رجالا لا يرضون الذلة والمهانة لدينهم وأنهم فداء له بالروح والمال والأهل والولد .

● **خامسا** : كان لابد من درس ، ودرس قاس يتعلمه اليهود ، حتى لا يظنون أن فلسطين لقمة تبتلع بسهولة وتهضم على مهل .

● **سادسا** : أن الإسلام سواء كان أبناؤه ضعافا أو أقوياء ، لم ينج فترة من تحالف خصومه عليه . وكانت المؤامرات تفشل والكيد يرد إلى النحر وأن المسلمين فى إمكانهم أن يثبتوا فاعلية العقيدة التى فى قلوبهم حتى ولو كانوا ضعافا كما حدث فى الحروب الصليبية ،

والطوفان التتارى ولن ييئسنا ما عليه المسلمون اليوم .

● **سابعا** : فى عمرة الحديبية حض رسول الله ﷺ المسلمين على أن يظهروا بمظهر القوة ، رغم مرضهم الذى كانوا يعانونه ، وقال لهم ما رواه لنا رواة الحديث ( رحم الله امرأ أراهم اليوم القوة من نفسه ) .

● **ثامنا** : فى مثل هذه المواقف المصيرية لابد من إقدام وبسالة ، تعطى الحكومة سندا تقوى به موقفها ضد اليهود ، وبدلا من أن يستغل النقراشى هذه الفرصة التى أتاحها الله عن طريق الإخوان أنكر فضل الله عليه وتنكر للإخوان ودخل فى مفاوضات مع اليهود ، كانت مفتاح المصائب التى توالت بعد ذلك . ولو أن النقراشى ترك الإخوان فى جهادهم المقدس لكان الحال غير الحال .

## إسم الاخوان « لا يتغير »

لقد بذلت محاولات مع الإخوان لتغيير اسم الهيئة وقدموا تعلات جعلت بعض الإخوان يميلون إلى تغيير الإسم ما دامت الوعود تمكنهم من العمل فى سبيل الله كما قيل . ولكن الأغلبية الساحقة رفضت للأسباب الآتية :

● **أولا** : إذا كان هدف الداعية هو تمكين الإخوان من القيام بما يقومون به ، فما الداعى لتغيير الاسم ، وهل التغيير الشكلى مع بقاء المضمون يمكن أن يخدع من يريد المساومة على الاسم ؟ .. إنه خطوة أولى من أعداء الدعوة ، تليها خطوات كما شأن السياسيين الماكرين فى أساليبهم ؟

● **ثانيا** : هذا الاسم مستمد من القرآن ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ فنحن إخوان . ثم ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ ونحن بحمد الله مسلمون ، ومنفذون لأمر الله حيث يقول « وكونوا عباد الله إخوانا » من كل هذا فنحن الإخوان المسلمون .

● **ثالثا** : شاع هذا الاسم فى كل البلاد الإسلامية مقرونا بالثقة والتقدير فقامت فى كل منها شعب الإخوان إيمانا بالوسائل التى رسمها منهج الإخوان . فلو فرضنا أن الإخوان فى مصر رضوا بتغيير الاسم فهل يقر الإخوان فى كل مكان هذا التغيير ؟ .. وإذا لم يرضوا بذلك ألا يقع الشقاق الذى يتمناه أعداؤنا من كل قلوبهم ، لأنهم عجزوا عن تفرقة

الصف من خارج الجماعة ، فوصلوا إليه من داخلها فهل يرضى بذلك مسلم مخلص ؟ .

● **رابعا** : أن الإمام الشهيد ، رائد عملى ممتاز من رواد الحركة الإسلامية فى القرن العشرين وقد بايعه الإخوان على هذا الفهم وخلده التاريخ من بين المنقذين ، ليجددوا للإسلام صفاءه ونقاءه الذى حاول الكثيرون طمس معالمه ، وماهم ببالغين من أمانيهم إلا الحسرة والمرارة ...إن الإخوان بايعوا الإمام الشهيد على أنه المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين ، فكيف يغيرون من بعده،ونكث البيعة ليس من شيم المسلمين ، ثم هل نملك نحن أن نغير وضعه الذى لقى به ربه شهيدا من أجله .

● **خامسا** : أن دعوة الإخوان المسلمين أصبحت مدرسة متميزة عن غيرها من الجماعات الإسلامية تتلمذ فيها وعلى مبادئها كل العاملين للإسلام بشموله .. حتى الذين خرجوا على الإخوان واختاروا لأنفسهم إسما آخر كانوا تلامذة فى هذه المدرسة وحتى بعض الذين خرجوا على الجماعة لا يزالون يسمون أنفسهم بالإخوان المسلمين ، إحساسا بجلال الاسم وروعته . وكل هؤلاء انصرف الناس عنهم فلا هم بقوا فى الصف ولا هم قدموا للناس شيئا جديدا .

● **سادسا** : قامت فى العالم الإسلامى دعوات متعددة فلم تنل واحدة منها من الذيوع والانتشار الفائدة ، ما قدمته دعوة الإخوان المسلمين . وأحس أعداء الإسلام بفاعلية هذه الدعوة فى نفوس المسلمين فقاوموهاوحدهاأشرس مقاومة وسلطوا عليها أصحاب النفوذ الراغبين فى زينة الدنيا وبهجتها وابتليت هذه الجماعة وحدها دون غيرها بما لم يبتل به جماعة إسلامية أخرى ... ورغم كل هذا الهول المريع كان الإخوان يخرجون من كل محنة . أصلب عودا وأقوى تماسكا وأكثر عددا . إن تركيز أعداء الإسلام نقمتهم على الإخوان لأكبر دليل على أن هذه الجماعة هى العقبة الكأداء فى طريق مقاصدهم الشريرة لأنها حققت أن الأسلام قوة وعمل .

لقد كان « حسن البنا » رضوان الله عليه أول من أخرج هذا العلم إلى حيز العمل والتنفيذ فى كل جوانب الحياة فى القرن الأخير من تاريخ الدعوة الأسلامية .

● **سابعا** : هذه الدعوة قدمت المئات من الشهداء وعلى رأسهم قائدها . وكل هؤلاء الشهداء بذلوا حياتهم فى ظل هذا الاسم العلمى العملى الواقعى فمن التنكر غير الكريم لهؤلاء الأبرياء الأبرار الأطهار أن يخلف من بعدهم خلف يرضى لمروءته ورجولته تغيير هذا الاسم الذى أعلى من ذكره وكتبه سلفهم الصالح بدمائهم الذكية أحرفا من عطر ، وإشراقا من ضياء فى دعوة الله .

● **ثامنا** : التميز فى الحقل الإسلامى ركيزة من ركائز الدعوة إلى الله ، وقديما هتف الصحابة ( ياأهل بيعة الرضوان تميزوا ) وكان لهذا النداء بالتميز فضل النصر بفضل الله . فلابد إذن وأن تتميز دعوة الإخوان حتى لا نضيع فى خضم القوالين الأدباء المنمقين الذين يجيدون الكلام ولا يصبرون على الصدام ﴿ **وإن يقولوا تسمع لقولهم** ﴾ وذهب الذين أساءوا وبقى اسم الإخوان وجماعتهم طاهرا نقيا عالى القدر لأنه الحق والحق اسم من أسماء الله الحسنى والحق أحق أن يتبع .

● **تاسعا** : الاسلام شكل ومضمون فأركانه لها ألفاظ معينة ، وصور تؤدى بها ، المضمون هو العبادة لله وحده وإفراده بالاتجاه ، وموضعها القلب وهى وحدها التى عليها الحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين . إذا اقترنت بالشكل الصحيح السليم ، فمن لم يصل بالصورة التى أمرنا بها الله ورسولهﷺ تنكرا لهذه الشكليات فليس بمسلم ، وإن ظل ليله ونهاره يؤديها بصورة غير التى يعرفها المسلمون .. كذلك الإخوان المسلمون اسم دوى فى الآفاق على شكل ومضمون محدد واضح ، وبهذا الفهم تعلقت القلوب بدعوة الإخوان . فكل محاولة لتغيير هذا الاسم تغيير لحقائق ثبتت على الأيام ثبوت الرواسى . ففى تغيير الاسم ضياع للكثير من المفاهيم التى ترسخت عن طريق هذا الاسم العملى فى الحركات الإسلامية . ثم لماذا نغير ؟ أو لسنا إخوة فى الله ؟ أو لسنا مسلمين ؟ فما الذى يضايق فى هذا الاسم الطاهر ؟ أم أن هناك من ينكر أننا مسلمون وأننا إخوة فى هذا الإسلام ؟ لهذا يتمسك الإخوان المسلمون بهذا الاسم ولو نازعتهم الدنيا كلها عليه . إننا لم نقل يوما إننا وحدنا المسلمون وغيرنا ليس بمسلم . ولم نكفر لا بصغيرة ولا بكبيرة ولا نتعالى على التعاون مع كل من يدعو إلى تطبيق شرع الله على عباد الله . فما الدافع الحقيقى فى المطالبة بتغيير هذا الاسم الناصع التاريخ . اللهم إنك تعلم أننا نتمسك بهذا الاسم حبا لك وجهادا فى سبيلك وتآخيا فى دينك . لا نقدس مرشدا ، ولا نعترف بزعيم ، غير نبيك ، فاحفظ علينا إيماننا وثبت الأقدام إن اعتدى علينا ، واكتب لنا النصر والتأييد ، فلا ناصر سواك ، ولا نصر إلا من عندك .

● **عاشرا** : عرف العالم كله متانة الأواصر التى تجمع بين قلوب الإخوان المسلمين وأنهم يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ، وأنهم أشربوا هذه العاطفة فى ظل هذا الاسم الكريم ، فهل بعد فضل الله بهذه الدعوة المستمدة من كتابه عليهم ، وترسيخ هذه المشاعر النبيلة التى يفتقدها الكثيرون ، هل بعد أن اختلط دم الشهيد منهم بدم شهيد إلى جواره فى ميادين الجهاد تحت راية الإخوان المسلمين ؟ هل بعد هذا كله يرضون تغيير أسمى وأنبل ما يوصفون به فى هذه الحياة ؟ ..

## ما عيب هذا الأسم !؟

● **أحد عشر** : هذا التاريخ الطويل المجيد الذى أرغم الكل على الاعتراف ببطولة الإخوان ورجولتهم وتضحيتهم فى سبيل دعوتهم ، وبدمائهم الطاهرة التى روت أرض فلسطين السليبة ، الشاهد على فعالية العقيدة الإسلامية وتفاعلها مع نبضات القلوب وهذه المواقف الرائعة على ضفاف القناة هل يجمل بنا أن ننسى الاسم الذى حملناه طوال سنوات الجهاد ؟ ..

● **ثانى عشر** : ما عيب هذا الأسم ؟ ألأنه يفزع بعض القلوب المتأرجحة ؟ لا داعى لذلك ، لأن التصريحات الرسمية من المسؤولين تتوالى هذه الأيام ، بأن الإخوان بعيدون عن العنف والإرهاب .. وإن أخطأ واحد أو أكثر ينسحب هذا على الجماعة كلها !! .. يا له من تعسف ! .. ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ أو ليس فى جميع الأسر والمجتمعات والشعوب محسن ومسيء ؟ .. فلماذا هذا الإصرار على تحميل الجماعة كلها أخطاء بعض أفرادها ؟ ..

● **ثالث عشر** : ما عيب هذا الاسم ؟ .. ألأنه دليل الحيوية والتضحية والفداء ؟ .. ألأنه لفت أنظار العالم الإسلامى إلى حقائق فى دينه كادت تتوارى لطول انصرافهم عنها ؟ .. ألأنه جمع شباب الجامعات والمدارس الثانوية على التوحيد فى سبيل هذا الدين ؟ ! ..

● **رابع عشر** : إن الناس يعتزون بطيب أصلهم وجلال أرومتهم ، فهل نتبرأ من أننا سلفيون ننتسب إلى السلف الصالح ؟ هل نغير اسما نمّى فى قلوب الشباب معنى الجهاد فى سبيل الله ؟ ! ..

● **خامس عشر** : قدم الإخوان منهجا إصلاحيا جليلا ، يقوم على أصول من الكتاب والسنة . يدعو إلى وحدة الأمة الإسلامية تحت راية الخلافة العتيدة فكل من ينكر أو يرضى بتغيير هذا الاسم فهو غير راض عن المنهج نفسه فكيف نستمع له ؟ أو نرضى عنه ؟ وكيف نجرؤ نحن على هده الفعلة الخسيسة ؟

● **سادس عشر** : إذا كان خصوم الإسلام يلحون على تغيير الاسم فلابد أن يكون لهم من وراء ذلك هدف ليس فيه خير للمسلمين فهل تبلغ بنا البلاهة والغفلة أن نحقق لهم

أهدافهم وبهذه البساطة ؟ ما أغبانا وأتعسنا وأشقانا إذا استجبنا لهم .

● **سابع عشر** : من أهم أسباب نجاح الجماعات الثقة الكاملة فى صلاحيتها المستمدة من اسمها . وهذه الثقة لا تتأكد إلا إذا تمسك بها دعاة الجماعة شكلا وموضوعا . فهل ضعفت ثقتنا فى هذه الجماعة ومنهاجها حتى نقبل الكلام فى تغيير اسمها وبلا مبرر معقول ؟ !

● **ثامن عشر** : كل الأحزاب المصرية بل وبعض الجماعات الإسلامية ، هاجمت الإخوان المسلمين ونالت منهم بالباطل . وهى تظن أن هذا الهجوم سيؤثر على الجماعة فأعطتهم الدرس الكريم بالإعراض عن الرد عليهم . وعدم مقابلة السيئة بالسيئة ، تجنبا لتوسعه شقة الخلاف بين المسلمين فكان درس الصفح والتسامح بليغا، بهذا عرف اسم الجماعة ، تجمع ولا تفرق ، وتسامح ولا تثأر ، وتمضى فى طريقها قائلة للجميع سلام عليكم ، ليس لدينا من الفراغ ما يمكننا من الاهتمام بهذه الجوانب الفرعية .

● **تاسع عشر** : ثم هبنا بعد ذلك كله غيرنا اسمنا فهل نجد من يصدقنا بأننا لسنا نحن الإخوان المسلمين .

وقد حاول الكثيرون ممن خرجوا على الجماعة التبرؤ من هذا الاسم ، فلم يك هذا لينفعهم عند من أرغموهم على التغيير . ولم يصدقوهم . فخسروا شرف انتسابهم للجماعة . ثم لم يحصلوا على ثقة من تزلفوا إليهم لينجوا من تعقبهم . وهكذا سواء علينا أغيرنا الاسم أو لم نغيره ، فسنظل عند جميع الناس . أننا الإخوان المسلمون . فما بالنا نلح فيما لا طائل من ورائه ، ولا يدفع عنا ضرا . ولا يحقق نفعا . أليس من الأفضل والأكرم أن نظل الإخوان المسلمين ، لا تعنتا ولا تعصبا ، ولكن احتراما لأنفسنا ، وحفاظا على تراثنا ، وإلا صرنا كالورثة السفهاء الذين يضيعون كل ما بناه الآباء والأجداد .

* * *

# الحلقـــــة
# الثامنـــــــة عشـــرة

- حـادث المنشـــية مســرحية اعدها عبد الناصـــر لتصفية الإخـــوان .
- الهضيبى قـال ليوسف طلعــت : أنا برىء من كــل دمـاء الاغتيالات .
- الذى أطلــق النار علــى عبـد الناصــر حــى يُـرزق ويتمتع بمركز مرموق .

« الرصاصات التى انطلقت صوب « جمال عبد الناصر » يـــوم ٢٦ أكتـوبـر ١٩٥٤ ، وهو يلقى خطابا حماسيا وسط جماهيره فى الذكرى الثانية لانقلاب ٢٣ يوليو ( تموز ) حسمت الكثير من القضايا السياسية ــ التى كان من المفروض أن تكون ضده ــ لصالحه . فازمة مارس ( آزار ) ٥٤ ، لم تكن قد أغلقت ملفاتها بعد جماهيريا ، حيث أن الشارع المصرى لا يستطيع التخلى عن مشاعره بسهولة تجاه زعيم أحبه ، ولم تبدر منه إساءة ملموسة تجاه الوطن والشعب ، وذلك كان موقفه من « محمد نجيب » الذى كرس نفسه طوال فترة رئاسته لكسب ود جماهير الشارع المصرى ، فارتبط فى أذهانها بصورة « الأب الطيب » لذلك لم يكن هناك من طريق يثير نخوة الشارع المصرى أفضل من أن يرى زعيم ثورته ، تمتد الأيدى لاغتياله وهو فى حماية جماهيره ، فيقف صارخا وسط الرصاص المنهمر من حوله : « فليبق كل فى مكانه .. وإذا مات جمال عبد الناصر فكلكم جمال عبد الناصر ! » .

هذا المشهد الأسطورى الذى لم يألفه الشعب المصرى من قبل . كان بداية صعود نجم عبد الناصر ، وأفول نجم العديد من القوى السياسية المناوئة له .

إلا أن هذا الحدث ، كان بداية أكبر كارثة تحيق بالإخوان المسلمين منذ تأسيس جماعتهم ، وتصفية زعيمهم ــ حسن البنا ــ جسديا .

**البعض قال : إن هذه الرصاصات دبرها عبد الناصر للتخلص من غريمه القوى فى الساحة السياسية ، وهو « جماعة الإخوان المسلمين » .**

**والإخوان قالوا : ليس لنا علاقة بعملية الاغتيال من أساسها ، وأنها إما عمل ملفق وإما عمل فردى .**

**والأجهزة الرسمية أعلنت : أن التنظيم السرى للإخوان المسلمين هو المدبر للحادث .**

**وتشكل ما عرف بـ « محكمة الشعب » ، ونصبت المشانق ، وامتلأت المعتقلات .**

**والسؤال الحائر إلى اليوم : لحساب من أطلق « محمود عبد اللطيف » رصاصات مسدسه على جمال عبد الناصر ؟؟**

**ألحساب الإخوان و « النظام الخاص» ؟ أم لحساب جمال عبد الناصر ؟ .. أم لحساب أعداء الإخوان والإسلام فى الخارج ؟ !!**

**يفتح الأستاذ « عمر التلمسانى » المرشد العام للإخوان المسلمين ملف « حادث المنشية »، ويدلى بشهادته التاريخية حوله .. فيقول :**

أعود إلى صلة الإخوان بعبد الناصر ، وحادث المنشية ، أو التمثيلية النادرة التى اتخذ منها جمال عبد الناصر ، بعد فشله فى المؤامرة الأولى الخاصة بالسفارة البريطانية ، تكئة ليبطش بالإخوان ، ونحن أبرأ ما نكون من تلك المؤامرة المفتعلة بالأدلة الدامغة :

## حادث مدبر

● **أولا** : شهادة « محمد نجيب » الذى أقسم بشرفه العسكرى أن حادث المنشية مفتعل .

● **ثانيا** : شهادة السيد « محمد حسن التهامى » التى نشرتها مجلة « روز اليوسف » يوم الأثنين أول مايو ( آيار ) ١٩٧٨ ، وفيها ستجد أن مخرج هذه التمثيلية رجل أمريكى من المخابرات الأمريكية .

ويشهد السيد « حسين الشافعى » والمرحوم «أنور السادات» أن عبد الناصر ما كان يطلع زملاءه على تخطيطه. ويثبت ذلك فى كتاب السيد «عبد اللطيف بغدادى» (الصامتون يتكلمون). ولقد

كان السيد «حسين الشافعي» أمينا فى قوله: «الحقائق التى رآها الناس تثبت أن الإخوان المسلمين أطلقوا الرصاص على جمال عبد الناصر كما رآها عامة الناس، أطلقت رصاصات على جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية الفسيح، وقالت وسائل الإعلام إن الإخوان هم الذين أطلقوا الرصاص.

وهذا القول من السيد « حسين الشافعى » بهذا الوضوح يؤكد ما قاله السيد « عبد اللطيف بغدادى » من أن جمال عبد الناصر لم يطلعهم على شىء من تخطيطه .

● **ثالثا** : عندما علم فضيلة المرشد أن بعض شباب الإخوان كانوا يذهبون إلى الاحتفالات التى يحضرها عبد الناصر كنوع من التدريب ، طلب المرشد على الفور الشهيد يوسف طلعت رئيس النظام الخاص ، ولامه على ذلك لوما شديدا ، وقال له : « أنا ضد هذه التدريبات ، وضد فكرة الاغتيالات مهما كانت الأسباب وإنى لا أضمن الاندفاع والتهور ، وأنا برىء من كل دم يسفك » . وهذا ثابت فى التحقيقات .

● **رابعا** : لماذ نرسل الشهيد محمود عبد اللطيف إلى الإسكندرية ، وهو غير عليم بطرقاتها، والاحتفالات فى القاهرة كثيرة ، والفرص فيها أوسع ؟

● **خامسا** : كيف تدبر حادثة كهذه ، دون أن نرسل مع الفاعل ، رديفا يحمى ظهره أو يكمل عمله .

● **سادسا** : كيف يذهب إلى الإسكندرية دون علم الجهاز الخاص هناك، والذى زعموا أن عنده من الأسلحة والذخائر الشىء الكثير ، أو كما زعموا أن تشكيل الإسكندرية يستطيع احتلال ثكنات الجيش والاستيلاء على الأسطول .

● **سابعا** : أما كان من الأيسر أن يكلف بهذه المهمة جهاز الإسكندرية وهى بلده ، ويعلم كيف يسير فيها وينجو ممن يتعقبه ؟

● **ثامنا** : عندما أحضروا « الصديرى » الواقى لعبد الناصر فى صبيحة اليوم التالى للحادث خشية أن يعتدى عليه أثناء عودته للقاهرة ، ضحك وقال : « انتهى كل شىء » . كما أنه لم يكن وقتها فى الجو مايدعو إلى اغتيال جمال عبد الناصر .

● **تاسعا** : لما اعتدى بعض أتباع عبد الرحمن السندى على بيت المرشد لإرغامه على الاستقالة ، أرسل الإخوان الشهيد محمد فرغلى والأستاذ سعيد رمضان ، يرجوان جمال أن يسمح للصحف بنشر بيان إخوانى عن هذا الحادث فوافق .

إذن فقد كان الجو صافيا ، ليس فيه ما يدعو إلى الاغتيال ، إذ لم يكن هناك صراع . وكان ذلك قبل يوم حادث المنشية بأيام قليلة .

## قصة النوبى آدم

● **عاشرا** : ذلك النوبى « آدم » الذى جاء من الإسكندرية ماشيا على قضبان السكة الحديد ليسلم مسدس الحادث بنفسه ، لأنه هو الذى عثر عليه إلى جمال عبد الناصر يدا بيد . والذى أعطاه جمال مائة جنيه . ألا تضحك من هذا الهراء الهزيل .. كيف ترك القابضون على الفاعل مكان الحادث دون البحث عن السلاح المستعمل فى الجريمة ؟ !

● **أحد عشر** : لم يثبت وكيل النيابة الذى حقق فى حادث الإسكندرية أية آثار للرصاصات الثمانى التى أطلقت فى الحائط ، لا على الحائط ولا الشرفة ولا حولها .

● **ثانى عشر** : ما أصاب الوزير السودانى والمحامى « بدر » كان من أثر الزجاج المتطاير من الشرفة عندما تكاثروا عليه لينفذ كل واحد بجلده .

● **ثالث عشر** : ثابت فى أوراق تحقيق تلك القضية أن « محمود الحواتكى » عندما علم بأن « هنداوى دوير » يبحث عن مسدس ، ذهب إليه ، وقال له هناك تعليمات من المرشد مشددة بعدم الاغتيالات ، فلماذا تطلب مسدسا ، قال للتمرين ، قال هذا شأنك ، ورفض أن يعطيه مسدسا .

● **رابع عشر** : عندما أطلقت الرصاصات الثمانى فى الهواء الطلق من شخص لا يزال على قيد الحياة ومتمتع بمنصب مرموق وصاح شخص ( موش ده اللى ضرب ) ، اختفى هذا الصائح ولم يعرف مكانه حتى الآن ، لتضيع معالم المؤامرة .

● **خامس عشر** : ما الذى كسر القلم الحبر الأحمر الذى كان فى جيب « جمال » على صدره ، ليبدو أمام الناظرين وكأن دما يسيل من صدره ، مع أن الرصاص لم يصب جمال ؟ مجرد سؤال .

● **سادس عشر**: عندما أعدم « هنداوى دوير » نقل الحاضرون التنفيذ أنه قال :

« إذن تمت المهزلة على رأسى » ! .

● **سابع عشر** : حادث اعتداء على رئيس انقلاب عسكرى ، يتم دون أن يعرف المسؤولون عنه شيئا ، دون أن يتخذ الإخوان أية احتياطات وقائية ، لما قد يترتب على هذا الاعتداء . وقد ثبت فى التحقيق أن الشهيد « يوسف طلعت » رئيس النظام الخاص ، والشهيد « ابراهيم الطيب » رئيس نظام القاهرة ، لا يعلمان شيئا عن هذا الحادث ، ولم يعلما به إلا من الإذاعة .

● **ثامن عشر** : المعاملة الممتازة التى كان يعامل بها « هنداوى دوير » دون غيره من المساقين ظلما إلى هذا الاتهام الباطل ، لها دلالتها بشكل واضح على تلفيق هذه القضية التى اختلقوها ، ليقيموا على أساسها شعبية لعبد الناصر ، لأن طبيعة الشعب المصرى تحنو دائما على كل من يتعدى عليه أو يظلم فى موقف من المواقف .

هذه هى إسطورة حادث المنشية .

## عداؤنا للانجليز

إن الانجليز أشد الناس نقمة على الإخوان ، والإخوان المسلمون يبادلونهم هذا الإحساس . وليس ذلك من قبيل العواطف وتقلباتها، ولكن الأسباب المؤثرة فى حياة الشعوب ، هى التى دعت لقيام هذا الجفاء بين الإخوان والإنجليز ، وإذا أراد الإخوان أن يستعينوا بأحد ضد حركة الانقلاب ، فالإنجليز آخر من يفكر الإخوان فى الاستعانة بهم ، أو أنهم لا يفكرون فى ذلك على الإطلاق للعديد من الأسباب .. منها :

١ ــ هم الذين استعمروا مصر قرابة السبعين عاما ، فأفسدوا فيها كل مظاهرالإسلام ، مما أدى إلى ضعف الناحية الدينية فى مصر ، لولا أن الله بعث لمصر جماعة الإخوان المسلمين ، وأنقذوها من الهاوية السحيقة ، التى كانوا يحفرونها تحت أقدام المسلمين ، وهم عنها فى غفلة واسترخاء .

٢ ــ هم أصحاب وعد بلفور الذى جعل من فلسطين وطنا قوميا لليهود ، مع أن أرجاء العالم كان فيها من الأماكن ما يصلح لهذا الغرض ، لولا أن النية أصلا عندهم كانت مبيتة على التخلص من الإسلام والمسلمين .

٣ ــ هم الذين جردوا أهل فلسطين من كل سلاح ، وأغدقوه على اليهود فقاموا بالمجازر الوحشية ضد المسلمين من أهل فلسطين كمذبحة دير ياسين وغيرها ، وورثهم فى هذا

التخطيط الامريكان ﴿ **إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ .. وها هى كما نراها لم تكن إلا عاصفة فى « كستبان » ، أو فقاعة هوائية لا تصبر حتى على نسمات الصباح .

## إقتراح حل التنظيم السرى

كان المرحوم الشهيد « ابراهيم الطيب » محاميا ، دمث الأخلاق طيب السريرة ، مخلصا لدينه . ولئن كان مسؤولا عن تنظيم القاهرة ، فهو النظام الذى سبقت الإشارة إليه من أن الإخوان ما أقاموه إلا لإخراج الانجليز من مصر ، واليهود من فلسطين ، وهما هدفان من أسمى وأنبل ما يسعى لتحقيقه كل محب لدينه ووطنه . إن ما أعرفه عن الشهيد « ابراهيم الطيب » أنه ما كان ليفكر فى يوم لارتكاب جريمة أو اغتيال ، ولكنه قدره هو الذى ساقه إلى هذه المأساة التى حاك خيوطها عبد الناصر ومن حوله . والله وحده هو الذى يقضى بينهما .

أما المرحوم « هنداوى دوير » فكان شابا مغامرا ، ثائر الأعصاب ، سريع التأثر ، بما يسمع ، وهناك شائعات كثيرة حول من ورطوه فى هذه المغامرة ، وكان بعض هؤلاء له مكانه فى الإخوان تمكنه من التأثير على هنداوى دوير ، وإقناعه بأن الأمر يهم قيادة الإخوان ، مع أخذ المواثيق عليه ، أن يجعل الأمر سرا بينهما . ومن رأى هنداوى دوير مع ذلك الإنسان يدخلان منزل عبد الناصر قبل حادث المنشية بيوم واحد ، لا يزال حيا ،وإن كان المرض قد جعله يلزم منزله . ولو كانت الأدلة فى يدى لذكرت الأسماء ، ولكننى لا أتهم بلا دليل ، ولا أسير وراء شائعة .

ويتساءل بعض الناس عن السبب الذى دعا الشهيد « عبد القادر عودة » إلى إرسال رسالة إلى عبد الناصر يقترح فيها حل النظام الخاص ، وتسليم أسلحته .. من جانبى لم أطلع على هذه الرسالة ، ولم أعلم عنها شيئا إلا ما سمعته من الإذاعات كما سمعه غيرى ، ولئن كانت هناك رسالة حقا بهذا المعنى ، فأكبر الظن عندى أنها أرسلت إظهارا لحسن النية من جانب الإخوان ، وإرضاء عبد الناصر بكل ما يطلبه من الإخوان إطمئنانا على حياته ، ومن يدرى كيف كتب هذه الرسالة وتحت أى ظروف ، وملابسات ظن الشهيد عبد القادر عودة أنها تؤدى إلى الهدوء وتنقية الجو مما علاه من تراب .

## عبد الناصر والتعذيب

إن الأدلة قاطعة فى إثبات علم عبد الناصر بكل ما كان يحدث فى السجن الحربى من تعذيب وإيذاء ، ذلك أن له من العيون ما هو فوق عيون المباحث والمخابرات ، وهذه العيون كانت تنقل إليه كل صغيرة وكبيرة ونكتة فى مصر من أقصاها إلى أقصاها .

هذا إلى ما كان يحدث فى السجن الحربى كان يشهده أحمد أنور رئيس البوليس الحربى ، وعبد الحكيم عامر الذى زار السجن الحربى فى ذلك الوقت عدة مرات . ولم ننس أن أحمد أنور قال مرة لحمزة البسيونى مدير السجن الحربى على مرأى ومسمع من ألاف الإخوان والضباط والجنود : « أيوه يا حمزة هبلة ومسكوها طبلة !» ، فرد حمزة البسيونى فى أدب وخضوع ( أيوه يا فنـــدم ) . . يضاف إلى ذلك أن ما حدث فى السجـــن الحربى ما كان يقصد به التعذيب فقط ، ولكن كان فيه من الإذلال الشيء الكثير . وفكرة الأذلال لا ترد على بال القائمين بالتعذيب ، لأنهم لا يهمهم إلا المبالغة فى الإيذاء والتنكيل . أما الأذلال فكان وليد فكرة فى رأس إنسان ، ذاق مرارة الذل ، فأراد الانتقام لنفسه ، من كل عزيز كريم ، عندما واتته السلطة المطلقة ، مما كان يبعث فى نفسه الارتياح إذ ينتقم ممن كانوا يظنون بالأمس أنهم سادة كبراء .

ولست أقطع أهى عقدة التعويض ، أو أى معنى آخر يعف عن كتابته قلمى .

إذا نظرنا إلى عبد الناصر كحاكم يجب أن يعرف ما يحدث فى البلد الذى يحكمه ، فلا يمكن القول بأنه لم يكن يعلم بما يحدث فى السجن الحربى ، وإلا لم يكن « عبد الناصر » .

هذا مع العلم بأن ما كان يفعله الضباط من تعذيب الإخوان ، جريمة لا تخفى عواقبها على أمثالهم ، فلو لم يكن تحت أيديهم من الوعود والمواثيق ما يكف عنهم المسؤولية لما أقدموا عليها وهذه الوعود و المواثيق لا يؤخذ بها إلا إذا كانت صادرة من عبد الناصر نفسه . وإذا قلنا إنها من باب إتقان المهمة ، فمن الذى كان يعنيه أن يعرف أنهم أتقنوا مهمتهم أليس من بيده المكافآت والترقيات ، وهل تتم من غير علمه . هذا إلى جانب أنه كانت هناك حوافز مالية تسمى « بدلات تعذيب » من الذى كان يصرفها ؟ !

وتحت أى بند من بنود ميزانيات الجيش كانت تدرج ؟ !

إن علم جمال عبد الناصر بكل ألوان التعذيب أمر مقطوع به ، لأن الخاص والعام فى مصر كان يعرف ما يحدث فى السجن الحربى ، حتى غدا اسمه هولا ورعبا فى قلوب المصريين جميعا حتى المقربين منه . فقد نكل بكل من تعاون معه فى هذا الانقلاب . فكيف إذن لا يعلم عبد الناصر بهذه الإجراءات ، خاصا بعدما اذيع أن الاشرطة كانت تنقل إليه أولا بأول يستعرضها فى صالون منزله مع زواره .

## محاكمة الإخوان باطلة

أول بطلان قانونى فى محاكمة الإخوان ، وصف التهمة بأنها « قلب نظام الحكم » أى أن المجنى عليهم هم رجال الحكم ، ومن بينهم أعضاء المحكمة التى حاكمت الإخوان ،

والمتهم فى هذه الجريمة هم الإخوان . فهل يجوز فى عرف أو قانون وضعى أو سماوى أن يحاكم المجنى عليه الجانى ؟ ! .. الجواب معروف بلا شك . هذا إلى أن الاعترافات التى تقدم لأية سلطة قضائية فى العالم ، يشترط فيها أن تكون عن رضاء وفى ظروف عادية .

وكان الإخوان يقدمون إلى هذه المحاكمة باعترافاتهم ، وكلهم مشخنون بالجراح ، وعلامات التعذيب . ثم يحكم عليهم باعترافاتهم المزعومة . وياليت الأمر وقف عند هذا الحد . بل إن الأخ الذى كان ينكر الاعترافات المقدمة للمحكمة ، كان يعاد إلى السجن الحربى لينظر فى أمره ، ثم يجىء وقد أيقن بأن المستجير بالمحكمة من معذبيه ، كالمستجير من الرمضاء بالنار .

وكان جمال سالم هو الذى يقوم بالسخرية والإهانات ، أما العضوان الآخران ، فقد ظلا طوال المحاكمة صامتين .

وقد انتهى الأمر بجمال سالم إلى خلع بذلته العسكرية وارتدى الجلباب الأبيض والعباءة البنية اللون ، وكان يقضى أغلب ساعات النهار فى مسجد السيدة زينب .

هل ندم وعلى أى شىء ؟ وهل تاب من أى شىء ؟ ألا إن رحمة الله واسعة ، ولن تضيق بمن يلجأ إليه ، مهما كانت جرائمه وإن من أكبر الذنوب عند الله ، من يستعظم جريمته على عفو الله .

أما تقييمى لرئيس تلك المحكمة ، فيقف عند قول رسول الله ﷺ ( أذكروا محاسن موتاكم ) .

فلندعهم جميعا إلى الله ، فهو أعدل العادلين .

* * *

# الحلقـــــة
# التاســعة عشــــــرة

- أصبحـــت المرشـــد الثالث للإخوان بالصدفـة لأنى الأكـبر سـناً .
- أنا على اتصال دائم بأجهزة الداخليـــة لمساعدتها فى ترسيخ الأمن .
- عارضنا كامب ديفيد ووقفنا فى وجـه التطبيع مـــع إسـرائيل .

**أبرز ما فى شخصية « عمر التلمسانى » أنها شخصية غير تصادمية .. وهو يبدى هنا استعداده لأن يجوب الأرض من أقصاها إلى أقصاها ، ليؤكد للبشر جميعا أن الإخوان المسلمين ليسوا إرهابيين أو متخلفين ، وليسوا دعاة شر وأحقاد ، إنما هم قوم مسالمون ، عاشقون للخير .. لا يبتغون حكما ولا زعامة ولا سلطانا . لكنه ـــ فى داخله ـــ يختزن كما هائلا من الصلابة والعناد ، يدخرها للحظات المواجهة مع خصومه السياسيين . وراء طفولة ملامحه ينتصب رجل قوى ، لا يعرف المهادنة فى الحق ، أو التنازلات فى العقيدة .**

**كيف أصبح « عمر التلمسانى » مرشدا ثالثا للإخوان المسلمين ؟ !**

**ومن الذى اختاره ؟ .. ولماذا هو بالذات الذى احتل هذه المكانة الرفيعة فى التكوين الهرمى لجماعة الإخوان المسلمين ؟ !**

**فى هذه الحلقة من مذكراته ، يناقش الأستاذ « عمر التلمسانى » هذه القضية .. فيقول :**

انتقل الأستاذ « الهضيبى » المرشد الثانى للإخوان المسلمين إلى رحاب الله ، بعد أن أدى دوره فى قيادة الإخوان المسلمين على أحسن وأفضل ما يؤديه مسؤول مسلم فى هذه

الحياة .. أمانة وتضحية ووفاء وصبرا واحتمالا واحتسابا . رحمه الله رحمة واسعة ، وأنزله منازل الأبرار والشهداء ، دون أن تلحق بصحائفه البيضاء أية شائبة يمكن أن تشوب إخلاص تلك الشخصية الرائعة فى ميادين الجهاد الإسلامى .

يقول رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع ما معناه إن حرمة المؤمن الكاملة ، أعز عند الله من حرمة الكعبة والبيت الحرام ، والإخوان حريصون على التزام أوامر نبيهم ﷺ . فكانت حرمة كل مسلم عندهم أسمى من أن تمس بأى أذى من جانبهم ، فنحاهم الله من الإرهاب والعنف ، لأنهم سلفيون بحق ، والسلف لا يبيحون دم مسلم وإن سرق وإن شرب الخمر ، ولكن فهمهم لحقيقة دينهم بأنه دين ودولة أثار عليهم أعداء الدين ، فراحوا يرمونهم بكل نقيصة يمكن أن تخطر فى بال ، وتحت أيديهم أقوى وأعتى أجهزة الإعلام فى العالم .

## مبدأ اختيار المرشد

فلما انتقل مرشدهم الهضيبى إلى رحمة الله ، وجماعتهم غير قائمة قانونا ، جمعوا بين التزام القانون والتمسك بعقيدتهم ، فهداهم تفكيرهم وعلمهم بقانونهم الأساسى ، أن يعتبروا أكبر أعضاء مكتب الإرشاد سنا مرجعا لهم فى كل أمورهم العامة والخاصة ، دون أن يكون هناك تنظيم . وشاء الله أن أكون أكبر أعضاء مكتب الإرشاد فى هذا الزمان ، فكنت مرجعهم الأدبى والمعنوى ، دون أن يكون هناك أى تنظيم لا ترضاه الجهات المسؤولة عن الأمن فى مصر . بل إن المسؤولين فى مصر جميعا اعترفوا بهذا الوضع ، واعتبرونى مسؤولا عن الإخوان المسلمين ، يقابلوننى ويتحدثون معى بهذه الصفة ، وما من شك لو أنهم أيقنوا أن هناك تنظيما لقدمونا جميعا إلى المحاكمة فورا . ولا تزال صحافتهم والمسؤولون فيهم يتكلمون فى المواقف عن الإخوان باعتبار أنهم موجودون فى الساحة المصرية على مختلف ضروبها ويتكلمون معى على هذا الاساس .

وقبلت الوضع ، وقمت به ، وساهمت فى الكثير من المواقف التى كانت تحتاج الحكومات إلى معونة الإخوان المسلمين فيها . والبداهة تقضى بأنه اعتراف ضمنى من الحكومات بوجود الإخوان على الساحة ، رغم الأمر بحل جماعتهم . وكنت على شبه اتصال دائم برجال الأمن فى وزارة الداخلية أقدم كل ما يسهم فى ترسيخ الأمن فى مصر .

وما كنت أجعل أحدا فيهم صغيرا أو كبيرا يحضر إلى ، وأكتفى بأن يتصلوا بى تليفونيا لأذهب إليهم فى الوزارة اللهم إلا فى بعض المناسبات الصحية أو الأعياد ، فكانوا يزوروننى مشكورين . وكان من فضل الله على أننى ما ذهبت إلى كلية ثائرة لأمر من الأمور ، إلا وعدت موفقا ، وكان جهدى موضع شكر المسؤولين فى وزارة الداخلية . ولعل أحدا لم ينس

موقفى من أحداث الزاوية الحمراء ، وما تفضل به الوزير السابق للداخلية حسن أبو باشا من تصريحات خاصة بى ، وبأن الإخوان المسلمين أبعد ما يكونون عن الإرهاب والتخريب .. وأن الجماعات الإرهابية لم تخرج من تحت عباءة الإخوان المسلمين ، فكان أول مسؤول عن الأمن أفضى بهذه الحقيقة التى طالما شوهتها إذاعات خصوم الإخوان .

وقد أخذت على نفسى يوم أن كنت أكتب إفتتاحيات مجلة الدعوة بألا أمس أى إنسان من ناحيته الشخصية ، وكنت ألتزم الموضوعية البحتة ، وأدعوا إلى ضبط الأعصاب عند الأحداث المثيرة ، حتى قال لى أحد المعتقلين من أحد الأحزاب فى سبتمبر ( أيلول ) ١٩٨١ إننى جمدت أعصاب الشباب ووضعتها فى ثلاجة ، ولست أدرى أكان يمدح أو يقدح ، وعلى كل حال فقد شكرت له قوله إننى صاحب تأثير . ورغم ذلك فإننى لم أنج من غمزات بعض الكتاب ــ ولكن على خفيف ــ وإنصافا للسادات رحمنى ورحمه الله وغفر لى وله ، أنه أتاح للإخوان جوا من الحرية لا بأس به ، فأعدنا إصدار مجلة الدعوة ، وكنا نقيم الاحتفالات فى المناسبات الدينية فى شتى أرجاء القطر .

## حاولوا تكفيرنا

وفى حياة فضيلة الأستاذ الهضيبى وبعد وفاته ، كانت بعض الجماعات الإسلامية تهاجم الإخوان فى عنف ، بل لعلها قصرت كل نشاطها على النيل من الإخوان ، بتهمة إياهم بالتخلى عن الجهاد واقتصارهم على المصحف ! ، وإذا شكا إلى بعض الإخوان قسوة هذا الهجوم ، كان جوابى أننا نحمد الله على أنهم أنصفونا باقتصارنا على المصحف ، وفى المصحف الدين والدولة ، والسلام والجهاد . إنها ليست تهمة لو كانوا يفقهون . وأنها كما قيل تهم لا ندعيها ولا ننكرها . والفضل ما شهد به ناقدوك . ومع هذا كان محامو الإخوان المسلمين هم الذين يترافعون عنهم فى قضاياهم ، رغم اتهامهم للإخوان بالكفر والقعود عن الجهاد .

إننا أصحاب هدف نسعى إليه ، فلا نقيم وزنا للأشواك التى تعلق بثيابنا أثناء المسيرة ، ولا بالصخور التى توضع فى طريقنا فى السير إلى صاحب العزة والجلال . والذى عاش مع تلك الجماعات يشعر تماما ، بأنها ما قامت أو أقيمت إلا لمهاجمة الإخوان المسلمين .

بعد الإغراء والإرهاب والهجوم من غير المسلمين ، لم يبق إلا أن تقام جماعات بأسماء إسلامية ، وتبدو الصورة فى شكل جديد .. مسلمون يهاجمون مسلمين ، والعدو يتربص بالاثنين . وقد صرفنا الله عن الرد أو التنابذ حتى انتهى أمر أكثر تلك الجماعات إلى الزوال أو خروج بعض أعضائها منها ليهاجموها بدورهم .. وهكذا يلبس كل إنسان من صندوق

ملابسه .

فى هذا الوقت انتشرت دعوة الإخوان المسلمين خارج مصر بشكل واسع دقيق وكانوا يدعوننى لحضور مؤتمراتهم فى أوربا وأمريكا وآسيا ، وكان يصحبنى الأخ الفاضل « ابراهيم شرف » كمعين لى على متاعب السفر التى لا تقوى عليها صحتى ، ويعجزنى عنها الهرم . وكانت لقاءات موفقة ؟ أحس فيها بعمق الدعوة فى نفوس الشباب وحبهم الواسع الكريم لإخوانهم فى مصر .

وكانت هذه المؤتمرات تضم الآلاف من جميع أنحاء الأرض . وبهذا تزداد الروابط توثيقا بين المسلمين فى كل مكان .

## مجلة بلا مرتجع

وكانت مجلة الدعوة واسطة عقد تلك الاتصالات والتعارف . وكانت الاشتراكات فيها ترد من النرويج والسويد وكندا واستراليا واليابان ، ومن كل مكان . لم يكن العاملون فى مجلة الدعوة فنيين ولاصحفيين متخصصين ، بل كانت تقوم على أكتاف شباب كلية الإعلام المتخرجين فيها والذين لا يزالون فى دور الطلبة .

وكنا نجتمع كل مساء يوم أحد لنراجع العدد الماضى وما فيه من أخطاء وتقصير ، وما ينقصه من أبواب وتجديد ، ومع ذلك فقد انفردت بأنها المجلة التى لا مرتجع لها ، إلا بفعل عوامل لم تكن تخفى علينا ، وحتى هذا المرتجع كان ضئيلا لا يقام له وزن . ومرت الفترة من تاريخ خروجنا من المعتقل إلى ما قبيل ٣ سبتمبر ( أيلول ) ١٩٨١ فيما يشبه الهدوء ، وإن كانت وزارة الداخلية تعترض بعض الأحيان على بعض الموضوعات .

وكان مراسلوا الصحف فى المنطقة العربية والإسلامية ، وفى جميع أنحاء العالم ، يهرعون إلى المجلة لإجراء أحاديث معها ، بعضها صحفية ، وبعضها إذاعية ، والبعض الآخر تليفزيونية . والظاهرة العجيبة فى كل تلك الأحاديث ، أن المراسلين كانوا يحاصروننى بأسئلة دقيقة رغبة منهم فى أن يحصلوا منى على انتقاد أو هجوم على الحكومات القائمة ، وكنت أفسد عليهم كل هذه المحاولات بإجابات أعرف أنها لا ترضيهم ، ولكنها لا توقعنى فى حرج مع أحد .

حتى قال لى أحد المراسلين فى لندن : إنك تتهرب من الإجابة عن أسئلة واضحة . فكان جوابى إن التهرب ليس من خلقى ، ولكن طباعى تأبى على أن أنقد حكومتى خارج وطنى ، فإذا كان لى ما آخذه على حكومة من الحكومات ، فلأوجهه إليها مباشرة داخل مصر ، ولا أشنع عليها فى الخارج وهو مبدأ وليس سياسة كما يظنون . إن بعض الذين لا

يعرفون للقيم الأخلاقية قدرها ، قديرون فى هذا اللون من التصرف مع الناس ، مجاملة ، ولكن المجاملة عندى تقف عند الجهد بكلمة الحق ، أيا كانت الظروف والملابسات . وقد يراها البعض صورة من صور الخوف من مجابهة المسؤولين بكلمة الحق ، وإنى أحمد الله جلت قدرته الذى أعاننى على دحض هذه الفرية ، فقد ظهرت بدعة تأييد عبد الناصر ، والإخوان فى أعماق السجون فلم أرض لدينى وخلقى أن أؤيد ظالما أيا كان بطشه ، لأننى أعلم أن بعض التالين للقرآن يلعنهم هذا القرآن الذى يتلونه . ﴿ **ألا لعنة الله على الظالمين** ﴾ وكنت مؤمنا بأن عبد الناصر كان ظالما ، وأنا حريص كل الحرص على ألا أعرض نفسى للعنة الله ، واللعن من الله معناه الطرد من رحمة أرحم الراحمين ، وأنا أحوج الناس إلى رحمة الله . هذا إلى أن تأييد الظالم معناه التذلل له ، وليس فى هذه الدنيا ما يحملنى على أن أعطى الدنية من دينى . هذا إلى ما فى الخضوع للظالم طواعية من خسة ونذالة ، وما أرى أن مسلما يرضى لنفسه هذه الوصمة الشنعاء .

إذاً أضفنا إلى هذا أن تمسكى بدعوتى على ما لاقيته فيها من عسف وإعنات دليل على أنى لا أخشى فى الله أحدا وإلا فقد كان من السهل ، أن أقبع فى دارى ، وأغلق على بابى فرارا من كل ما أصابنى .

إن المسلم لا يجامل على حساب الحق والمبدأ ، ولا يخاف الجهر برأيه مهما أكفهر الجو أو أظلم . إن المستبد العاتى لا يحطم نفسيته ويفرى كبده فريا إلا امتناع صاحب الدين عن طاعته ، رغم ضعفه وحاجته . إنها هزيمة الظالم المنكرة تحت أسوار النفس الأبية المؤمنة . لا السيف أرهبها ، ولا المال أغراها ، ولا أقول هذا عن شجاعة وإستبسال ، ولكنه التثبيت من الله أولا وأخيرا . « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » .

## قاومنا التطبيع

لقد أبينا على السادات معاهدة كامب ديفيد ، منذ أن بدأت نذر شؤمها فى الآفاق . أنكرنا عليه مبادرة القدس ، ولم ينكرها عليه أحد فى مصر حين ذاك ، وأنكرنا عليه وثيقتى كامب ديفيد ومعاهدة السلام ، أنكرنا كل هذا فى جرأة وصراحة ووضوح . ورمانا كتابه وحواريوه بالأمية السياسية ، وكراهية السلام .

لقد وقفنا فى وجه التطبيع ، وذكرت فى إحدى إفتتاحيات مجلة الدعوة أن التطبيع شر كله ، وقدمت ما يزيد عن العشرين سببا لذلك . ولما سألنى السادات عن سبب معارضتى لمعاهدة السلام عندما قابلته فى ركن القناطر الخيرية أوضحت له أنى لا أعارض المعاهدة سياسة ، فأنا أبعد الناس عن السياسة بمعناها المتداول بين الناس فى العصر الحديث ، ولكنى

أعارضها دينا ، لأن الإسلام يرفض أن يعترف المسلم لغير المسلم باغتصابه أرضا مسلمة ، لأنه إذا ديست أرض المسلمين وجب على كل مسلم ومسلمة أن يخرجوا للجهاد ، حتى المرأة بغير إذن زوجها ، والعبد بغير رضاء سيده .

وأقسم غير حانث أن الرجل « يقصد السادات » قال لى :

( اكتب ) ، وهى حسنة لن أنساها له . ويكفينا رضاء قلبيا ودينيا ، أن السادات نفسه ، قرر فى بعض أحاديثه الصحفية أن إسرائيل خرقت معاهدة السلام نصا وروحا ، وهذا ما ذكره بعض المسؤولين من بعده . هل نريد دليلا على ذلك أوضح من موقف إسرائيل من « طابا » وتهويدها للضفة الغربية وغزة والجولان ، واحتلالها لجنوب لبنان ، وما فعلته من وحشية رهيبة فى صبرا وشاتيلا . إننا لا ندعى أن الأيام أثبتت لنا ذكاء أو بعد نظر موقفنا إزاء معاهدة السلام ، ولكنها أثبتت أن لنا دينا يهدينا سواء السبيل إذا ما تمسكنا بحبله المتين . ورغم ما عليه العالم الإسلامى ورغم الحرب التى أنهكت كل قوى إيران والعراق ، وأن وراء هذه الحرب الولايات المتحدة الأمريكية والسوفيات وإسرائيل ، فإنى واثق بأن المسؤولين المسلمين فى هذه المنطقة ، لو طبقوا شرع الله متفقين متوحدين لهان كشف هذه الغمة عن بلاد المسلمين ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، ولم يبق إلا الثقة الكاملة بقدرة الله التى لا حد لها على تغيير حالنا إلى أحسن حال ، إذا عدنا إليه .

كان كل العاملين فى مجلة الدعوة شبابا ، عداى والحاج مصطفى مشهور والمرحوم الحاج صالح عشماوى صاحب الترخيص ورئيس التحرير ، كانوا من المتخرجين فى كلية الإعلام أو من لا يزالون فى دور الطلبة هناك .

وكنا نجتمع عشية كل يوم أحد ، نراجع العدد الذى صدر فى أول الشهر ، مافيه من أخطاء فنية أو لغوية وما يجب أن يحذف أو يضاف وفى كل مرة كنا نكتشف جديدا .

وكانت المناقشات عند اختلاف الرأى تدور فى جو هادىء وكنت أنصت لأتعلم إذ ليس لى بالصحافة خبرة ، وما كنت أتدخل إلا إذا طال الجدل ، لأضع له حدا ، وحتى ذلك الحين ما كنت أعرف أن المقالات فى الصحف أو المجلات يدفع لها مقابل ، ولكنى عرفت ذلك فيما بعد ، وما كان لى عليه من اعتراض ، رغم أنى رفضت أى مقابل لما أكتب ممن طلبوا منى أن أكتب فى مجلاتهم معتبرا نفسى داعية لا صحفيا . وعودت نفسى مع كل من يطلب مقابلتى أن أترك له تحديد الزمان والمكان ، من رئيس الدولة إلى أصغر موظف فيها مع حرصى الشديد على أن أكون إلى جانب مكان المقابلة قبل حلولها بدقائق . وعندما فتش رجال الأمن دار المجلة، قلبوها رأسا على عقب ، وأخذوا كل الأوراق والمخطوطات سواء كان لها علاقة بالمجلة أو لا ، ولم يعيدوها حتى الآن رغم مطالبتى بإعادتها .

# أحتجزونى فى المطار

كنت فى مقابلتى للمسؤولين عن الأمن أجيب عن أسئلتهم بوضوح رغم أنهم كانوا يقبضون على بعض الإخوان ، وبصورة مستمرة مدعين أنهم يشكلون تنظيما ، وطالما سمعت منهم عن ضبط بعض الإخوان فى المطار عند عودتهم من الخارج ، ومعهم من الأوراق ما يدينهم ، ويظل هؤلاء الإخوة مقبوضا عليهم الأسابيع والشهور ، ثم يعرضونهم على النيابة التى تفرج عنهم على الفور ، لعدم وجود مايدينهم بأية صورة من الصور ، وتكرر هذا مرارا ، ولا يزال يتكرر . ولما ذكرت جريدة « مايو » أنى هربت من المعركة ، وكنت قد سافرت لاشتداد العلة على ، لما قرأت هذا الخبر ، قطعت العلاج وعدت إلى مصر . ووصلت الطائرة فى التاسعة والربع مساء ، واحتجز ضابط الجوازات جواز سفرى وأمرنى بالانتظار ، وظللت جالسا فى صالة المطار الداخلية إلى الساعة الثانية صباحا عندما أعاد لى جواز السفر ، وكنت أريد أن أثبت هذه الواقعة فى محضر ، ولكنى قدرت أن ضباط المطار لا ذنب لهم ، لأنهم ينفذون أوامر تصدر إليهم تليفونيا ، من السهل إنكارها وتقع المسؤولية عليهم وهم أبعد الناس عنها ، ولكنى عدلت وأخذت جواز السفر وانصرفت ، بعد أن استعديت الله على كل من كان السبب فى هذا الاجراء ، لأن الساعات الخمس التى أمضيتها فى المطار ذهبت بكل آثار التحسن التى ظهرت على ركبتى اليسرى وعادت سيرتها إلى ما كانت عليه قبل السفر .

وساءلت نفسى لما يفعلون معى هذه الأفعال ، وهم يعلمون أنها لا تستثيرنى ، ولا تغير من موقفى ، وإن كانت ترتب عليهم أمام الله تبعات خطيرة ، يندمون عليها حين لا ينفع الندم .

* * *

# الحلقة العشرون

- أسرار التعاون بين الإخوان المسلمين وحزب الوفد الجديد .
- سنشكل حزباً للإخوان إذا كان ذلك يمكننا من نشر دعوتنا .
- على الفلسطينيين أن يجعلوا حياة اليهود جحيما فى الأراضى المحتلة .

« هل ينوى الإخوان المسلمون إعلان حزبهم السياسى والنضال من أجل تواجده فى الساحة السياسية ؟

الإخوان المسلمون يعتقدون أنه إذا كان الحزب هو الوسيلة المثلى لتحقيق مبادئهم ، والخروج بها إلى حيز الممارسة ، فإنهم لا يترددون أبدا فى إعلان قيام حزب الإخوان المسلمين ، والنضال من خلاله فى سبيل إقامة المجتمع المسلم الذى يلتزم بشرع الله .

والمؤكد أن نزولهم إلى ساحة الانتخابات النيابية المصرية الأخيرة كان محاولة لجس نبض واختبار درجة قبولهم لدى الشارع المصرى والسلطة المصرية ! إذ أنه من الثابت أن تعاونهم مع « الوفد » لم يلغ شخصيتهم الاعتبارية ، وقد حرصوا على تأكيد ذلك للقيادة الوفدية ، حيث أعلنوا عند إبرام بروتوكول التعاون بينهما ، أن الإخوان إخوان ، وأن الوفد بالنسبة إليهم مجرد قناة يعبرون من خلالها للحياة السياسية !! وأن الانتماء أولا وأخيرا ، هو لفكر وتنظيم الإخوان المسلمين » .

نترك الأستاذ « عمر التلمسانى » يسلط الأضواء على أسرار الاتصال بين الوفد والإخوان ، واتفاق التعاون الذى أبرم بينهما وتصور الإخوان لتحرير القدس ، فيقول :

سنحت الفرصة لنعلى كلمة الله من فوق منبر أعلى هيئة تشريعية فماذا نفعل ونحن لانملك حزبا ندخل عن طريقه ميادين الحركة الانتخابية ؟.. ولا نستطيع أن نرشح أنفسنا كمستقلين لأن ذلك ممنوع قانونا . ونحن نملك قاعدة شعبية كبيرة ، إن لم يستفد منها الإخوان المسلمون فسوف يستفيد منها غيرهم .

لم يبق لنا الا التفكير فى قناة شرعية نستطيع عن طريقها الوصول إلى البرلمان :

- **حزب التجمع** : الخلاف الواسع فى الرأى مانع من الدخول معه .
- **حزب الاحرار** : ليس له قاعدة شعبية فى تقديرنا ، وقد نكون مخطئين !
- **حزب العمل الاشتراكى** : موقفه من جمال عبد الناصر ــ رغم ما فعله بالإخوان ــ يحول بيننا وبين الدخول فى قائمة واحدة معه .

لم يبق إلا الوفد الجديد، فهو وإن كان يقر الانقلاب «الثورة» ويؤيد تطبيق الشريعة الإسلامية، وله قاعدة شعبية أكثر من غيره، إلا أنه ينكر معنا كل تصرفات عبد الناصر ومن معه .

## قصة التعاون مع الوفد

اذن كيف نبدأ ؟ اراد الله أن يذلل لنا هذه العقبة ، فبمجرد أن دعى الشعب للانتخاب ، زارنى الاخ الأستاذ « صلاح أبو اسماعيل » وتحدث معنا فى الموضوع ، وكان يمثل المعارضة الوفدية فى البرلمان ، فوجد عندنا استعدادا للتعاون مع الوفد . والتقيت بالسيد فؤاد سراج الدين فى منزله بجاردن سيتى ومعى مجموعة من الإخوان هم الإخوة « صلاح أبو رقيق ، ومحمد المسمارى ، وشمس الدين الشناوى ، وابراهيم شرف ، وجابر رزق ، ومحمد عبد القدوس » ودار حديث ألخصه فى الآتى :

١ ــ الوفد قناة شرعية ، والإخوان قاعدة شعبية ، فمن الخير أن يتعاونا على مافيه خير هذا الوطن .

٢ ــ الوفدى وفدى ، والإخوانى إخوانى .

٣ ــ نقف مع الوفد كمعارضين، إلا إذا قدمت الحكومة قانوناً أو مشروعاً فيه خير للبلد فنحن الوفد والإخوان نقره ونؤيده .

٤ ــ إذا كان فى قدر الله أن تعود جماعة الإخوان ، فالموقف واضح لا يحتاج إلى نقاش .

٥ ــ حضور النواب الإخوان جميع اجتماعات الهيئة الوفدية .

٦ ــ انه تعاون لا تكتيك ولا استراتيجية .

٧ ــ الحرص على هذا التعاون ، وكما قلت للسيد فؤاد سراج الدين إننا لن نكون سببا أو بادئين بإيقاف هذا التعاون .

وتم الاتفاق بين الإخوان والوفد على خوض الانتخابات متعاونين حتى الدوائر التى ليس فيها مرشحون للإخوان فإن الإخوان بها سيعطون أصواتهم للوفد .

وجرت الانتخابات ، وكانت النتيجة ما علم الناس ، وحمدنا الله من كل قلوبنا على هذه النتيجة الباهرة . التى هيأتها لنا حكومة الحزب الوطنى ، بجعل الانتخابات عن طريق القوائم النسبية ، وإن كنا لانقرها ، ولكن ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم**﴾ . وما أن عرف خبر اتفاق الوفد والإخوان المسلمين ، على دخول الانتخابات متعاونين حتى ثارت الصحف الحكومية ، وأخذت تتهمنا بأننا انتهازيون ومتسلقون وأعداء لما يسمونه ثورة ٢٣ يوليو ( تموز ) ١٩٥٢ وما هى إلا انقلاب أو تغيير ، بل أنفسهم الضباط الأحرار ، كانوا يسمونها فى أول قيامها « حركة » وكانت تسمية صادقة ومطابقة للواقع .

وأخذت الصحف القومية تستعيد من الماضى تهما باطلة ، لتشوه موقفنا أمام الناخبين ، وأخذت تذكر الناس بما كان بين الوفد والإخوان ، ولم يكن بيننا وبين الوفد إلا مقالات وانتقادات ، لا أكثر ولا أقل ، هذا إلى أن الوفد لم يعذب ، ولم يقتل ، ولم يصادر اموال أحد من الإخوان المسلمين ، رغم ما كان بيننا وبينه من خلافات .

ولقد دخلنا المجلس دون حرص على مكانة أو زعامة أو مظهر ، ولكن لنعلن كلمة الله فى مجلس الشعب ، بعد أن حيل بيننا وبين كل وسائل الإعلام المتاحة لكل مصرى مستوف لشروط الانتخابات والترشيح .

أما موقف فضيلة الأستاذ « صلاح أبو اسماعيل » فما بدأ حتى انتهى وكأنه لم يكن ، دون أن يترك أى أثر على صفاء العلاقات بين الوفد والإخوان . ولنا اليوم قضية أمام مجلس الدولة نطالب فيها بعودة الإخوان . كما ألفنا شركة لإصدار مجلة « الدعوة » ولا تزال الاجراءات سائرة وإن كانت متعثرة . هذه هى قصة اتفاق الإخوان مع الوفد فى العملية الانتخابية . وللحق أذكر أن بعض الإخوان كانوا متخوفين — أول الأمر — من هذه الخطوة ، ولكن الله شرح صدورهم وأصبحوا جميعا على رأى واحد فى صواب خوض الانتخابات متعاونين مع الوفد .

إننا لم ندخل البرلمان عن طريق حزب الوفد لأنه حزب معارض ، لكننا اعتبرناه قناة شرعية تمكننا من الوصول إلى الجهر بكلمة الله فى أعلى هيئة تشريعية ، وقد قال السيد فؤاد سراج الدين وقلنا معه إنه إذا تقدمت الحكومة بقانون أو أى تصرف فيه خير للبلد فسنقف إلى جانبه ونؤيده ، وليس هذا شأن المعارضين لمجرد المعارضة . وأحب أن أشير هنا إلى أن السؤال الذى تردد عن دخولنا فى تعاون مع الوفد هو سؤال دائرى ، ذلك أننا لو دخلنا فى تعاون مع أى حزب غير الوفد فسنواجه السؤال نفسه : لماذا تعاونتم مع حزب العمل ؟ لماذا دخلتم مع حزب الأحرار ولماذا تعاونتم مع التجمع ؟ لماذا مع حزب الأمة ؟!.. وحتى لو دخلنا الانتخابات مع الحزب الوطنى ، لوجه إلينا السؤال نفسه أنه سوف يذكرنى بقول العامة عندنا ( دوخينى يالمونة ) !

# سنشكل حزب الإخوان المسلمين

إن الوفد لم يستغل الإخوان ولن يقدر . والإخوان لن يستغلوا الوفد ولا يقدرون ، فمن إضاعة الوقت فى ما لا فائدة منه أن تتحدث صحف بعينها عن انتهاء شهر العسل بين الإخوان والوفد ، لأنه تشبيه سيىء فشهر العسل بين العريس والعروس ، والوفد رجال ونحن رجال ، ورجال من نوع ملؤه الخشونة والرجولة الحقة والشرف ، فإن استعملوه استعارة فيا لها من استعارة لا تشرف من استعملها .

لن يقوم خلاف بين الإخوان والوفد ، لأن كلا منهما يعرف حقوقه ويتمسك بها ، ويعرف واجباته ويؤديها — وحتى لو اختلفنا وأسأل الله ألا يكون هناك خلاف — فما بيننا من مودة وتقدير كفيل بعدم الإسفاف الذى طهر الله أخلاقنا منه .

إننا لم ندخل مع السيد رئيس الجمهورية فى حوار إلى اليوم ، لأن الأمر ليس بأيدينا ، فهو صاحب الحق ، كرئيس للدولة ، أن يستدعى من يشاء ، لأى غرض من الأغراض ، يرى أن فيه مصلحة للوطن . أما المواطن فليس من حقه أن يفرض نفسه على رئيس الدولة ليستمع إليه ، وكل حقه أن يعارض أو ينتقد أو ينصح .

والإخوان المسلمون يقفون دائما عند حدود ما يحفظ عليهم كرامتهم ، وما يحميهم من التطفل على أحد ، وحسبهم أن يعرف الله وحده عنهم أنهم يحبؤن الخير لكل إنسان سواء أكان مسلما أو غير مسلم ، سواء أكان مواطنا ، أم غير مواطن وهذا حال عاهدوا الله عليه ، وأسأل الله أن يعينهم على الوفاء به . ويوم ترتاح الصدور لدى المسؤولين فى العالم الإسلامى كله ، إلى هذا المعنى فسوف يجعل الله بفضله بعد عسر يسرا .

إننى لا أتحدث عما أتوقعه ، فهو استباق للحوادث ﴿ **وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا** ﴾ ولكنى آمل دائما وآمالى كلها مليئة بالتفاؤل الذى لا يتزعزع أبدا فى وجه العلى القدير ، وأعلم أنه لو كان داعية ينجو من محن وابتلاء ، لكان محمد ﷺ أولى الناس بهذا ، وهو أحبهم إلى الله ، وأقربهم منه مكانة ، وأعلاهم عنده قدرا .

إننى آمل أنه إذا لم يكن من قيام الحزب بد ، فمن العجز الفكرى أن نقف حائرين ، بل نسلك كل طريق مشروع يمكننا من نشر دعوتنا فى كل الأوساط . أما إذا كان فى قدر الله أن نعود كما كنا « جماعة الإخوان المسلمين » الهيئة المسلمة العامة الشاملة ، فذلك عندنا خير وأفضل .

وليعلم الناس جميعا أن دخول البرلمان ليس هدفا من أهداف جماعة الإخوان المسلمين .

إنما هو وسيلة من وسائلنا لنشر دعوتنا . ويوم أن يتحقق هذا الأمل الذى يحتل مكانه الأسنى فى عقولنا وجهودنا ، نستطيع أن نقول ، لقد بلغنا ما نهدف إليه ، ووصلنا إلى الغاية التي ما بعدها غاية . وحينذاك لا يهمنا من يحكم ، ولا يهمنا أن تبقى الجماعة أو لاتبقى ، فالأمر عندنا لا علاقة له بالشخصيات على الإطلاق ، ولكنه أمر عقيدة ، إن عمل بعض المسلمين لها فقد نجوا جميعا ، وإن تركها الجميع فقد أثموا جميعا .

إن نتائج الانتخابات الأخيرة ، لم تأت لنا بجديد فى الموقف . والعدد الذى دخل البرلمان ، إن كفى فى رفع الصوت فى أعلى هيئة تشريعية فى البلد ، فإنه لا يكفى فى تحقيق الغاية .

والعجيب فى أفهام الكثيرين تصورهم أن دعوتنا تدعو إلى قلب نظام الأوضاع القائمة ، ونحن بهذه الصورة متآمرون ، وليس لهذا ظل من الحقيقة عند الفهم السليم الخالى من العلل الظاهرة والباطنة .

## الطريق إلى تحرير القدس

لو يطاع لقصير أمر ، لأمرت الدول العربية بالآتى ، على شرط أن تكون كل الدول الإسلامية حقا تريد تحرير القدس !

ما أشير به وأنا بعيد عن أسرار السياسة فى الدوائر العليا هو : أولا : مقاطعة دول المنطقة والدول الإسلامية غير العربية ــ لإسرائيل مقاطعة تامة ، ذات فاعلية ، ولا نكتفى بالرفض والصمود والاحتجاجات الساخنة !

• ثانيا : يجب أن نستبعد من أذهاننا تماما أن القدس يمكن تحريرها ، ودول العالم العربى على ما هى عليه من التناحر والإمعان فى الكراهية إلى حد تفضيل غير المسلم على المسلم فى هذه الدول !

• ثالثا : يجب أن يكون شيخ الازهر ورئيسا جامعتى الزيتونة وعليكره ، وكل مشايخ الإسلام فى جميع بلاد المسلمين فى اجتماعات دائمة ، وتصدر يوميا نداءات تهيب بالمسلمين أن يهبوا لتخليص فلسطين والقدس من أيدى أشد الناس عداوة للمسلمين . قد يرى البعض أن هذا مجرد خيال وأحلام ، ولكنه الحق الذى غفل عنه المسلمون .

• رابعا : ألسنا أصحاب حق فى وجوب تحرير القدس !؟.. ولكننا لا نعمل لاشهار هذا الحق ، ونحس بالضعف أمام مغتصبى القدس ومن يؤازرهم ويحرضهم . مجرد هذا الإحساس ، وعدم العمل على التجرد منه بالتحرك الدقيق المدروس ، كاف لبقاء القدس

حيث هي اليوم ، والسماء لاتعطى عونها إلا لمن يعمل ويتحرك . أما الذى نحن عليه اليوم ، فهو مجرد التواكل ، الذى ليس وراءه إلا التآكل .

• خامسا : قد يقال أن أعداءنا يرقبوننا عن قرب ، وأنهم لن يتركوا لنا فرصة كى نتقوى ، وفينا سماعون لهم ، وهم أقوى وأقدر منا ، ولكن هذا هو قدرنا ، نحن ضعاف وهم أقوياء ، وليس أمامنا إلا أحد أمرين : إما أن نستسلم لما نحن فيه ، ونرضى بالعيش فى ظل الهوان . أو نتحرك وبأية صورة حتى يظل نبض الحياة فى عزائمنا ، له أثره وفاعليته . فإذا صدقنا مع الله . فإنه بلا شك سيصدقنا ، وهو أصدق القائلين .

والتاريخ شاهد على أنه لم تدم أمة من الأمم فى الذروة ، وأمة من الأمم فى الحضيض ، فالأمل الوثاب مع الأيام بالهدف مع التحرك الصادق باليقين ، وقبل ذلك كله فضل الله . كل ذلك كفيل بتحقيق الهدف .

• سادسا : يجب على كل حكام الدول الإسلامية ، وجوبا شرعيا وقانونيا ومنطقيا ووطنيا ونفعيا ، أن ينبذوا كل ما بينهم من خلاف وأن يكونوا وحدة قادرة على أن تقول فيسمع لها .

• سابعا : الفلسطينيون فى فلسطين يستطيعون جعل حياة اليهود جحيما هناك . فلا يعملون فى مصانعهم ، ولا أرضهم ولا محلاتهم ، ولو كلفهم ذلك حياتهم ، وأن يموتوا شرفاء خير لهم من أن يعيشوا أذلاء .

## دعوة الله

إننى واثق من نتائج ما أقول ، حتى ولو ظن الناس أننى أحلم فى اليقظة . ولكننى على يقين كامل من أن هذا سيكون يوما ، قريبا أو بعيدا فإن حرصوا على ذلك ثبت الله حكمهم ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ ولعله من حكم الله فى كنوز القرآن ، أن تكون هذه الآية آخر آية فى سورة محمد ، ثم تبدأ بعدها مباشرة سورة الفتح بقوله تبارك وتعالى ﴿ **إنا فتحنا لك فتحا مبينا** ﴾ ، أنا لا أطالب المسؤولين بأن يغامروا أو يتحمسوا تحمسا ارتجاليا ، ولكننى أطالبهم وبإلحاح وبرجاء وباستعطاف ، أن يعيشوا هذا الأمل ، وأن يروه حقيقة أمامهم ، لا مجرد أمان وأن يعملوا على تحقيقه ، فلن يضيع حق له أصحاب يطالبون به ويضحون فى سبيله . إياكم وفقدان الأمل فى الوصول إلى الحق ، إياكم واليأس فى الوصول ، فالمسلم لايعرف اليأس ولا يجب أن يلابسه اليأس لحظة ، فإن اليأس من روح الله كفر ﴿ **إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾ .

ألا يرى الناس أن قدامى الإخوان المسلمين تخطى أكثرهم الستين والسبعين والثمانين ، وهم مع كل ما صادفهم فى مراحل هذه الدعوة من محن وويلات ، لايزالون متمسكين

بدعوتهم ، مستبسلين فى سبيلها ، لايخيفهم ولا يفزعهم من عاداهم . لقد مات فاروق وعبد الناصر والسادات . لكن دعوة الإخوان المسلمين لم تمت ، لأنها ليست أفراد تموت بموتهم ، ولكنها دعوة الله يحملها مسلم بعد مسلم ، ودعوة الله باقية خالدة إلى أن يشاء الله .

لقد عقدت آمال طوال عراض على الإخوان المسلمين فى إيقاظ الوعى الإسلامى ، وقد فعلوا بفضل الله ، وقد وثق الناس فى الدعوة وثوقا ، وصل بهم إلى حد إنشاء الشعب فى كل قارة من قارات الأرض ، ومحاولة إيجاد قوة تقوم مقامهم ، يحتاج إلى وقت طويل ، ومعناه ضياع جهود جبارة ، والاستهانة بدماء طاهرة زكية أريقت من أجل إقامة هذا البناء ، والعقلاء لا يحاولون محاولة فاشلة ، وبغير ذى هدف ، إلا هدف أحاول ألا يستقر فى ذهنى ، رفقا بإيمان الناس .

إن أسعد الناس بمحاربة الإخوان بأيد مسلمة ، هى إسرائيل ، وعجيب أن نقول إن إسرائيل مغتصبة ومعتدية وناقضة لكل عهد وميثاق ، ثم لانجد من نحاربه فى قسوة وعنف ، إلا الذين ترهبهم إسرائيل وتخشى بأسهم وحدهم دون غيرهم .

* * *

# الحلقة
# الواحدة والعشرون

- الإخوان المسلمون أعقل من أن يتدربوا على السلاح فى غابات ألمانيا .
- زارنا وفد إسرائيلى فى مجلة « الدعوة » وأكدنا له معارضتنا لكامب ديفيد .
- المستشار الصحفى الأمريكى زارنى عدة مرات وأبلغت الداخلية بذلك .

**فى هذه الحلقة يرد الشيخ عمر التلمسانى على شائعات تقول : إن عناصر من الإخوان المسلمين يتدربون على السلاح فى مرتفعات اليمن وغابات ألمانيا .. ويقول إن الكذبة واضحة وهدفها أوضح وهو صبغ جماعة الإخوان المسلمين بلون الجماعات الإرهابية المنتشرة فى أوروبا وأمريكا كالألوية الحمراء مثلا وتأليب نظم الحكم العربية والإسلامية على هؤلاء الدعاة .**

ويقول الشيخ التلمسانى فى ذكرياته حول هذه الوقائع والأحداث :

كان نظام الأسر فى الإخوان يزعج رجال الأمن ، فلما حلت الجماعة انتهى هذا النظام . ولكن ما قابلت أحدا من رجال وزارة الداخلية إلا تحدث — عن هذا النظام وعودة الإخوان إليه وكنتْ أنفى لهم هذا الظن . وما كانوا ليقتنعوا بهذا النفى . حتى بلغ الأمر أننى قلت لأحدهم إذا قبضتم على تشكيل أسرى إخوانى فاقطعوا رقابهم .

والحقيقة أننى لم أصل إلى حقيقة كراهية رجال الأمن لنظام الأسر ، وإن كان أحدهم قال لى إن هذا النظام يبدو فى ظاهره مسالما ، ولكنه يستطيع أن يتسلح فى ظرف أربع وعشرين ساعة .. والذى أقوله إن نظام الأسر لو قام فى كل حزب أو هيئة أو جماعة على أسس تربوية إسلامية لكان له أبلغ الأثر فى تقوية تلك التشكيلات .

# نظـام الأسـر

إن الشباب يجتمع فى الأسر على قراءة القرآن وحفظ الأحاديث وقراءة السيرة وشىء من الفقه والتفسير ، وإلزام عضو الأسرة أن يكون طاهرا ونظيفا وصادقا مظهرا ومخبرا فى كل ناحية من نواحى حياته .. هذا إلا أن نظام الأسر يقوى الروابط بين الشباب ويوحد تفكيرهم وينظم تصرفاتهم مع أنفسهم واهليهم ومجتمعهم وأمتهم . وأعرف أن بعض المدارس الابتدائية والثانوية فيها شىء من نظام الأسر فلماذا يقتصر رجال الأمن على محاربة هذا النظام فى جماعة الإخوان المسلمين ؟

إنى أدعو جميع شباب مصر مسيحيين ومسلمين فى جمعيات الشبان مثلا وفى غيرها وفى تشكيلات الأحزاب والهيئات أن يأخذوا بهذا النظام تحت إشراف قيادتهم . وإن كنت أطلب من الإخوان التريث فى هذا النظام حتى يأذن الله بعودة جماعة الإخوان المسلمين ، فيعودوا إلى نظام الأسر النافع المفيد فى التربية والتوجيه والسلوك . وأظن لو أن هناك أسرا إخوانية من هذا النوع لما عجز رجال الأمن عن وضع أيديهم عليهم وتقديمهم للمحاكمة والعجيب أنه فى الوقت الذى يحارب فيه رجال الأمن نظام الأسر تدعو الحكومات إلى احتضان فريق من شباب الجامعات باسم شباب هذا الحزب أو ذاك وتساندهم وتغدق عليهم ، مع أن هذا التشكيل فيه تفرقة لصفوف الطلبة فى الجامعات وإغراء بعضهم ببعض مما يسبب أحقادا لها أسوأ الأثر على تصرفات الطلبة بعد التخرج ، ولكن الدوح مباح لكل جنس ومحرم على بلابله .. متى نسلك الطريق المستقيم ؟ ﴿ **قل عسى أن يكون قريبا** ﴾ ورغم كل هذا فسنظل ندعو بعض المسؤولين فى العالم الإسلامى أن يهديهم الله سواء السبيل ، حتى لانقرأ فى الصحف أن المسؤول الفلانى يركب سيارة مكشوفة فى زيارته للمكان الفلانى إن هذه العبارة يجب أن تختفى من صحفنا . لأن فيها مساسا بالمسئولين ، إذ تشعر الناس فى ركوب المسؤول سيارة مكشوفة مفخرة له . وليس هذا بصحيح ، فقد رأينا كل المسؤولين فى بلاد العالم المتحضر يركبون سيارات مكشوفة دون أن تحرص صحف بلادهم على الإشارة بهذا لأنه شىء بديهى مسلم به .. وإذا لم يكن الحاكم آمنا بين شعبه فأين يجد هذا الأمن؟.. إننا نقرأ أن بعض الحكام الأجانب يركبون دراجة بخارية فى شوارع بلادهم آمنين مطمئنين .. يجب أن تعلم الدنيا أن حكامنا آمنون بين شعوبهم ، ولئن حدث حادث هنا ، فإنه يحدث مثله فى كل بلاد العالم ، فقد اعتدى على ريجان والبابا الحالى وجون كيندى من قبلهما وغيرهم . ومع ذلك فلم تحرص صحف تلك البلاد على ذكر أن هذا الرئيس أو ذاك كان يركب سيارة مكشوفة إنها سبة لنا .

## لم نتدرب على السلاح

إن الزعم بأن الإخوان يتدربون على استعمال الأسلحة فى اليمن وفى المانيا زعم أبرأ إلى الله من نسبته إلينا عن تخطيط معين ، أو لهدف معين يتحدثون به .

ومع ذلك فإذا سلمنا جدلا — لا أكثر ولا أقل — بأن هذا يحدث فعلا فهل لا يعلمون أن أهل اليمن جميعا يحملون أسلحتهم على أكتافهم علانية وأن حمل الخنجر تقليد درج عليه اليمانيون من قديم الزمان ، فهل إذا حمل أخ مسلم من أهل اليمن سلاحا يعتبر هذا تآمرا ضد مصر ؟ وأى تصور هذا الذى يتحدثون عنه ؟ وماذا يفعل العشرات أو المئات من الإخوان إزاء مئات الألوف من رجال الجيش والشرطة والأمن المركزى فى مصر، إنها شائعات يبررون بها مضايقتهم لكل أخ مسافر إلى اليمن فى عمل أو عائد منها فى إجازة . إن الذى يسافر من الإخوان إلى اليمن طلبا للرزق وتحسين وضعه المالى ليس لديه من الوقت ما ينفقه فى التدريب الذى يستلزم جهدا مضنيا ووقتا طويلا . متى يدركون هذه الظنون ولم يستطيعوا حتى اليوم تقديم دليل واحد يقدمون به أخا إلى النيابة بتهمة التدريب على السلاح لإحداث قلاقل فى مصر ؟

أثناء زيارتى لألمانيا سألت بعض رجال الأمن هناك : هل يستطيع أحد التدريب المسلح فى غابات ألمانيا ؟.. فنفوا ذلك نفيا باتا ، لأن القانون الألمانى يعاقب على مثل هذا العمل

أما آن للمسؤولين فى العالم الإسلامى كله أن يؤمنوا بأن الإخوان المسلمين أبعد الناس عن هذا العمل . وأعقل من أن يمارسوه ؟ وطالما عرض على مقابلة هؤلاء المتآمرين ، لأسمع منهم ولكنها وعود لم تنفذ .. إن رجال الأمن لايتعقبون أحدا إلا الإخوان ، حتى قيل من بعض المسؤولين فى دولة عربية إن الإخوان المسلمين أخطر من الصهيونية ، إلى هذا الحد ؟.. إن العالم المتمدن الذى يهيج ويموج إذا ما عذب إنسان فى أى مكان . لايختلج له طرف أمام وقع التعذيب على المسلمين عامة والإخوان خاصة ، فلا حس ولا خبر وقد قرأت فى مقال للاستاذ فاروق عبد السلام فى جريدة الأحرار أننا لا نلتمس الحماية عند أحد ، ولكننا نطلبها من القوى القادر العظيم .

لقد شاع السرور فى نفوسنا عندما قرأنا أن السيد « جعفر نميرى » رئيس جمهورية السودان طبق الشريعة الإسلامية وقد طلب منى أحد العاملين فى جريدة الأخبار أن أكتب كلمة فى مجلة البرلمان السودانية حول هذا الموضوع ، فلم أتوان ، رغم ما أشيع أن هذا الاتجاه ، كان سياسيا يقصد به تدعيم قوائم الحكم فى السودان . لم ألق بالا إلى مثل هذا

الكلام وأيدت هذا الإجراء من كل قلبى ، لأنه إذا شابته بعض الأخطاء اليوم فإن الزمن كفيل بسد الثغرات وإصلاح الأخطاء .. ولكنى دهشت عندما قرأت للرئيس « نميرى » حديثا فى الجرائد قال فيه عن الإخوان المسلمين « إنهم إخوان الشياطين » مع أن الدكتور « حسن الترابى » رئيس الإخوان فى السودان من مستشارى نميرى ، وأن الإخوان فى السودان بايعوه على ذلك . ليت شعرى ما الذى يدعو بعض المسؤولين فى العالم الإسلامى لأن يقفوا من الإخوان هذا الموقف غير العادل أو المنصف . إننى لا أريد أن أجرى وراء الشائعات وأنزه نفسى عن الظن بأحد سوءا وهو يقول خيرا . أما النوايا فلابد وأن نتركها للذى يحول بين المرء وقلبه ولا تخفى عليه خافية .

لقد نشرت لى « الأهرام » عند البدء فى مفاوضات التكامل أننى أطالب باندماج كامل . إنه لن ينفع مصر والسودان ، بل والعالم الإسلامى كله ، إلا أن تكون مصر والسودان دولة واحدة مستكملة لكل قواعد قيام الدولة الواحدة . إنه أمل وليس على الله ببعيد أن يكون واقعا قائما فى القريب العاجل .

وأسأل الله أن يستجيب لهذا الرجاء مادامت مصر جعلت الشريعة الإسلامية مصدرا أساسيا ورئيسيا للتقنين . ومادامت حكومة السودان نفذت هذا الاتجاه .. ولا شك أن توحيد القانون فى الدولتين أول خطوات الاندماج والوحدة الكاملة .

## اتصالات أمريكية وبريطانية وإسرائيلية

فى الأعوام ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، أكثر المستر « جوزيف لورنز » المستشار الصحفى فى السفارة الامريكية بالقاهرة من الاتصال بى وزيارتى فى مجلة الدعوة مبديا كل عواطف الود . وكانت معه مترجمته السيدة « نادية الكيلانى » وكنت أحيط وزارة الداخلية بهذه الزيارات أولا بأول ، لأنى لم أنس مستر « إيفانز » .. ولعلى أشرت إلى هذه الزيارة فيما سبق . وما كانت وزارة الداخلية تعارض فى هذه الزيارات لأنها لو عارضت لأوقفت تلك المقابلات قطعا تطهيرا لسمعة الإخوان المسلمين من الظنون والشبهات .

وقد اتصلت بى السفارة البريطانية فى يونيو ( حزيران ) ١٩٨٠ تخبرنى أن وزير خارجية انجلترا السابق يريد زيارة مجلة الدعوة . فقلت لهم : إن كانت الزيارة للتعارف وتفقد مكاتب العمل ، وحال السير فيها فمرحبا ، وإذا كانت الزيارة لأحاديث سياسية ، فلا داعى لها .. وبناء عليه لم تتم هذه الزيارة .

وقد أخطرت وزارة الداخلية بكل هذا فى حينه فى الوقت الذى كان المستقلون والأحزاب

الأخرى يعقدون المؤتمرات الصحفية التى يهاجمون فيها الحكومة . ومع كل هذا لم يكن التعقب والمضايقات واقعا إلا على الإخوان المسلمين . هل يستطيع أحد تفسيرا لذلك ؟.. أم أن الأمر أوضح من أن يحتاج إلى شرح أو بيان .. وهكذا كنا نقابل كل مضايقة بالصبر والاحتساب ، مؤمنين بأن اليوم الذى تتجلى فيه نصاعة أعمال الإخوان وتصرفاتهم قادم لاريب فيه .

## زيارة إسرائيليين للإخوان

ولا تعجب أيها القارىء الكريم فإن أربعة أساتذة إسرائيليين من جامعة تل ابيب زاروا مجلة الدعوة وكنت يومها على سفر ، فقابلهم الأخ الفاضل مصطفى مشهور ، فى أدبه المعروف ، واتزانه وحكمته ، ودار حديث بينهم . فقال أحدهم : إننا لسنا مستائين أن تكون فى مصر معارضة لمعاهدة السلام لأننا فى إسرائيل نجد معارضين لها .

فأجاب الأخ الأستاذ « مصطفى مشهور » فى هدوئه المعروف : « إن المعارضة قامت هنا لأن المعاهدة هضمت كل حقوق الشعب الفلسطينى ، أما المعارضة عندكم فقد قامت طلبا للمزيد من استلاب الحقوق » وضحك الجميع .

قابلهم الإخوان بأسلوبهم الهادىء المشهور ، وقدموا لهم تحية الزيارة وودعوهم فى أدب واتزان . وهكذا يتحدى الصهاينة مشاعر المسلمين فى دارهم . وكأنهم يقولون لنا : ها نحن قد حصلنا على اعتراف رسمى من حكومتكم فى وجودنا بفلسطين . فماذا فعلتم أنتم بمعارضتكم وحرب عصاباتكم ؟.. ورغم هذا التبجح فقد كان الإخوان على قمة المسؤولية الاجتماعية فى استقبالهم وعدم خدش مشاعرهم . ومع كل هذا فإسرائيل لا تكره أحد فى الدنيا كراهيتها للإخوان المسلمين ، وحسبنا فى هذا أنه إذا رضيت عنا كرام عشيرتنا ، فمازال عقبانا علينا خلافهم . هؤلاء هم الإخوان الإرهابيون الدمويون المتعصبون ، كما تصفهم إذاعة إسرائيل والسوفييت والولايات المتحدة .

ولا يفوتنى هنا أن أذكر بالخير السيد « ضياء الحق » رئيس جمهورية باكستان ، فقد كنت فى زيارة هناك فى ضيافة الجماعة الإسلامية بباكستان ، فأبى إلا أن أكون فى ضيافته طوال إقامتى هناك . كما خصص لى سيارة وحارسا وقد استقبلنى فى مقر رئاسة الجمهورية . وكنت مع السيد الطفيل والسيد خليل الحامدى ، والأخوين مصطفى مشهور وابراهيم شرف ، ولقينا من سيادته استقبالا طيبا وقد تحدث عن كثير من مشروعاته للنهوص بباكستان ومن بينها جعل اللغة العربية مادة أساسية بدءا من أول مراحل التعليم إلى آخره .. ونسأل الله أن يعينه على ما ينتويه من خير لأمته وأن يحقق له كل آماله فى رفعة بلاده .

## أفغانستان فى القلب

لا يفوتنى هنا أن أعرض لأحداث أفغانستان ، كضحية أخرى من ضحايا مؤامرات الولايات المتحدة والسوفييت ضد العالم الإسلامى . فقد كان هناك اتفاق تام بين الدولتين على احتلال أفغانستان . وما احتجاجات الولايات المتحدة ومن يدور فى فلكها وبعض التصرفات التى لا قيمة لها إلا ذرا للرماد فى العيون . وللأسف الشديد أن بعض المصريين سكتوا عن هذا الحدث الجلل ، وكأنه لا يعنيهم ، منهم مسلمون ومنهم مسيحيون .

كذلك وقفت منظمة التحرير الفلسطينية موقفا سلبيا من هذا الاغتصاب . أما الإخوان المسلمون فقد وقفوا موقفا إيجابيا عمليا . فدعوا إلى مؤتمر عقد فى الأزهر الشريف حضره الكثير من الزعماء المسلمين من مختلف البلاد الإسلامية ، كما أهاب الإخوان بالتطوع للجهاد فى سبيل إنقاذ أفغانستان وبادر الشباب إلى الاستجابة ، وحضروا إلى مقر مجلة الدعوة وقيدوا أسماءهم وعناوينهم ولكن الإخوان لم يتمكنوا من تسهيل خروجهم من مصر لأسباب خارجة عن إرادتهم . ولا سلطان لهم عليها .

وتسطيرا للحقيقة فإننى ذكرت فى ذلك المؤتمر أن المسؤولين أخبرونا أنهم يرسلون الأسلحة إلى المجاهدين فى أفغانستان .. ولست أدرى هل ما أخبرونى به كان إجراء منفذا أم أننى كنت وسيلة لإذاعة خبر غير صحيح ولكن هذا ما حصل فعلا .

وإننى لا أذيع سرا إذا قلت إن الإخوان المسلمين خارج مصر ، لايزالون يمدون أفغانستان بالمال والأدوية والأطباء والمستشفيات المتنقلة ، وكل ما يحتاج إليه المجاهدون فى هذا المجال .. ولكن أنى لهذه المساعدات الضئيلة أن تقف فى وجه قدرات دولة يعتبرها الناس إحدى أقوى قوتين فى العالم ؟ ولا داعى للاسترسال ، فالله وحده الذى يعلم ما يكابده الإخوان المسلمون فى سبيل أفغانستان .

## لماذا لم ألتق بالرئيس

بدأ السيد « محمد حسنى مبارك » عهده بدءا طيبا بالإفراج عن المعتقلين السياسيين وإطلاق الحرية للصحف والأحزاب . أن تنتقد كما تشاء . وكل ما أخالف سيادته فيه أن يكون رئيسا لحزب بذاته . فظروفنا وتقاليدنا ليست كالولايات المتحدة أو غيرها . ولكن لعل له فى ذلك حكمة لاندركها . وقد كثر تساؤل الناس لماذا لم يقابل الرئيس مبارك « عمر التلمسانى » كما قابل غيره ، فكان جوابى هو أن هذا تصرف متروك تقديره لسيادته . خاصة وأن معاملتى كغيرى لا تزيدنى قدرا . ولا تحط منى شأنا . فمرجع ذلك لسيادته باعتباره

رئيسا للدولة يقدر ما يفعله وما لا يفعله دون أن يكون لذلك أثر على أحد .

منذ خروجنا من اعتقالات ١٩٨١ والإخوان فى حالة تشبه الركود . وإن لم تكنه . وقد أخذنا نبحث عن طريق مشروع نباشر به نشاطنا دون مضايقة لرجال الأمن أو تحد للقانون . وشاء الله أن يفتح لنا باب التحرك المشروع فى نظر المسؤولين . فانتهى مجلس الشعب وبدأ التفكير فى الانتخابات لمجلس الشعب الجديد وكانت فرصة العمر التى لو تركها الإخوان تفلت من أيديهم لكانوا فى عداد الغافلين .

وكنا نظن فى أول الأمر أن الانتخابات ستتم عن طريق الترشيح الفردى . وهذه عقبة لها خطرها . فالإخوان ليس لديهم من المال ما يعينهم على الترشيح الفردى . ففتر تفكيرنا فى الانتخابات إلى أن شاع الكلام عن الانتخابات بطريق القائمة النسبية . وكانت الفرصة التى يجب ألا تفلت ، فالانفاق فى الترشيح عن طريق القائمة أقل بكثير من الإنفاق فى الترشيح الفردى . وإن كان الحزب الوطنى قد أشاع أن الإخوان قد تلقوا من الخارج ملايين الجنيهات للمعارك الانتخابية ، وإن كنا إلى اليوم نعانى من ديون الانتخابات .

* * *

# الحلقة
# الثانية والعشرون

- خلع أتاتورك طربوش ممثل الحكومة المصرية وألقى به أرضا .
- تطلعت القيادة السورية للوحدة مع عبد الناصر إنقاذا لنفسها من الإفلاس .
- حياة الإنسان فى منزله ذليلاً أشقى من السجن ومتاعبه .

**عمر التلمسانى ، واحد من الطراز القوى من الرجال . لاينِدم على مشوار حياته ، بكل ما فيه من تضحيات وآلام .. ونتركه فى هذه الحلقة يستعرض شريط ذكرياته ، فى لحظات الصفاء والشفافية .. فذكرياته تاريخ وأحداث،ويقول :**

تمضى بى الذكريات ، فتشدنى إلى يناير ( كانون الثانى ) ١٩٥٤ ، حيث اجتمع أول برلمان سودانى ، الأغلبية فيه تطالب الاتحاد مع مصر فى دولة واحدة .. فانظر اليوم إلى مفاوضات التكامل بين القطرين الشقيقين ، ترى أن التاريخ يعيد نفسه حقا .. وسؤالى إلى الله أن تنجح محاولات التكامل حتى تصل إلى الاندماج الكامل ، وأن يجنب جهود التكامل ما انتهت إليه جهود الوحدة فى ذلك الوقت .

ولعل مبادرة السودان بتطبيق الشريعة الإسلامية يكون لها أثرها الفعال ، لأن وحدة التقنين أساس من أسس التكامل والاندماج . وبهذه المناسبة ، فقد أثار تصريح الرئيس نميرى بأن الإخوان ، هم إخوان الشياطين دهشتى، لأن الإخوان لم يمدوا إليه يدا بسوء ، بل على العكس ، فقد تحدثت — كما ذكرت قبل ذلك — عن تطبيق الشريعة فى مجلة البرلمان فشكرت تلك الخطوة ، وسألت الله أن يصاحبها التوفيق عند التطبيق . ومع كل فإننا لا نبادل غيرنا التنابذ والشقاق .

## حادثة الطربوش

أذكر أنه فى الشهر نفسه ـــ يناير ( كانون الثانى ) ١٩٥٤ ـــ طرد « طوغاى » سفير تركيا من مصر لخروجه عن القواعد الدبلوماسية للسفراء فى التحدث عن الدول التى يمثلون دولتهم فيها . فردنى هذا التصرف الى مثيله فى تركيا ـــ على عهد الملك فؤاد الأول ـــ ففى ذلك الوقت رأس « كمال اتاتورك » جمهورية تركيا العلمانية ، وألغى الخلافة . وفى إحدى الحفلات الرسمية فى قصر رئاسة الجمهورية ، تقدم مصطفى كمال أتاتورك من عبد الملك حمزة بك ، وأخذ الطربوش من فوق رأسه وألقى به على الأرض ، لأنه كان قد ألغى الطربوش كغطاء للرأس فى تركيا .. وقد مر الحادث دون أزمات بين البلدين .

وفى الشهر نفسه أيضا ، صدر قرار مجلس الثورة بحل جماعة الإخوان المسلمين ، واعتقال فضيلة الأستاذ « الهضيبى » المرشد العام للإخوان المسلمين والدكتور خميس ، وحسن عشماوى ، ومنير دله ، وصالح أبو رقيق ، وفريد عبد الخالق، وصلاح شادى ، وفرغلى . ثم أفرج عنهم فى مارس ( أزار ) من السنة نفسها ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك . وقد التقى الشهيد عبد القادر عودة بعبد الناصر فى منزله ، وعاد ليخبرنا أن هناك أملا فى انفراج الأزمة ، كما زار المعتقلين فى العامرية ، وأبلغهم الخبر نفسه .

وأذكر كذلك أنه فى شهر فبراير ( شباط ) ١٩٥٤ ، حدثت قلاقل فى سورية فسافر جمال عبد الناصر وجمال سالم إلى هناك لمحاولة التوفيق بين الزعماء المتخالفين فى سورية ، ولعل فكرة الوحدة بين مصر وسوريا قد نبتت فى ذلك الحين ، حيث لمس عبد الناصر الأحوال هناك ، وأدرك سهولة الوحدة فقد كانت سوريا مفلسة ، وراغبة فى الوحدة للإنقاذ من الإفلاس ، وكان عبد الناصر بدأ يرنو إلى امبراطوريته التى تشمل المنطقة كلها من العراق إلى المغرب ، ولكن تأتى الرياح بما لا يتوقع الملاح !

ففى الشهر نفسه استقال « محمد نجيب » من رئاسة الجمهورية ثم عاد إلى منصبه بعد يومين ، وهكذا كان العبث ظاهرة ذلك الحكم حتى أعلى مناصب الدولة . وما كان ينتظر غير هذا ، لأن وظيفة الجيش هى حماية البلاد ، لا حكم البلاد ، وإنما الحكم للساسة الذين تمرسوا بشؤون الحكم عن خبرة وتجربة . ولكن شهوة السلطان غلابة ، وسحر الكرسى فعال .

ولا يفوتنى أن أشير أنه فى عهد الوزارات الوفدية ، كان الناس يشعرون بأمن واطمئنان أكثر مما يشعرون فى عهد غيرها من الوزارات الأخرى، هذا وإن كان بعض الأعيان من الوفديين يعكرون صفو هذا الأمن بشىء من التصرفات الحمقاء . كما أذكر أنه فى عهد وزارة

النحاس ، فتش البوليس منزلى ومكتبى فى شبين القناطر بحثا عن الكتاب الأسود ، الذى أصدره مكرم عبيد باشا ضد النحاس والوفديين ، نتيجة بلاغ كاذب قدمهٔ أحد الناس بأنى احتفظ ببعض نسخ من هذا الكتاب . ولم تكن عندى نسخة احتفظ بها لنفسى فى بيتى أو مكتبى . هذا إلى أنى أعتبر أن هذا الكتاب ما كان ليصدره مكرم عبيد باشا ، بعد أن عاشر حزب الوفد منذ نشأته إلى حين تكوينه لحزب الكتلة ، ذلك لأن وزراء أى حزب يطلعون على كثير من الأسرار الحزبية ، بحكم الثقة المفترضة فيهم أثناء مشاركتهم فى الحكم مع حزبهم . إنى لا أستسيغ هذا الإجراء ، وإلا ضاعت الثقة والأمانة المفترضة فى أعضاء الحزب الواحد أو الهيئة الواحدة . وقد بنيت رأى هذا على ما روى من أن أحد المنافقين جاء رسول الله ﷺ مسلما ، وكان إسلامه صحيحا وحقيقيا ، فقال لرسول الله ﷺ : إنى كنت رأسا فيهم ، فهل أدلك عليهم ، فألقى رسول الله ﷺ الدرس الأخلاق الإنسانى الرائع ، حيث قال : له ما معناه : « لاتفعل .. من جاءنا مسلما تائبا مثلك قبلناه واستغفرنا له ، ومن بقى على حاله ، فالله حسيبه » وختم حديثه هذا بدرس مازال يتعلمه العالم كله ، ويتأدب به ، ويؤمّن الناس على الكثير من أسرارهم ، قال له : « لا تخرق على أحد ستره » . هذا درس من دروس الدعوة الإسلامية ، ينشره الإخوان المسلمون على الناس ، ويتأدبون بأدبه ويعيشون فى جلاله .

## الدعم يضل الطريق

لقد حدثت أزمة فى عهد وزارة إسماعيل صدقى عام ١٩٣١ ، حتى بيع قنطار القطن بمبلغ جنيه ونصف الجنيه للقنطار . وألقى زراع البصل والثوم بهذه المحصولات على الطرقات ، لأنهم لم يجدوا من يشتريها لا بالجملة ولا بالقطاعى ، ورغم هذا فلم يشعر الناس بأزمة خانقة فى الغذاء ولا فى الكساء ، التى يشعرون بها اليوم ، أنا لا أنكر أن ارتفاع أسعار الضروريات حدث فى العالم كله . ولا أنكر أن دخل الفرد هناك ، قد يواجه تلك الأزمات ، ورغم ما بذلته الدولة من دعم لبعض السلع الضرورية ، ورغم المجمعات الاستهلاكية ، فقد بح صوت الشعب من قصور تلك الإجراءات أن تقاوم تلك الأزمات .

والذى أعجب له أن الاقتصاديين والكتاب قالوا مرارا إن الدعم لا يصل إلى أصحابه الحقيقيين ، وأنه يضل طريق الوصول إليهم ، فينحرف ليصل إلى من هو فى غنى عنه ، ممن يملكون شهوة تكديس الملايين فوق الملايين ، ثم بعد هذه الشكاوى الصارخة الحزينة ، لايزال الحال على ما هو عليه ، ولا يزال الدعم يتسرب من طريقه السليم ، إلى طريق غير مباح السير فيه . ماذا نقول ؟! أصمم أصاب الآذان ؟ أم عجز فى المعالجة ؟ أم خوف من شىء لا يخاف منه المصلحون ؟! أم .. لا ! فلأسكت بدورى حفاظا على كرامة صوتى أن تضيع فى

غمار غيرها من الأصوات التي بحت ، ثم تعبت فيئست .

فى يوم ٢٥ مارس ( أذار ) ١٩٥٤ ، قرر مجلس الثورة إطلاق الحريات ، والإفراج عن المعتقلين السياسيين ، وخرجت من السجن الحربى حوالى الساعة الحادية عشرة مساء . وكان ذلك بعد صلحهم مع محمد نجيب . ولكنها لم تكن حركة يقصد بها عودة الحريات ، ولكنها كانت مناورة لما تلاها من صور القضاء على الحريات نهائيا ، فى عهد جمال عبد الناصر . وفى ١٨ إبريل ( نيسان ) ١٩٥٤ شكل جمال عبد الناصر الوزارة الجديدة برئاسته ، وهى الوزارة التى تم خلال حكمها أفحش فظائع التعذيب فى مصر . ولو كان المشيدون بجمال عبد الناصر ومفاخره المزعومة ، غير متجنين على الإخوان المسلمين ، لذكروا سيئاته مع حسناته التى لا يعرفها سواهم ، ولكنهم عندما يأتون إلى تلك المذابح يسمونها سلبيات ، وليس هذا من الإنصاف التاريخى فى شيء .

وفى إبريل ( نيسان ) من السنة نفسها ، وصلت بوارج الأسطول الأمريكى إلى الهند الصينية للاشتراك فى الحرب الدائرة هناك ، إذا تدخلت الصين الشيوعية بقواتها . ونشرت الصحف أن العراق طلب التدخل العسكرى الأمريكى ، كما طالبت فرنسا من الولايات المتحدة ، التدخل العسكرى فى الحرب الصينية ، ومنذ ذلك الحين بدأت تتوالى اعتداءات إسرائيل على حدود البلاد العربية المجاورة لها ، وظل حكام تلك البلاد على حالهم من الاحتجاجات ، دون أى إجراء إيجابى ، وعلى هذا فليس فى موقفهم إزاء إسرائيل من جديد . واعترفت فرنسا باستقلال الهند الصينية .

وفى مايو ( ايار ) ١٩٥٤ صدر حكم على الأستاذ « أحمد أبو الفتح » بالحبس عشر سنوات ، وعلى المرحوم الأستاذ « أحمد حسين » بالحبس خمس سنوات مع وقف التنفيذ ، وسحب ترخيص جريدة المصرى فتعطلت عن الصدور . وفى الشهر نفسه انتصر مجلس الأمن لاسرائيل ضد العرب ، فقرر نظر مشلكة فلسطين بوجه عام ، بدلا من النظر فى اعتداءات إسرائيل واحدة واحدة ، ووقف بعض حكام المنطقة الموقف نفسه الذى يقفونه اليوم ، موقف التهديد الأجوف ، والوعيد الفارغ وهو موقف غريب ومحير فى الوقت نفسه إذا علمنا أن كل شعوب المنطقة على استعداد كامل للتضحية فى سبيل فلسطين حتى ولو استشهد الملايين منهم . وفى يونيو (حزيران) من العام نفسه ـ ١٩٥٤ ـ سافر فضيلة المرشد العام الأستاذ « حسن الهضيبى » إلى لبنان وسورية لتفقد أحوال الإخوان هناك ، وهناك صدر لفضيلته تصريح خاص بالمعاهدة التى عقدت بين عبد الناصر والإنجليز ، وقد أثار هذا التصريح غضب عبد الناصر ، وكان له أثره فيما تلا ذلك من أحداث عرفها الناس جميعا .

وفى الشهر نفسه قابل عبد الناصر الدكتور خميس والأستاذ عبد الرحمن البنا ، سعيا وراء التوفيق ، وإن كانت الأحداث لم تحقق تلك الآمال . وفى هذا الشهر صدر قرار بإلغاء تحديد إقامة النحاس باشا .

# المسجد والسياسة !

وإذا لم تخنى الذاكرة ، فإننى أتذكر أن وزير الأوقاف حلمى عيسى باشا فى يناير ( كانون الثانى ) ١٩٣١ ، أرسل خطابا إلى النحاس باشا ، وكان خارج الحكم طبعا ، يلفت فيها نظره إلى تكرار النداءات السياسية التى كانت تحدث فى المساجد عندما كان يصلى فيها النحاس صلاة الجمعة . فقلت لنفسى ما أشبه الليلة بالبارحة ، إذ أصدرت وزارة الأوقاف تحذيرا لخطباء المساجد التابعة لها ، من التعرض للمسائل السياسية ، ترى أى شر كان يصيب المسجد والمصلين ، إذا تعرض خطيب المسجد للمسائل السياسية أو ليس المسجد مكانا تستعرض فيه شؤون الحياة التى يحياها المسلم ، والسياسية شأن من هذه الشؤون ، وما قيمة الخطيب ، وما قيمة أثره فى نفوس الحاضرين فى المسجد ، إذا علموا أنه ممنوع من إرشاد المصلين إلى ما يهمهم من أمر حياتهم فى الأخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، إنه قرار يحمل كاهل من أصدره بأثقل التبعات : يوم يسأله الله لماذا فعلت هذا ؟.. فيتلفت من أصدره إلى اليمين واليسار ، باحثا عمن أوقعه فى تلك الورطة الثقيلة ، فلا يجد معينا ولا نصيرا ، فيندم على ما فعل، أقسم بربى صادقا ، أننا لو خاف كل منا ربه قبل أن يخاف الناس ، لكنا فى القمة على الصعيد العالمى . ولكننا حرصنا على العاجلة ، فضاعت منا الآجلة ، والأمر يومئذ لله .

فى أواخر يوليو ( تموز ) من العام نفسه عقد اتفاق مبدئى بين عبد الناصر وانجلترا ، على الجلاء عن مصر ، وقدم الإخوان رأيهم فى المعاهدة مكتوبا إلى رئيس مجلس الوزراء . وفى أغطسطس ( آب ) من العام نفسه حدث صدام بين الإخوان والبوليس فى مسجد الروضة بالقرب من منزل الأستاذ الهضيبى وكل هذه كانت نذرا بما سيحدث . وفى تلك الأيام كاد المركز العام يكون خاليا من الإخوان ، ليس فيه إلا الدكتور خميس رحمه الله ، وكنت كثير التردد عليه هناك كما كنت كثير التردد على دكان الحاج محمد جوده تاجر الأرز بخان الخليلى ، حيث كنت ألتقى ببعض الضباط الأحرار وكانت تدور بيننا محادثات لمحاولة ازالة الجفوة بين الإخوان والضباط الأحرار . وكانت تلك أياما عصيبة ، قدرت فيها مدى الأخطار التى كانت فى انتظار الإخوان على يد عبد الناصر ، ولكن أين المفر مما قضاه الله وقدره فى سابق علمه . قطعا لا مفر ، فقد كان قدر الاستشهاد فى انتظار بعض الإخوان من القيادة إلى القاعدة . وما كانت قيادة الإخوان بالمخدوعة ، ولكنها الأقدار !

## درس غاندى

ففي مرة حضر بعض الأعراب إلى المدينة مرضى ، فلما صحوا وشفوا طلبوا من رسول الله ﷺ ، أن يرسل معهم بعض القراء يعلمونهم القرآن ، فلما بلغوا خارج المدينة ، قتلوا القراء ورعاة الشياه واستاقوها . وقد حزن رسول الله ﷺ حزنا بالغا ، ولا يستطيع مسلم أن يقول إن رسول الله ﷺ والمؤيد بالوحى الذى كان يهبط عليه يخبره بالكثير ، أن يقول إنه خدع ، ولكنها الأقدار التى لابد أن تنتهى إلى ما قدره الله لها منذ الأزل . ولو عادت الأيام إلى عام ١٩٥٤ ، ما كان ليتغير شيء مما حدث . فليس لأمرىء عما قضى الله مهرب . لذلك أرى أن مسألة الذكاء والخداع يجب أن تستبعد عند التعرض لمثل هذه الأحداث ، لأنها لابد وأن تحدث ، وعلى الصورة التى تمت بها ، تنفيذا لحكمة لا يعلمها إلا الحكيم الخبير ، ومادام الإنسان قد بذل كل ما يجب عليه من الجهد والتفكير ، فما عليه بعد ذلك من النتائج . فما تدرى نفس ما الذى ستكسبه غدا .

ومما أذكره أنه ما من شاب أو فتاة ، دخل الإخوان المسلمين ، ثم تركها إلا لسبب من الأسباب الخاصة به هو ، لا بالجماعة ، إلا وتجد فى أعماق قلبه وخلجات مشاعره ، كثيرا من نواحى الخير لاتزال عالقة فى حنايا الضلوع . وتجده فى الوقت نفسه فياض الحنين ، رغبة فى العودة إلى صفوف الجماعة التى تربى فى أحضانها زمنا ، لم تنسه الأحداث حلاوة الانتماء ومتعته . وما من أحد دخل الإخوان ثم تركها لظروف فوق طاقته ، إلا وقد تركت بصماتها الراسخة على معاملاته وتصرفاته ، وحتى لو حلف يمينا بالطلاق بأنه ليس من الإخوان ، فلن يصدقه أحد . وهذا ما فعله عبد الناصر يوما ما مع الإخوان ، إذا اعتقلهم جميعا . حتى الذين طبلوا له وزمروا ، وأشادوا به وغرروا .

فى يناير ( كانون الثانى ) ١٩٣١ افرج عن غاندى ، وقد ترك الإفراج عنه صدى طيبا إذ ازددت إيمانا على إيمانى ، بأن صاحب الحق الذى يتمسك بحقه ، ويصبر على ما يصيبه فى سبيل هذا الحق ، لابد وأن يتحقق ما يتمناه ، أيا كانت ملته فهذا غاندى الأعزل ، شبه العارى ، قال لأقوى أمم الأرض فى ذلك الحين — انجلترا — ارحلوا من بلادنا ، فاعتقل وأوذى وهو العجوز الطاعن فى السن ، وكانت النتيجة أنه انتصر وياله من درس من دروس الحكمة يجب أن نلتقطه أينما وجدناه .

## الاستعلاء على الظالم

وأذكر يوما كنت فى سجن أسيوط ، وحضر أخى الأكبر منى . وبدأ يتحدث معى عن

التأييد للافراج عني ، فشكرت له عاطفته ، ولكنى طلبت منه أن يقفل باب الحديث فى هذا الموضوع ، وإلا اضطررت لإنهاء الزيارة فاستجاب .

ولا يظن أحد أن السجن مريح ، أو أن الإنسان يفضله على منزله ، ولكنى أعتقد أن حياة الإنسان فى منزله ذليلا ، خاضعا لمن أذله ، أسوأ وأقسى وأشقى آلاف المرات من حياة السجن ومتاعبه ، مع احتفاظ الإنسان بالاستعلاء على من ظلمه ، وإشعاره بأنه لايخشاه ، ولا يخاف منه ، وأنه أقوى فى ضعفه من الظالم فى عنفوانه ، حيث عجز هذا الظالم ، عن اقتحام حصن إبائه ومثله وعدم خضوعه لمن حاول أن يستذله . ولئن كنت لا أقر عنترة حين قال إن جهنم بالعز أطيب منزل ، لأننا جميعا نهرب من جهنم ، ولكنى أقرها من ناحية أخرى ، وهى إعتزاز الإنسان بنفسه واعتداده بكرامته ، تهوّن عليه كل ماقد يلقاه فى هذا السبيل .

كان من بدء خطواتى العملية فى جماعة الإخوان ، أننى سافرت إلى بلد اسمها دمهوج مركز قويسنا ، مديرية المنوفية . ومعى أخ اسمه « عزت أبو المعاطى » لإجراء صلح بين عائلتين كبيرتين هناك . إحدى العائلتين من الإخوان ، والأخرى ليست إخوانيه ، وبعد استعراض مسببات الخصام واحداثه تبين بشكل قاطع أن الحق إلى جانب العائلة الإخوانية . وهنا أردت أن أضرب لأهل القرية مثلا عمليا — حسب توجيهات فضيلة المرشد — فطلبت من العائلة الإخوانية التنازل عن كل حقوقها ، إزاء العائلة الأخرى ، وأن يذهب رؤوس العائلة الإخوانية لزيارة العائلة الأخرى فى منازلهم ، ليتعلم الناس كيف يعالج الإسلام الخصومات بين الناس ﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾ .

وفى الشهر نفسه ذهبت إلى طملة قليوبية ، لحضور اجتماع لجنة الوفد المركزية فى منزل آل علما باشا . وفى الشهر نفسه انتخب مكرم عبيد نقيبا للمحامين . ولم يكن وقتها ما يمنع الأخ المسلم من الجمع بين كونه أخا وكونه عضوا فى حزب من الأحزاب السياسية .

وتذكرنى نسبة الأصوات التى تحصل عليها بعض الأحزاب من ٩٩ ٪ فما فوق ، بهتلر الذى حصل فى انتخابات مارس ( اذار ) ١٩٣٦ على ٩٩ ٪ من أصوات الناخبين ، ويعتب بعض الناس على الشعب المصرى ، كيف يرضى بمثل هذه النسب المفتعلة ، دون أن يتحرك . ويصفونه بأنه شعب يرضى الهوان!.. ونسى هؤلاء أن الشعب الألمانى والإيطالى والأسبانى والبرتغالى ، من الشعوب الحية فى أوروبا ، ورغم هذا فقد . انفرد هتلر بالحكم الديكتاورى فى المانيا ، وموسولينى فى ايطاليا ، وفرانكو فى أسبانيا ، وسالازار فى البرتغال ، ولم يستطع شعب من هذه الشعوب يتململ أو يتحرك ، لأنهم جميعا كانوا مكبلين بالقهر والاستبداد والسجن والتعذيب ، فليس الشعب المصرى بالشعب الذليل ولكنه أبى ويحب الحرية ، ولو أتيح له أن ينعم بالحرية خمس سنوات فقط ، يتذوق فيها معنى الكرامة الإنسانية ، لاستحال

على أية قوة أن تخضعه ، مهما أوتيت من وسائل القهر والإعنات . وكم نتمنى لهذا الشعب الحبيب أن يتذوق معنى الحرية الصحيحة ، التى لن تتحقق له إلا فى ظل الشريعة الإسلامية .

* * *

# الحلقة
# الثالثة والعشرون

- حادث المنصة نتيجة طبيعية لانفراد السادات بالحكم .
- إيجابيات عبد الناصر إنه لم يشرب الخمر ولم تكن له تصرفات خاصة مشينة .
- لم أكن عضواً فى التنظيم السرى للإخوان وأشعر بالأسف لذلك .

**إن الطريق الوحيد إلى العدل والحقيقة ، هو ألا تسمح الأجيال لخصم أن يتخذ من نفسه قاضيا لمحاكمة خصمه إنما يأخذ كل طرف حقه فى حرية الإدلاء بشهادته أمام الأجيال، يدفع كل طرف بأدلته ومستنداته كاملة وحقيقية .. ثم نؤجل النطق بالحكم للأجيال المقبلة ، التى سوف يكون بمقدورها أن ترى التاريخ مبرأً من الهوى أو الإحساس بالغبن أو الضغينة ..**

**إن مجاهدا مثل « عمر التلمسانى » يحمل تاريخ ثمانين عاما على كتفه ، يتقدم للإدلاء بشهادته حول أربعة عهود وعاها وعاشها ، أثر فيها وتأثر بها ، لم يرتض أن يكون على هامشها ، فامتطى صهوة تضحياته وانطلق فى حلبة صراعاتها قاتلا أو قتيلا لافرق عنده ، المهم ألا يكون متفرجا !**

يقول الأستاذ « عمر التلسمانى » : ما كنت يوما من الأيام من أفراد « النظام الخاص.» فما أقوله عن هذا التشكيل بعيد كل البعد عن الهوى ، أو العلاقة بهذا النظام .

ويؤسفنى حقا أنى لم أكن يوما من أفراد هذا، « النظام » إن الرجولة الكاملة ، والوفاء

كله ، والتضحية فى سبيل الله بأغلى ما فى الوجود ، والفهم الصحيح السليم الشامل ، يتمثل فى هذا « النظام » كل ذلك كان يستوجب وجوبا حتميا أن يقوم هذا الجهاز بأى شكل من الأشكال ، ولو لم يقم الإمام الشهيد بإيجاد هذا الجهاز الرجولى النبيل ، لكان ـــ ومع كل الاعتذار ـــ مقصرا فى حق دعوته ، للأسباب الآتية :

١ ـــ الإنجليز يحتلون مصر .. الوطن ، ويصرفون أموره عن طريق المندوب السامى .

٢ ـــ اليهود نزلوا أرض فلسطين الشهيدة يذبحون أبناءها ، ويستبيحون مقدساتها ، ودول العالم تعطف على اليهود ضد العرب .

٣ ـــ البنوك الأجنبية تمتص دماءنا امتصاصا ونحن مستسلمون .

٤ ـــ الحرية منعدمة الوجود فكرا وكتابة وصحافة وتأليفا .

كل ذلك كان بالإسلام ، والوطن والشرف والرجولة يحتم أن يعد الأحرار للتخلص من هذه المهلكات ومن لم يفكر فى ذلك أو يعمل له ، أثم فى حق عقيدته ووطنه وشرفه ورجولته ، ، وما كان للإخوان أن يرضوا هذا الهوان . هذه هى الأسباب الحقيقية لإيجاد هذا التشكيل الذى كان لابد من وجوده ، حماية للدين والوطن والعرض والشرف .

هذا هو السبب الأول والأخير لقيام هذا النظام الخاص فى مصر ، الذى فاتنى شرف العمل فى صفوفه .

## اقتراح مثير

قد يقال إن الجيش يقوم بهذه المهمة ، وهذا حق لا مراء فيه ، ولكن تطعيم الجيش بمثل شباب النظام الخاص ، وتدعيمه بأفراده ، وهم مصريون مثل أفراد الجيش ، فلا مجال للحساسية . لقد كون جيشنا ما يسمى بالصاعقة ، وهى وحدات من أفراد الجيش فما المانع من وجود هذا النظام داخل الأحزاب ؟ إن افراد النظام الذين يعتدون على المواطنين يضاعف لهم العقاب . ووزارة التربية والتعليم خصصت مدارس للنبغاء النابهين من الطلبة ، فلماذا لاتكوّن الأحزاب فرقا للمنافسة فى التضحية والوفاء للعقيدة والوطن ، لا لتزج بها فى المنافسات الحزبية .

قد يثير هذا الكلام غضب الذين ينكرون هذا التشكيل ، وقد يثير الداعين لتشكيله لأنه ينتقد تصرفات بعض أفراده . فلا هؤلاء ولا هؤلاء أردت بهذا الرأى ، ولكنى أردت الخير لدينى ووطنى . فإن أصبت فبتوفيق من الله ، وإن أخطأت فعقل بشرى محدود « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » أما أن فضيلة المرشد العام الاستاذ الهضيبى رضوان الله عليه أراد باختيار الشهيد « يوسف طلعت » تصفية النظام الخاص ، فما دار ذلك فى خلد فضيلته ، ولكنه أراد أن

يعلن على الملأ أن هذا التشكيل ليس تنظيما سريا يعمل تحت الأرض ، للوثوب على حكم ولكنه تدريب لطائفة من الشباب على احتمال المشاق فى خلق فاضل . وكل من يظن أن النظام أعد بشيء مما يزعمون ، فهو واهم . إذ ماذا يستطيع ألف أو ألفان أو أكثر أو أقل فى مقاومة مئات الألوف من الجيش والشرطة والأمن المركزى ؟ إن هذا التشكيل واضح النبل فى مقاصده ، وفوائده أوضح من أن يدافع عنها ، ولكن ماذا نقول للعين الرمداء إذا لم تر ضوء الشمس ، أو ماذا نستطيع للفم السقيم إذا لم يتذوق طعم الماء .

لقد وقع فاروق فى حبائل الممرضة كاميليا التى كانت تعمل كممرضة فى مستشفى المواساة بالأسكندرية الذى كان يرأسه أحمد النقيب باشا ، وتكررت زيارات فاروق الليلية ، لذلك المستشفى ، فى استهتار بالغ ، ووصل علم ذلك إلى الدكتور رئيس المستشفى ، ولكنه لم يفعل شيئا ، وكأن الأمر لا يعنيه .

وضاق الدكاترة الشبان بهذه الصورة السيئة المستهترة ، وأفصحوا عن استنكارها ، فماذا كان جزاؤهم فى المحافظة على كرامتهم وكرامة المستشفى؟ كان جزاؤهم الفصل من العمل فى المستشفى ! سبعة من الأطباء يفصلون مرة واحدة لأنهم أرادوا أن يحافظوا على كرامتهم كأطباء ! لم تتحرك إدارة المستشفى ولم تتحرك وزارة الصحة ، ولم يتحرك مجلس الشعب وكانت فضيحة !!

وأذكر أن امرأة زوجها ذو مكان مرموق راقت فى عينى فاروق ، فذهب إلى منزلها فى غيبة زوجها ، ومعه ذو منصب عسكرى كبير ، ولأمر ما حضر الزوج فجأة فوجد الضابط الكبير فى غرفة الانتظار ، فسلم واتجه إلى حجرة نومه ، فمنعه الضابط الكبير وقال : إن مولانا فى الداخل .

فثار الرجل ، وصمم على الدخول ، فأرداه قتيلا بمسدسه ، والقصة معروفة بأشخاصها وأحداثها ، وكان لها أسوأ الأثر فى نفوس الشعب ، وكانت من الأسباب التى جعلت الشعب كله يتمنى إنهاء عهد فاروق بأى شكل من الأشكال . أعجب ما فى هذه القضية ، أن والد الزوج القتيل ، رضى بعد ذلك أن يكون وزيرا فى وزارة أقسم أفرادها يمين الولاء لفاروق .

هل هؤلاء رجال؟ وهل على مثل هؤلاء الناس تقوم نهضة أو يستيقظ شعب من رقدة العدم .

من أجل هذه الأوبئة وتخليص البلاد منها ، قام الإمام الشهيد حسن البنا المرشد الأول لجماعة الإخوان المسلمين الذين من بينهم اليوم من يرفع اسم مصر عاليا فى كل مكان .

وقد حدث التغيير فى يوليو ( تموز ) ١٩٥٢ لإنقاذ كرامة الوطن من مثل هذه السيئات ، ولكن للأسف لم يحدث ما كان متوقعا أن يحدث وانفلت العيار ، وانطلق البعض وراء ما يحب ويشتهى . فإذا بإحدى المغنيات تصبح عشيقة لفلان ، حتى تفوح الروائح

النتنة ، فتطرد ثم تعود بعد وفاة عبد الناصر لسيتقبلها من فى المطار فى حفاوة بالغة . عادت إلينا فى حالة سيئة فتستعيد صحتها فى البلد المضياف الكريم ، ولا خجل ولا حياء ، بل حتى ولا استحياء .

ويحتل آخر استراحة المطار ، وتتردد عليها إحدى ممثلات السينما المصرية اللاتى يعلمننا الوطنية والوفاء والخلق ، وكم يعلم الله أنهن أبعد ما يكن عن الطهر والعفاف والحياء .

وأشد إمعانا من هؤلاء فى الإثم من يرغم زوجة على الطلاق من زوجها ليتزوجها هو عن طريق التهديد والسلطان .

وأشقى من هؤلاء جميعا ، من يشيدون بهاتيك الفنانات ، ويصعدون بهن إلى ما فوق السحاب ، ثم يتركونهن هناك حتى يتحول السحاب إلى ماء ، فيسقطن مع الرذاذ إلى الأرض ، منخلعة رقابهن ، مبعثرة أعضاؤهن التى أضللن بها الكثير من الناس .

ولا تزال هاتيك « الفنانات » يتنقلن بين دولة وأخرى ويستقبلن فيها استقبالا ، ولست أدرى كيف يتزوج رجل فيه نخوة من رجولة من أمرأة تتزوج كل عدة أشهر من رجل ؟! اللهم اغفر لى فإنك حليم ستار !

## إيجابيات عبد الناصر والسادات

يطالبنى الناس أن أقيّم النظام الناصرى فى إيجابياته ، مع التزام التجرد والحياد . وما تجنيت عليه يوما ، فشخصه عندى أبعد ما يكون عن التهجم عليه . ذلك لأننى سمعت من بعض المحيطين به من غير العسكريين ، أنه كان لا يتناول الخمر ، أنه كان بعيدا عن المجال النسائى ، وأنه لما كان فى السودان كان كثير الانفراد بنفسه بعيدا عن تجمعات الضباط فى لهوهم وسمرهم .

ولكن كيف التحدث فى إيجابياته السياسية ، وأنا لا أرى فى تقطيع أواصر الصلة بين الدول الإسلامية أية إيجابيات .

فهل يرى المنصفون أن قيام القطيعة والشتم إيجابيات ؟

أما إنه أزال الإقطاع فلم يكن ذلك من جهوده ، ولكن جهود الذين مهدوا لهذا من الإخوان ومصر الفتاة .. ولا أرى فى ترك الماركسية تنتشر فى مصر أى نوع من الإيجابيات ..

أما من الناحية الاقتصادية فحسبى أن أردد قول خليفته السادات أنه تسلم الميزانية المصرية من عبد الناصر وهي تحت الصفر . وقول الأستاذ « مصطفى أمين » إن عبد الناصر أقام بين

كل مصنع ومصنع مصنعا .

أما مواجهة الاستعمار ، فمن فى مصر ما كان يقاوم الاستعمار ويعمل على التخلص منه . إننى لا أرى فى ذلك الحكم أية إيجابية يمكن أن تذكر لذلك العهد الطافح بالمآسى والأحزان . وأؤكد أنه لو دلنى مصرى واحد على إيجابية حقيقية لمسها المواطنون لأشدت بها فى استفاضة ودون تحرج .

أما نظام السادات ، فقد بدأ بداية طيبة ، فأفرج عن المعتقلين السياسيين والمحكوم عليهم سياسيا ، وإن كان الإفراج لم يتم فورا بل طال وقته حتى بلغ قرابة العامين من حكم السادات . ولعل جهاز مباحث أمن الدولة سبب التراخى فى الإفراج . وإنى على ثقة أن جهاز مباحث أمن الدولة يستطيع أن يقدم أكبر الخدمات من ناحية الأمن والأستقرار ، إذا قدم للمسؤولين تقارير مدروسة ومبحوثة بحثا دقيقاً مستفيضا ، دون الاكتفاء بالتقارير التى تقدم من أشخاص لايقدرون المسؤولية تقديرا دقيقا . إن أكبر واجب عليهم هو الحرص على التقريب بين الحاكم والمحكوم ، حتى تسير الأمور على طريق هادىء مستقيم .

لكن السادات لما أحس باستوائه على كرسى الحكم دون منازع ، استولى عليه غرور الحكم فانفرد بالتصرفات التى انتهت بالقبض على جميع معارضيه ، والقائهم فى المعتقلات ، التى ليس فيها أى مقوم من مقومات الراحة ، لمن اعتادوا حياة بعينها ، وكانت خاتمة مطاف حكمه حادث المنصة .

إن انتكاسة ١٩٦٧ ، كانت لا تمثل أى شىء فى نظرنا سوى فساد الحكم الذى ألفناه من المسؤولين منذ قيام حركة الانقلاب . فقد كنا نتوقع أن المصائب ستتوالى على مصر ، لأن الحكم واداراته شىء آخر مخالف كل المخالفة لادارة الفنون العسكرية . العسكرية أوامر وتنفيذ . نفذ ثم عارض . أما الحكم فحوار ومناقشة وحجة وبرهان وشورى وأغلبية وأقلية . فحرب ١٩٥٦ التى أسموها انتصارا ، هى حرب ١٩٦٧ ، نفسها التى اسموها نكسة ، وما هى بالنكسة ولكنها فضيحة العمر وعار الزمان .

كنا نظن أن تلك السنة ستنبه عبد الناصر إلى ما غاب عنه ، وأن مستشاريه فى حاجة إلى التغيير ، ولكن الحال ظل هو الحال حتى مهزلة أو تمثيلية التنازل عن الحكم ، ولم يخطر أبدا على بال عبد الناصر أننا استقبلنا تلك الهزيمة المنكرة ، استقبال من يعلم أنها ستقع حتما . فكتاب الله وشرعه ، والتاريخ نفسه يقطع بأن حكم الفرد ، لا نتيجة له إلا المصائب والبلاء والخراب ، كما حدث لهتلر وموسولينى وسالازار وفرانكو وغيرهم ، فهى لم تمثل شيئا جديدا فى تقديراتنا ، بل زادتنا إيمانا فوق إيماننا بأن الخاتمة الوخيمة اتية لا ريب فيها ، وبأسرع مما حدث . فليس أسرع من عقوبة من بغى .

## نلتزم القوانين الوضعية

إن جماعة الإخوان المسلمين غير معترف بها قانونا فى مصر . فأجهزتها التى تنتخب المرشد العام غير قائمة . ونحن نلتزم القوانين الوضعية ، وإن كنا لا نحترمها ، ونطالب بإلغائها . وكما قلت فى حلقة سابقة ان قانون الهيئة التأسيسية للجماعة ينص على أنه إذا تغيب المرشد لأى سبب من الأسباب ، ولم يكن وكيل الجماعة موجودا ، أو غير راغب فى العمل ، تولى أكبر أعضاء مكتب الإرشاد سنا القيام بمهام المرشد العام .

وتوفى فضيلة الأستاذ الهضيبى ، ونائبه الدكتور « خميس حميدة » فلم يبق هناك لحمل التبعات إلا أكبر أعضاء مكتب الإرشاد سنا ، وكان ذلك قدرى ، واعتقادى بأنى لست بالذى يملأ الفراغ الذى خلفه حسن البنا وحسن الهضيبى ، ولكنها إرادة الله ، ووفاء ببيعة فى عنقى ، ولم أحمل المسؤولية على أن هناك قانونا وضعيا يعترف بوجودها ، ولم أحمل المسؤولية تحديا للقانون ، ولكن الصلة التى بين الإخوان جعلتهم ينظرون إلى كمرجع لهم فى كل أمورهم الخاصة والعامة . هذا إلا أن موقف الحكومات من هذا الوضع ، والتحدث معى كمسؤول عن الأخوان ، زاد هذا الأمر رسوخا وتوضيحا ، فنادانى الناس باسم المرشد العام ، وهو وصف لا أدعيه ، وشرف أتقبله ولا أنكره ، بل إنى أعتبره اعترافا ضمنيا بوجود الإخوان قانونا ، وأنى مرشد لهم خاصة بعد أن استدعانى السادات رحمنى ورحمه الله ـــ لمقابلته باعتبارى رئيسا للإخوان المسلمين . وهو الأمر الذى لم يحدث من الرئيس الحالى حتى اليوم . لماذا؟ لست أدرى . وللسياسات العليا أطوارها وتقلباتها ، حسبما يقدر كل مسئول . ويعلم الله قدر زهدى فى هذه المظاهر ، بدليل أنى لما قابلت السادات عام ١٩٧٩ فى ركن القناطر الخيرية ، أخبرنى أنه أمر سكرتيره بنشر هذه المقابلة فى الصحف ، فرجوته رجاء ملحا ألا يفعل ، فاستجاب واستدعى سكرتيره الخاص وأمره ألا ينشر شيئا عن هذه المقابلة التى كان يسيل لعاب الكثيرين على نشرها ، لأنها تعطيهم مظهرا فى مقابلتهم للحكام ، وهو الأمر الذى لا أحب الاقتراب منه بأى شكل من الأشكال .

هكذا يعتبرنى الإخوان بهذا اللقب الضخم الذى تنوء بحمله أكتاف الرجال ، والمنة والفضل والأمر لله وحده . ومن ذا الذى يستطيع أن يدعى أن له الخيرة من أمره .

## لماذا كان تأميم قناة السويس

أذكر أنه فى مارس ( أذار ) عام ١٩٣٦ تباحث وزير المالية ومدير شركة قناة السويس فى مسألة زيادة أرباح الحكومة ، وزيادة عدد مندوبيها فيها ، الأمر الذى يدل على اهتمام

الحكومات المصرية بوضعية قناة السويس ، التي ينتهي عقد امتيازها عام ١٩٦٩ بتسليم كل الشركة وممتلكاتها وأسهمها دون أى مقابل أو تعويض ، وقد كان ذلك أنفع من الناحية الاقتصادية ، بدلا من تأميم الشركة ، ودفع عشرات الملايين من الجنيهات ، لا لشيء إلا لخلق أمجاد ومواقف بطولية ، كلفتنا ملايين الملايين ، وحروب فقدنا فيها الكثير من زهرة شبابنا وأسلحتنا ، ولكن كيف يوجد العمالقة دون هذه المظاهر الرنانة التي تلبس ملابس الوطنية . والله يعلم ما هي حقيقة هذه المظاهر البراقة ، التي تغرى على البعد ، حتى إذا جئتها لم تجدها شيئا على الإطلاق .

وفى إبريل ( نيسان ) من السنة نفسها افتتح الخط التليفونى بين القاهرة وبغداد وبمحادثة بين على ماهر وحسين الهاشمى . أذكر القارئ مرة أخرى أن هذه المعلومات عثرت عليها فى بعض المفكرات التى نسيها جنود عبد الناصر يوم أن أخذوا من بيتى فى المطرية كل الأوراق والمذكرات والقضايا التى كانت فيه . كذلك نفذ فى هذا الشهر حكم الإعدام فى « هواتيمان » الاميركى ، قاتل طفل « لندنبرج » أول من طار فى قفزة واحدة من الولايات المتحدة إلى انجلترا ، ولم يقل أحد إن الأمن قد أختل أو تقوضت دعائمه ، كما نفعل هنا فى بعض الجرائم العادية ، التى يُلبسها المغرضون ثياب التعصب والتآمر والإرهاب .

## الجمهورية الثالثة

سألنى الكثيرون عن موقفنا من حكم السيد « محمد حسنى مبارك » رئيس الجمهورية ، وكان جوابى الذى لم يتغير أنه بدأ عهده بداية طيبة ، فأفرج عن المعتقلين السياسيين ، ومنع الصحف من مهاجمة حكام البلاد العربية ، وإن كنت أود لو أن هذه الصحف سلكت ذلك الطريق دون أمر أو توجيه .

ولكنها لا تزال تظهر نفسها بأنها لاتتوجه إلا بتوجيه .

كما أنه أطلق لصحف المعارضة حقها فى النقد ، كما أنه حريص فى كل مناسبة على التصريح بالتزامه جانب الحرية ، وأنه لن يعدل عنها ، كل هذه مبشرات ، ومن حقه علينا أن نذكرها له .

ولكننا فى الوقت نفسه ، ومن حقنا عليه ، أن يرفع مضايقات لا مبرر أن تقع فى عهده ، وهو مسؤول عن توفير الأمن لكل مواطن يلتزم القانون . ولكن الذى يحدث ، وأظنه لن ينتهى ، أنه لا يمر أسبوع دون القبض على عدد من الإخوان فى كافة أرجاء البلاد ، ويساقون إلى الأقسام حيث يساء إليهم بمختلف أوجه الإساءة وفى عنجهية ، ثم يظلون فى الأقسام ساعات أو أياما ، أو أسابيع ثم يفرج عنهم ، دون أن يعلموا لماذا قبض عليهم ؟!

ولماذا أفرج عنهم ؟! ومن يقدم منهم للنيابة تفرج عنه فى الحال .

وهذا تصرف لا يرضى عهدا ينادى بالحرية وأمن المواطنين . وقد كتبت صحف المعارضة فى هذا كثيرا ، ولكن دون جدوى .

ورغم ذلك فقد قلنا مرارا وتكرارا إننا لسنا معارضين ولكننا ناقدون وناصحون ، وهذا أضعف ما يمكن أن يكون . لسنا من عشاق المعارضة

* * *

# الحلقة
# الرابعة والعشرون

- هل قتل الإخوان أنور السادات ؟
- لاصلة بين الإخوان والجماعات التى اغتالت السادات .
- قلت للسادات : أشكوك إلى أحكم الحاكمين فاهتز غليونه وأرتبك .
- معارضتنا لمعاهدة كامب ديفيد منطلقها دينى لا سياسى .

سؤال ظل يتردد فى الشارع المصرى والحارة المصرية ، ومقاهى الفقراء الذين يتخذون من المقهى ساحة لالتقاط الرزق ، ومقاهى كبار السن ، الذين أحيلوا إلى المعاش ، ويتحلقون كل صباح حول رقعة النرد أو الشطرنج ، فإذا ما انتهوا من « نتف وبر » جيرانهم ومعارفهم بالنميمة بدأوا حديث السياسة ...

السؤال تردد أيضا بعد موت عبد الناصر المفاجىء — عمن قتله — وازداد الهمس به بعد مصرع السادات « والشىء بالشىء يذكر »

وأبناء البلد لا يعيرون التفاتا — فى مثل هذه الأحوال — لما تعلنه الصحف والإذاعات ، وإنما يحاولون استشراف ما وراء ظاهر الأمور بلماحيتهم المعتادة .

وهم وإن كانوا قد انبهروا وأُخذوا بجرأة « خالد الإسلامبولى » وحمدوا الله على أنه كان مصريا ، ولم يكن فلسطينيا أو سوريا أو ليبيا أو حتى من « الأولوية الحمراء » .. إلا أن سؤالا ظل يلح عليهم : من الذى أتاح لخالد الإسلامبولى هذه الفرصة ؟

أسئلة كثيرة ، وإيجابات أكثر ، من بينها سؤال بلا جواب ، عن علاقة « خالد الإسلامبولى » بالإخوان المسلمين .. وقد حملنا هذا السؤال إلى الأستاذ «عمر

التلمسانى » حتى يجيب عنه فى إطار مذكراته فقال :

يتساءل بعض الناس : ماذا كان يعنى مصرع السادات على أيدى عناصر دينية هى إحدى روافد الإخوان المسلمين أو «النظام الخاص » والصورة كما ترى تحمل اتهاما دون تحقيق ، وحكما دون محاكمة .

كنت أفهم أن يسأل الإخوان عن موقفهم من مصرع السادات فذلك أقرب إلى الإنصاف ، وردى على هذا الحكم.الجائر ، يتلخص فى الآتى :

● أولا : عقب ارتكاب الحادث ، صرح السيد رئيس الجمهورية « محمد حسنى مبارك » بأن الإخوان المسلمين لاصلة لهم بهذا الحادث . وهذا تصريح من أكبر مسؤول بالدولة . وهو رجل ما عهدناه أبدا يلقى القول على عواهنه . ولكنه المسؤول الأول عن كل ما يحدث فى بلده ، بما تحت يده من رجال المباحث . وتقارير أمن . ولا أرى بعد هذا التصريح إلا أنه وضع الأمور فى نصابها ، وكل من يتهم الإخوان بعد ذلك بحادث المنصة ، فهو إنسان لا يأخذ بتصريح أكبر رأس فى الدولة ، وهذا شىء لا يليق ، وأما أنه شخص مصمم على هذا الاتهام ، ولو أمسك بأدلة براءة الإخوان بيديه ، وقرأها بعينيه .

● ثانيا : صرح السيد « حسن أبو باشا » وزير الداخلية السابق بأن الجماعات الإرهابية لم تخرج من تحت عباءة الإخوان . وهو رجل مسؤول عن الأمن ، ولديه من المعلومات الدقيقة ما يمكنه من التحدث عن الأحداث بعلم ومعرفة . فكيف يقال إنهم من روافد الإخوان ؟

● ثالثا : إن السادات لم يعتقل الإخوان المسلمين فقط ، ولكنه اعتقل الوفديين وأعضاء حزبى العمل والتجمع ، ومن خطباء المساجد ، الذين عرفوا بنقد سيئات ذلك العهد . فلماذا ينحصر الاتهام بارتكاب الحادث فى الإخوان المسلمين . إن كل مسلم فى العالم ساءه أن يقول السادات عن أحد أئمة المساجد إنه مرمى فى السجن « زى الكلب » !!

● رابعا : أين هو « النظام الخاص » بعد عهد « عبد الناصر » ، لقد مضى على انفراط عقده بعد حل الجماعة ، ما يقرب من ثلاثين عاما كان كل فرد فيه مطاردا متعقبا من المباحث . فمتى اجتمع قادة النظام الخاص ؟ ومن هم ؟ وقد شنق أكثر رؤسائه، ومتى خططوا ودبروا ونفذوا .

● خامسا : لقد أشيع أن رصاصا أطلق من الخلف ، وإن الصفة التشريحية للجثة أثبتت هذا . ولا أقول إنها حقيقة مقطوع بصحتها ، ولكنها شائعة ، وإلى جانبها تقوم الحكمة المعروفة إنه « لادخان من غير نار » .

وقد كتب بعض أفراد من أحزاب مصرية أن السادات لم يقتله إلا مستشاروه وبطانة

السوء .

أظنني قد تقدم مني الكلام عن موقف السادات من الإخوان المسلمين ، قلت إنه أخرج الإخوان من المعتقلات ، وأنه ترك لهم جانبا كبيرا من الحرية في التنقل وإقامة الاحتفالات الإخوانية في المناسبات الدينية . وقد استقبل الإخوان كل ذلك بالحمد والثناء .

ولكن بعض الشائعات جرت بأنه إنما فعل ذلك لمقاومة التيار الماركسي ، وأنه أراد خلق شعبية عريضة لحكمه ، وقالوا مدللين على ذلك أنه لو كان يقصد الخير بالإخوان حقيقة ، لأعاد لهم وضعهم الشرعي ، وأعطاهم المركز العام وأملاكهم المصادرة وهو لم يفعل ، وأنه كثيرا ما تحدث عن الاتجار بالدين وهو يقصد الإخوان ، وأنه فصل قانون الأحزاب تفصيلا دقيقا لحرمان الإخوان من أية ظاهرة قانونية يباشرون دعوتهم عن طريقها .

كل هذه الشائعات ما كنا نقف عندها طويلا ، لأننا ما أمرنا أن نشق صدور الناس لنعلم ما في دخيلتها ، فذلك أمر متروك لله وحده ولكنه في آخر أيام حكمه بدأ يحمل على الإخوان حملات قاسية ، وقام رجال المباحث بتفتيش دار الإخوان قبل أحداث ٣ سبتمبر ( أيلول ) ١٩٨١ ، وتكشفت لنا الحقيقة واضحة منذ ذلك التاريخ ، لا عن غباء أو غفلة ، ولكن المسلم مطالب بالتماس المعاذير لغيره ، ممن يسيئون إليه « **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى** » وليس هذا شأننا معه وحده ، فبعض الفضلاء الذين كانوا في الإخوان ، وانفصلوا عنهم ، سمحوا لأنفسهم — وغفر الله لنا ولهم — أن يشيدوا بتصرفات عبد الناصر ضد الإخوان ، ويصفه ويصفهم ، بما يعلم هو نفسه أن ليس في ذلك شيء من الحقيقة وليس لنا عليه من عتاب .

وأظنني تحدثت كذلك عن المواجهة بيني وبين السادات عام ١٩٧٩ في ندوة الفكر الإسلامي التي عقدت في الإسماعيلية في ذلك التاريخ ، والجديد عندي هنا أنني علمت أن وزير الثقافة حينذاك السيد « منصور حسن » كان حريصا على أن تحضر الندوة كل الاتجاهات الدينية ، فطلب من السادات أن أكون من الحاضرين ، في محاولة منه لتصفية الجو المتعكر بين الإخوان والسادات ، وأنه ما كان يعلم أن السادات سيواجهني بمنبرياته في تلك الندوة على الصورة التي أذيعت على العالم كله . وأزيد أيضا أنني لم أطلب مقابلته ، ولم أسع إلى ذلك بالمرة ، فأنا أعلم بنفسي من غيري ، إن رضي عني ربي ، فكل ما على الأرض من مغريات ، هباء أمام ذلك الرضاء .

## قصة المواجهة

أما عن قصة المواجهة معه فكما ذكرتها من قبل في كتابي « أيام مع السادات » أنه في ليلة ٢٦ رمضان من ذلك العام ، طلب مني السيد منصور حسن وزير الثقافة والإعلام أن

ألقاه فى مقر عمله ، فذهبت إليه ومعى الأخ الكريم الحاج أحمد حسنين مدير التوزيع فى المجلة ، وظل الحديث بينى وبين الوزير من الساعة التاسعة والربع مساء إلى الساعة الحادية عشرة والنصف . وهو يحاول أن يقنعنى بحضور اللقاء الفكرى وأنا أرفض ، لأننى أعرف كبرياء السادات الجوفاء ، وحرصه على أن يظهر بمظهر المتعالى على الناس جميعا ، ولئن قبل منه هذه الصورة كل من تعامل معه فما كان يريحنى أن يتعالى على إنسان مهما كان وضعه وصفته ، لأننى لا أفتقر إلا لغنى الله ، ولا أذل إلا لعزة الله ، ولا أخاف إلا من بيده ملكوت كل شيء ، وليس فى كل هذا قلامة ظفر عند مخلوق ، مهما ظن بنفسه وظن به الناس ، فلما مضى بنا الوقت آخذين بأطراف الحديث . وتعبت من كثرة الكلام قلت له سأقبل الدعوة ولكنى لن أحضر ، فأجابنى بأنه رضى القبول ، لعلمه بأنى سأفى بوعدى ، وانصرفنا .

وكنت لا أتصور أن السادات سيخاطبنى بالأسلوب الذى يخالف سنة رسول الله ﷺ من ناحية توقير الكبير وأنا فى سن والده أو أزيد . ولكنه فعل ما ظن أنه يرضى غروره . ولكن ساء فأله ، فما كنت لأسكت على ما قاله فى مواجهتى كائنة ما كانت النتائج . ولكنه فوجيء بما لم يكن فى حسبانه هو ، ولا فى حسبان المحيطين به ، الراضين باستعلائه عليهم .

وفى ليلة ٢٨ رمضان من ذلك العام سافرت إلى الاسماعيلية فى صحبة الأخوين الكريمين الحاج مصطفى مشهور ، والدكتور عبد العظيم المطعنى . وعندما وصلت إلى مكان الاجتماع جلست فى آخر الصفوف ، وبعد دقائق جائنى المشرف على تنظيم الحفل ، وألح وأصر على أن أجلس فى الصف الأول ، وقلت إن ذلك تكريم منهم لى فتفاءلت خيرا ، ولعل هناك بدءا لتفاهم جديد ، ولكن هذه الجلسة كانت لغرض كشفت عنه أحداث الحفل ، فقد أجلسنى منظم الحفل فى الصف الأول على كرسى ، لو مددت منه خطا مستقيما لوجدته ينتهى عند الكرسى الذى يجلس عليه السادات فى المنصة ، وكأنهم أرادوا بذلك أن أكون أقرب ما أكون من السادات عندما بدأ سيل اتهاماته المنهمرة يترامى من حولى شمالا وجنوبا ويمينا ويسارا رجاء أن يصيب منى مقتلا .

## اتهامات السادات

تُهم لى وللإخوان لا حصر لها بتخريب وعمالة وإثارة للطلبة ، والفتنة الطائفية ، وكل ما فى أجواء الخيال والانسجام مع الجو الشاعرى الذى كنا نجلس فيه بين أحضان حدائق

الاسماعيلية الندية الوارفة الظلال . تهم من النوع الذى اعتاد السادات أن يلقيها على كل من لا يرى فيه نابغة الزمان ، وباتعة العصر والأوان ، وصاحب الهوى والخيال ما تعدى ، فالتهيؤات فسيحة الجنبات .

وطال السباب وضاق الصدر ، ونفذ الصبر ، واستثارتنى عاطفة الحب للإخوان ، فقاطعته قائلا : « إن هذا كلام يحتاج إلى ردود » فأجابنى : « لما أخلص كلامى رد كما تشاء » .. وظل سادرا فى غلوائه .

وعاب الحاضرون فى أنفسهم ، والذين سمعوه على أجنحة الأثير ، أنه كان فى نهاية كل مقطع من كلامه يقول : « موش كده ياعمر ؟ » استنكر الشعب كله ، حتى بعض من كانوا معه ، أن يخاطبنى باسمى مجردا ، غير مراع فى ذلك حرمة السن ، ولاطهارة شهر الله ، ولا الصفة التى منحتنى إياها الجامعة عندما أعطتنى ليسانس الحقوق ، ولا حرمة المنصب الذى يشغله ، والذى يجب أن يزدان بكل لياقة وتهذيب ، ولكن العيار انفلت و « البيبة » صهللت ، والخيال انفتح ، ولم يكن فى كل عيب من العيب الذى يحلو له دائما أن يردده ، وإنى لأحمد الله على أن أسلوبه لم يسوِّنى كما أساءه ، ولم ينل منى كما نال منه ، أليس البغى مرتعه وخيم ؟ وكان طوال مدة حديثه يشد الأنفاس الملهلبة من بيبته الأنيقة ، حتى ظننت أنها تدانيه بكل ماأراد ، وتوحى إليه بما شاء من نسج الخيال ، كان الله فى عونه وعونى . عونى على الصبر وعونه على الابتداع ، وما أن انتهى من حديثه ، حتى وقفت أمام الكرسى الذى كنت أجلس عليه ، ولم يكن أمامى مذياع ولا مكبر للصوت ، ولم يكن فى ذهنى رد بعد ، ولكن لأن الله سبحانه يدافع عن الذين آمنوا ، وأسأله أن أكون من بينهم ، ألهم منظمى الحفل أن يأتونى بمكبر للصوت ، أتحدث من خلاله ، ولعلهم حرصوا من وراء ذلك أن يسمعوا العالم اعتذاراتى وأسفى وحسرتى على ما بدر منى ، فيبعث ذلك الراحة فى صدره المثقل بعدوانه للإخوان المسلمين .

فندت كل التهم التى وجهها إلىّ وإلى الإخوان واحدة واحدة ، بالدليل والبرهان : وختمت ردى بالعبارة الآتية : « لو أن غيرك وجه إلى مثل هذه التهم لشكوته إليك . أما وأنت يا محمد يا أنور يا سادات صاحبها ، فإنى أشكوك إلى أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين لقد آذيتنى يا رجل وقد ألزم الفراش أسابيع من وقع ما سمعت منك » .

وأشهد صادقا أن « البيبة » ارتعشت بين شفتيه . وقال : « إننى لم أقصد الإساءة إلى الأستاذ عمر ولا إلى الإخوان المسلمين اسحب شكواك بقى » .

فأجبته بأنها رفعت إلى من لا أستطيع استرداد ما وضعته بين يديه .. وكانت أول مرة يخاطبنى بكلمة « أستاذ » طوال خطابه الممل الطويل .

وانتهى الاجتماع وأرسل لى فى أعقابه فورا وزير الأوقاف الدكتور عبد المنعم النمر والأستاذ منصور حسن وزير الثقافة والإعلام ، يبلغانى أمام من كان موجودا أن سيادة الرئيس لم يكن يقصد الإساءة إلىّ وأنه سيحدد موعدا لمقابلتى ، هذا اللقاء الذى لم أطلبه فى يوم من الأيام ، والذى زعم فى خطاب ٥ سبتمبر ( ايلول ) ١٩٨١ ، أننى طلبته ورفض .

وياله من رجل يستطيع أن يقلب الحقائق فى غير ما تأثُّم ولا تحرُّج .

## عمم وطرابيش وقبعات

تعب بعض الناس ، أو تعبت مصر كلها من صباح يوم الثلاثاء ٣ سبتمبر ( ايلول ) ١٩٨١ ، وكأنما أصيبوا بصدمة كهربائية من العنف الذى أكد السيد رئيس الجمهورية الحالى أنه لن يلجأ إليه .

ماذا تظن بشعب يحس بما يشبه الأمان ثم يفاجأ فى منتصف ليلة باقتحام بيوته ، وتهجم رجال المباحث عليه دون إذن من الجهات المختصة ، يفتشون المكاتب والغرف ، ثم يسوقون الناس مكبلين بالحديد إلى معتقل مزرعة سجن طرة ، أفواجا بعد أفواج ، ما من دقيقة تمر حتى يخرج من سيارات الشرطة « عمم وطرابيش وقبعات » وبعضها حاسر الرأس وبعضها فى قدمه حذاء ، وآخر فى قدمه « شبشب » وهم فى ذهول مما يجرى .

ماذا دهى مصر ؟ أى هول اجتاح الوطن حتى يساق أبناؤه من مختلف المشارب والنزعات ، لايجمع بينهم فكر ولا تنظيم ، إلا معارضة الحكم القائم ، وارتماؤه مخدرا أو والها بين أحضان كارتر ومناحيم بيجين وكسينجر السياسيون الساحِرون الفاتنون !

وجمعتنى الزنزانة رقم ( ٧ ) بالأخ الفاضل إبراهيم شرف — والأساتذة المرحوم القاضى . والدكتور عصمت سيف الدولة ، والأبناء أبو الفضل الجيزاوى والأستاذ كمال أحمد ، واثنين آخرين غاب عن ذهنى أسماؤهما . والكل فى حديث عن هذه التصرفات الهوجاء ، التى لا يدرى الناس لها سببا أو هم على علم بحقيقة الدوافع ويمنعهم عن الخوض فيها تصريحات السادات — المختلفة بأن الكلمة كلمة مصر ، والأرادة إرادة مصر ، وأنه ليس لأحد علينا وصاية وسبحان علام الغيوب وستار العيوب وغفار الذنوب ، ومن منح المصريين صبر أيوب !

أما الإخوان ولا أقولها تزكية ولكنها حقيقة تاريخية أنهم لم يروا فى ما حدث أمرا غريبا ، فطالما عرفتهم زيارات الليل البهيم أنهم عرضة لمثل هذه المفاجآت المسكينة وطالما عرفتهم زنازين السجون نزلاء يتلون آيات الله آناء الليل سجدا وقياما ، وما أكثر ما استقبلهم السجانون بالأكف المبسوطة ، والسيقان المرفوعة « تشلت » فى الهواء لتستقر حيث يريد لها أصحابها أن تستقر مع الترحاب بأعذب الألقاب ، ونسبة الآدمى إلى أبويه من كلاب أرمنت والوُلْـف واللولو .

كان الأمر بالنسبة للإخوان عاديا وأقل من عادى ، لأنهم كانوا موقنين بأن اعتقال غيرهم كان لتغطية اعتقالهم لموقفهم من إسرائيل فاحتسبوا كل ما حدث ويحدث عند الله فى صحائف المجاهدين .

ويتعب نفسه من يظن أن البطش والطغيان صارف للإخوان عن التضحية فى سبيل الواحد الديان . ومن يقرأ هذا البند يستطيع أن يتبين هل للمخططات الإسرائيلية دخل فيما حدث ، أو أنها من ورائه بشكل ما ، وكم من صمت أبلغ من كل كلام .

جرت العادة فى اعتقال الإخوان المسلمين أو سجنهم ألا يختلط بهم أحد من نزلاء السجون ، حتى فى لحظات التريض فى حوش السجن كان يخلى من جميع المسجونين ولا ترى فيه إلا سجانا وممرضا أو ضابطا يريد أن يضيع وقت فراغه فى حديث مع أخ ، شارحا له خطأ الإخوان وأنهم إرهابيون وأنهم مخربون .

والذكى من الإخوان كان يسمع ولا يرد إلا لماما ، أما الطيب القلب فكان يشرح ويحاول أن ينفى عن إخوانه دعايات السوء والتشهير والتشنيع .

أما فى أحداث ٣ سبتمبر ( أيلول ) ١٩٨١ فقد عايش الوفدى الناصرى وعايش الإخوانى التجمعى وكلنا عايشنا بعضنا بعضا على أكرم صورة تقوم عليها معاملة الناس بعضهم بعضا . ولا يأتى طعام من منزل أى واحد من المعتقلين إلا ويشترك فى تناوله أكبر عدد من غير أعضاء حزبه وهيأته ، ولا أزال أذكر بالخير والتقدير كل من لقيتهم فى تلك الأيام ، وما كانوا يشعروننى به من مودة واحترام لكبر السن ، وحرص الجميع أن يوفروا لى كل ما يستطيعون من وسائل الراحة . بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك ، إذ كان بعض أفراد حزب التجمع يمكنوننى بوسائلهم الذكية من الاتصال بمنزلى وقضاء حاجاتى وتوصيلها إلى . ما زلت أذكر ذلك بالشكر والتقدير ، فالمصائب تجمع المضابين كما يقول شوقى رحمه الله .

لم تدر بين المعتقلين مناقشات مذهبية ، فكل فريق كان له رأيه ، وكنا نحاول جميعا الابتعاد عن المناقشات فى الآراء والمبادىء مع احترام الجميع لبعضهم البعض ، والمبادرة إلى التعاون معه . كنا نتحدث فى الرياضة والموسيقى والفن . فى نظرتنا للأمور الدولية والسياسية

الخارجية بعيدين كل البعد عما يسبب اثارة وغضبا . ولو أن كل رجال الهيئات والأحزاب على الخلق الرفيع والأدب الجم الذى رأيته رأى العين من مختلف مذاهب المعتقلين لم يحدث ما يحدث من عنف وقسوة فى الكلمات التى تقرؤها فى صحف هؤلاء وهؤلاء .

كان انطباعى عن هؤلاء الرجال غاية فى الروعة .

ماذا أقول عن السادة فؤاد سراج الدين ، أو د . إسماعيل صبرى عبد الله أو الأستاذ فؤاد نصحى أو غيرهم ، إلا أن أقول : يالها من عشرة طيبة ، وأيام كشفت لكل منا ما لم يكن يعرفه عن الآخرين .

إن الأمر فى نظرى لا يعدو إلا محاولة بسيطة من السيد رئيس الجمهورية يلتقى فيها مع هؤلاء جميعا منفردين تارة ، ومجتمعين تارة ، ويستطيع بفضل الله أن يصل إلى مالم يصل إليه من سبقه ، من ناحية جمع الصفوف والالتقاء على أمر واحد فيما يختص بقضايانا المصيرية .

لا يفوتنى أن أذكر إنصافا للسادات أننى يوم أن قابلته باستراحة القناطر الخيرية فى ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٧٩ أننى وجدت أمامه مجموعة من أعداد مجلة الدعوة وأخبرنى أن الإسرائيليين يشكون ويحتجون على هذه الحملات الإخوانية . فأجبته بأن معارضتى لمعاهدة السلام والتطبيع وموقف إسرائيل بأجمعه مبعثه دينى محض ولا علاقة له بما يسمونه سياسة دولية أو غير دولية . وإن دينى يحتم على أن أستمر فى هذه الحملة ، حتى تنجلى الغمة . وراعنى حقا أن الرجل بعد الاستماع إلىّ قال لى بمنتهى الصراحة والوضوح والرضا : أكتب .

ولن أنساها للسادات ما حييت رغم ما لقيته منه يرحمنى ويرحمه الله .

* * *

# الحلقـــــة
# الخامسة والعشـرون

- ندعو إلى تجنيد الجميع رجالاً ونساءً وإلى تغيير جميع السفراء الحاليين !! .
- إيـران هاجمت الإخـــوان واتهمتنى بالعمـــالة للأمـريكـان ! .
- أطالب بتهجير إجبارى إلى السودان لتحقيق الاكتفاء الـذاتى .

فى حلقة سابقة أعلن الأستاذ « عمر التلمسانى » أن تشكيل حزب الإخوان المسلمين قضية واردة ، إذا كان ذلك هو الطريق لتطبيق شرع الله،وكان التصور الطبيعى أن دخول الإخوان المسلمين إلى الساحة السياسية كحزب سوف يفرض عليهم أن يدركوا مشكلات المجتمع المعاصر ، إدراكا واقعيا ، وأن يطوعوا أنفسهم لملاقاة هذه المشكلات . فالإنسان الذى عليه حد الزنى ـــ مثلا ـــ لابد أن يوفر المسكن الذى لا يلتهم أكثر من ثلث دخله . وأن تعمل على تخفيض المهور وتكلفة الزواج حتى يتسنى له إكمال نصف دينه ثم ترجمه حتى الموت إذا زنى . والذى ستطبق عليه حد السرقة لابد أن تتيح له مجال العمل الشريف المثمر حتى يتمكن من توفير كوب اللبن ورغيف الخبز والعلاج والتعليم لطفله ، ذلك الحد الأدنى من ضروريات الحياة فى أى زمان ومكان ثم بعد ذلك تقطع يده إذا سرق . ذلك هو جوهر الإسلام الحق وعدالته . ترى لو أعلن الإخوان المسلمون حزبهم ما هو البرنامج السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى سيتقدمون به إلى الجماهير ، ما هى الحلول البديلة التى يملكونها للمشكلات المعاصرة ؟ .

سؤال يجيب عليه الأستاذ « عمر التلمسانى » خلال هذه الحلقة من مذكراته .. فيقول :

إن الاشتراكية التى استوردوها كان يمكن أن يجدوا أفضل منها وأشمل وأنفع ملايين المرات

فى كتاب الله . يقولون إن الاشتراكية تذيب الفوارق بين الطبقات وقد نادى الإسلام بذلك من أول يوم بشر الرسول ﷺ بهذا الدين .

فلا فضل للون على لون أو جنس على جنس أو آرى على سامى أو غنى على فقير إنما التفاضل فى ديننا بالأعمال،فأينا قدم الخير للمسلمين ابتغاء وجه رب العالمين هو الأفضل .

وإن كانت الأشتراكية تدعو إلى الحرية وما نراها تحققت فى بلد اشتراكى على وجهها الصحيح فإن الإسلام أقامها قاعدة راسخة عاش الناس فى ظلها أحقابا يستمتعون بكل ما أكرم به الخالق خلقه فى حدود ما أمر ونهى .

وإن تحدثت الاشتراكية عن تكافؤ الفرص فقد أثبت الإسلام هذا عمليا يوم أن تولى التفسير والتعليم والأمانة والقيادة الأرقاء،فأموا السادة فى الصلاة وتولوا الرئاسة فى الأمصار على غير الأرقاء من المسلمين .

ولن ننسى أن « عمر بن الخطاب » عندما طعن قال : لو كان سالم مولى حذيفة حيا لما جعلتها شورى .

وإن كانت الاشتراكية تتحدث عن المساواة فقد غضب رسول الله ﷺ يوم أن قال سيد من سادات قريش لعبد : « يابن السوداء » ، وقال كلمته التى لا تزال تدوى فى أذن الزمان « طف الكيل . طف الكيل » ، وأحس السيد القرشى بغضب رسول الله ﷺ فوضع خده على التراب وأقسم ألا يرفعه إلا إذا وطئه العبد بقدمه .

هذا وغيره هو ما يتمناه الإخوان المسلمون وهم واثقون من نصرة الله لهم ، ومن تحقيق آمالهم : ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ﴾.

إنا لا نعلق الكثير فى ضوء تجربة الانتخابات الماضية ، فلم يقل البنا أو الهضيبى رضوان الله عليهما ، ولن يقول الذين يأتون من بعدهما إننى سأحقق لكم كل آمالكم قالوا : إننا بدأنا السير والله يرعى القافلة ، ولابد من الوصول بقوة الله القائل : ﴿ **إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا** ﴾ .

## سياستنا الخارجية

أما النظرة عند الإخوان للسياسة الخارجية فواضحة لا لف فيها ولا دوران ولا غاية تبرر الوسيلة بل نبل فى الغاية وشرف فى المقصد ووفاء فى العهد من غير التواء ولا تعلل .

إن الإسلام دين السلام ولقد فشلت كل الهيئات التى تحالفت أملا فى السلام . فعصبة

الأمم التى شكلت فى أعقاب حرب ١٩١٤ ـــ ١٩١٨ فشلت فشلا ذريعا فى كل شىء . وهيئة الأمم المتحدة لم يؤد قيامها أى نفع للسلام فقد سالت الدماء فى كل بقعة من بقاع الأرض ولم تفلح فى فض أى إشكال قام بين دولتين ، حتى من الدول المشتركة فيها . ومجلس الأمن الذى أقاموه وقننوا فيه حق الفيتو للدولتين القويتين لم يزد على أى « شرابة خرج » إلا إذا كان النزاع بين دولة إسلامية وأخرى غير إسلامية . فهنا ويل للإسلام والمسلمين ويتوارى حق الفيتو لا خجلا ولا خوفا ولكن تمكينا للظالمين .

ولعلنا لم ننس أنه لما أرادت روسيا أن تستولى على أفغانستان ودخلت جيوشها هناك كان أول تصريح لكارتر رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية حينذاك أن أمريكا لا تسمح للقوات الروسية بالتحرك خارج أفغانستان .

ومعنى هذا أن الولايات المتحدة لا اعتراض لها على ما فعلته روسيا ما دامت قواتها المسلحة لا تتحرك خارج أفغانستان . إن هذه الهيئات كلها لن تفيدنا فى شىء ويجب علينا وجوبا حتميا ألا نؤمل فى شىء منها خيرا أو نلجأ إليها إذا ما استمرت إسرائيل فى توسعها العدوانى . وحتى التكتل الخاص بعدم الانحياز كان أفشل من غيره، فدوله كلها قسمان قسم مع روسيا وقسم مع الولايات المتحدة، ولا تنس أننا لما طلبنا من الهند ـــ وهى إحدى دول عدم الانحياز ـــ قطع غيار لطائرات الميج ، أمهلتنا حتى تستأذن روسيا ، وطبعا رفضت روسيا .

إننا نعيش عالما ماديا بحتا وهو أقوى منا بلا شك ولكننا لو انفردنا بمحاولة الحصول على حياد تضمنه دول العالم لمصلحتنا ومصلحتها كما هو الحال فى « سويسرا » لكان ذلك أكثر نفعا لنا من كل المحاولات الأخرى التى تأرجحنا فيها بين روسيا سنوات وبين الولايات المتحدة أعواما وعادت علينا كلها بالوبال والخسارة الاقتصادية والتمكين لإسرائيل بمعنوية الدولتين اللتين ارتمينا فى أحضانهما حينا بعد حين .

أنه موقف بالغ الصعوبة والتعقيد، وليس فى أيدى حكوماتنا على اختلاف اتجاهاتها المذهبية قدرة حالية على التخلص من هذا الأخطبوط ولن أحملها فوق طاقة البشر بأن أطالبها بحل هذه الألغاز السياسية المدلهمة ولا أقول إن الإخوان المسلمين بإمكانهم التغيير بين يوم وليلة . إننا على ثقة من أن التعقيد الداخلى والخارجى يحتاج إلى أعوام وأعوام كى ينفرج ، ولكننا نقول ونحن مطمئنون إلى نفع ما نقول بفضل الله إنه يتعين علينا أن نصلح ما بيننا وأن تكون الحكومة والأحزاب والشعب يدا واحدة فى الأصول والفروع إلى حين، حتى نستوى على أقدامنا واقفين .

# الوحدة مع السودان

لقد فرطنا فيما مضى ففضلنا المصانع على المزارع فلم تنجح المصانع وضاعت المزراع

إننا فى وضع جديد مع السودان الشقيق ويجب أن نضحى فى سبيل الوحدة والاندماج . إن الانهمار السكانى وهو نعمة من نعم الله لجلال الرصيد البشرى لن يجد له متنفسا حيويا إلا أرض السودان .

ويجب أن يتفق البلدان على الهجرة الإجبارية لاستغلال الأرض هناك . والإخوان المسلمون أول من يمد يده ليجعل من السودان حقولا تحقق الاكتفاء الذاتى للبلدين بل وللتصدير بعد ذلك .

يجب أن يتفق البلدان على هذا وفورا واستعمال سلطة القانون هنا ألزم ما تكون لأن النتائج ستكون ارتفاع البلدين من وهدة الاستهلاك إلى ذروة الانتاج .

إن الأمم لا يرتفع شأنها بالرفاهية والراحة والدعة ولكن بالجد والتعب والصبر على المكاره . وهذا لن يكون ما دمنا على ما نحن عليه . مئات الألوف من الطلبة والطالبات يتخرجون ليتسكعوا فى الشوارع والطرقات والمقاهى انتظارا للوظيفة ، حتى إذا ما حصلوا عليها أصبحوا عبئا على الدولة،وهم الذين فى شبابهم ما يتمناه وطنهم من رفعة واعتزاز .

# دور الإعلام

إننا يجب أن نتبادل أول ما نتبادل التعاون بيننا وبين أشقائنا إن أعرضوا أقبلنا ، وإن صدوا تحملنا وإن أساءوا غفرنا ، وأخلق بمدمن القرع للأبواب أن يلج .

هذه الأجهزة الإعلامية التى لم ينلنا من ورائها إلا الفساد والتحلل فى الأخلاق والهمم والعزائم لماذا لا تقوم براجها على إيجاد روابط وثيقة بين شباب أمم هذه المنطقة بدلا من أن تصدر إليهم أفلام الجريمة والفحش والخنا لماذا لا ندعوهم إلى شاشاتنا فنعرف الشامى إلى المغربى والمصرى إلى الإيرانى والجزائرى إلى السودانى وهكذا على نطاق واسع،ينشأ ناشىء الفتيان منا ومنهم وفى قلبه بذور الحب للآخرين والتعاون معهم وسيتغير من الواقع الكثير يوم أن يصل هذا الشباب إلى مراكز الحكم والإدارة كل فى بلده . ولدينا من الوسائل لتوثيق الصلات والحب بين شباب هذه المنطقة وسائل لا حصر لها . وإذا يئسنا من الجيل الحالى فلتحقق

الأجيال القادمة آمالنا . هذا إلى أننى كما سبق القول لم أيأس لا من الجيل الحالى ولا من الأجيال المقبلة ولكننا نبدأ من اليوم وبما فى أيدينا وإذا كنا واثقين من أن الكلمة كلمتنا والإرادة إرادتنا فلماذا لا نقدم ونحاول والله معنا . وإذا كانوا يرتكنون على قوتهم فلماذا لا نركن إلى الله ثم نعمل ؟

إننى أدعوا إلى الحياة العسكرية والجندية لكل أفراد الشعب . كل رجل كل سيدة كل فتى كل فتاة يجب أن يتدربوا وأن يتعلموا حتى لا نفاجأ من الخارج بما هو فى حسباننا وما نتوقعه فى كل لحظة من اللحظات .

إن الذين دمروا المفاعل العراقى لن يتورعوا عن تدمير أية قوة فى المنطقة على حين غفلة من أهلها مهما كان من معاهدات أو أحلاف .

إننا يجب أن نتقوى عسكريا لا لنتعدى لكن لنحمى أنفسنا ، لأن الإعداد فى الإسلام لم يشرع للاعتداء ولكنه شرع ليرهب عدونا فنحيا آمنين نصنع ونزرع وننتج ونصدر فى غير ما خوف ولا فزع ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ .

إننا ندعو إلى تحسين صلاتنا مع كل دول العالم الخارجى وألا نجعل تفاضلا فى معاملاتنا معهم . وهى سياسة ستعود علينا بالنفع الكثير ، لأنهم جميعا ماديون يركضون وراء الدولار والاسترلينى والفرنك فلماذا لا نصل إليهم من الطريق الذى يحبون . إننا إذا فتحنا أبوابنا الاقتصادية للجميع تنافسوا إلى طرقها بما فيه نفعنا وفائدتنا ، إذا اتخذنا كل الأحتياطات الواقية من الغش والتلاعب والأختلاس والبنود اللولبية التى تحتمل العديد من التأويلات ذات الأوجه المتضاربة .

سياستنا الخارجية تحتاج إلى مهارة فائقة للإفلات من الفخاخ وتحتاج إلى وفاء وطنى ممتاز يرى بحسيس البصيرة ما بين الأحرف ، لا ما بين السطور فقط ويحتاج إلى متابعة لا تكل ولا تمل دائبة التقصى ليل نهار وتحتاج إلى سفارات وقنصليات من نوع آخر غير هذا النوع الراكد إلا فى المناسبات الرسمية التافهة .

إننا نرى رجال السفارات والقنصليات الأجنبية لا يجلسون إلى مكاتبهم ولكنهم يجوبون القاهرة والإسكندرية وأسيوط وما إليها طوال الأيام والأشهر بحجة زيارة أصدقاء تارة ، وبحجة السياحة تارة ، وبحجة المشتى والمصيف تارة وهم لا يعنيهم من وراء ذلك إلا التقصى والاستطلاع يجمعون فى تقارير ترسل إلى حكوماتهم التى تبنى سياستها معنا على ما حوته تلك التقارير من معلومات دقيقة وتفصيلات صادقة صحيحة . نراهم كذلك يزورون دور الصحف والمجلات والأحزاب على مختلف اتجاهاتها بحجة عقد صداقات مع رجالها ومابهم

الوفاء لمعنى الصداقة ولكنه التحرى والإخلاص لأوطانهم وفى الوقت الذى ترى سفاراتنا وقنصلياتنا راكدة ورجالها مشغولين بما لا يقدم لوطنهم أية فائدة أو مصلحة .

## العزف على السلام

سياستنا الخارجية يجب أن نبنيها على التغنى بالسلام على مختلف أدوات العزف . وفى صورة تظهر حقيقة نوايانا فى السلام وأننا صادقون فى التمسك به والدعوة إليه ، وإبراز عقيدتنا السلمية السلامية فى كل صورها وحرصنا على عدم التحرش بأحد . أمنيتنا أن نعيش فى سلام مع الجميع بدعوة المفكرين إلى زيارتنا والاحتفاء بهم وإرسال من يمثلنا أصدق تمثيل من الأدباء والشباب بدلا من هذه «التفاهة» و «الهيافة» من الراقصين والراقصات والمذيعات اللاتى لا يعرفن ما يحيط بهن من شىء ، إلا ما يحفظونه عن ظهر قلب ثم يخرجونه كلاما كله أخطاء مع ترقيق الراء والظاء فى رنين يبعث على الغثيان . كفى هزالا وكفى فقدان خبرة إن كنتم تريدون دعاة يشرفون مصر فى البلاد الخارجية .

سياستنا الخارجية فى حاجة إلى انقلاب كامل حتى ولو اضطررنا إلى تغيير كل القناصل والسفراء والأساليب التى عفى عليها ذباب الميكروب الفكرى ، وعششت فيها خنافس التراخى واللامبالاة . إنها فى حاجة إلى إشعار الجميع بأننا لا نشحد ، ولكننا نتبادل منافع. إنهم أحوج إلى المواد الخام منا إلى دولاراتهم وفرنكاتهم وماركاتهم ولو استطعنا أن نغرى بمميزات فى الكشف والبحث ليتنافسوا هم فى البحث عنها استمتاعا بالمزايا لكان أفضل من المعاهدات الربوية التى تمتص اقتصادياتنا امتصاصا وتوقفنا موقف الذل والحاجة إليهم فيستغلون حاجتنا إليهم أسوأ استغلال . لا أرى ــ وقد أكون مخطئا ــ أن يشرف أى أجنبى على مواقعنا العسكرية أو مصانعنا الحربية أو مصانعنا المدنية فطالما قرأت أن لدينا من الأكفاء المتخصصين من يصل إلى مستوى أولئك المشرفين أو يزيد فى تخصصاتهم . لا أحب أن نعادى أية دولة أخرى مسلمة أو غير مسلمة : ولعل موقفنا فى حرب العراق ــ إيران خير درس لنا .

## إيران تهاجمنى

إن إيران تحمل على الإخوان المسلمين وعلىّ أنا بالذات متهمة إيانا بأننا عملاء أمريكيون فلو بادلناها هجوما بهجوم لكنا من العاملين على توسعة شقة الخلاف بين المسلمين،وهم لا ينقصهم من يؤجج نار العداء بينهم سواء أكانوا أعداء عقلاء أو أصدقاء جاهلين .

كنت أود لو أنه من اليوم الأول لقيام الحرب أن تجتمع الدول الإسلامية عربية أو غير عربية لتصدر قرارا واحدا متفقا عليه فى الوقوف فى وجه الحرب ومنع التمادى فى الدمار الذى لحق بالدولتين ومازلت إلى اليوم أؤمل فى الله أن يلهم الدول الإسلامية الصواب المؤدى إلى إيقاف هذه المهلكة البشرية المفجعة .

إنى أرى فى سياسة السيد « حسنى مبارك » الخارجية بصيصا من الأمل إذ منع الصحف والمجلات المصرية من مهاجمة الدول الأخرى .

مرة أخرى أقول إن سياستنا الخارجية فى حاجة إلى تغيير شامل كامل فى كل وجوه التغيير . وقبل أن أترك هذه السياسة الخارجية أجدنى مضطرا إلى الاعتراض على اللقاءات الثنائية بين رئيسى دولتين .

إن المسائل التى تبحث هى مسائل خاصة بوطنى هذين الرئيسين وليست خاصة بشخص واحد منهما . وقد يلقى أحد الرئيسين ربه شأن كل مخلوق، فستذهب معه أسرار هذا اللقاء الثنائى الذى لا يعرف أحد ما جرى فيه وما انتهى إليه . لابد وأن يكون هذا اللقاء رباعيا على أقل تقدير حتى إذا ذهب من الفريقين أحد ، بقى من يقول لمواطنيه وقائع هذا اللقاء .

قد يكون هذا الرأى وليد عدم خبرتى بالملابسات السياسية العليا فى هذا الزمن العجيب ولكنه رأى يطرح وقد يأتيك بالأخبار من لم تزود .

أما سياستنا الداخلية فليس لى فيها إلا كلمة واحدة ، أقولها عن تجربة خضتها عشرات السنين: إن أى شعب لا يستمتع بحريته الكاملة لن يرجى له خير مهما حاول المصلحون . وإن الادعاء بأن الأمن فى حاجة إلى وقاية وأن الإرهاب فى حاجة إلى مقاومة فحجة يلجأ إليها من لا يرى أن الحرية نفسها وقاء من كل إجراء، وأن الحرية لا يحميها إلا الحرية .

إن الكتابة فى الانتماء لا خير فيها إلا إذا وجد المواطن حريته الكاملة فى بلده الذى ينتمى إليه، أما وطنه الذى يطارد فيه وتنتهك فيه حرماته وتصادر أمواله إرضاء لرأى حاكم فرد فقد يكون هذا الرأى صوابا كما أنه يحتمل الخطأ فى الوقت نفسه .

إن كل الأزمات غذائية أو سكانية أو .. أو . ، لا يمكن أن يعالجها العلاج الناجح إلا حرية الفرد، لأنه بحريته يتحمل التبعات كافة راضيا مستريحا لأنه صاحب الرأى الأول فى كل ما يجرى على أرض بلاده .

* * *

# الحلقــــة
# السادسة والعشــرون

- ثــوار يوليو تدربــوا على الســلاح فى عــزبة أحـــد رجـــال الإخـــوان .
- حســـن البنـــا حمـــل حـــذاء والـــد أحد مقاتلى حرب فلسطين .
- لمـــاذا أســـافر إلى الخـــارج بـــين الحـــين و الآخــــر ؟ ! .

قطع الأستاذ « عمر التلمسانى » تسجيل ذكرياته ، وسافر إلى ألمانيا لإجراء بعض الفحوص الطبية . حيث تعاوده الآلام ــ شفاه الله ــ بين الحين والآخر . وهو يعتقد دائما أن فى السفر سبع فوائد ، أهمها إلى جانب مداواة آلامه ، لقاءاته المتكررة بأخوة لم تأخذهم الغربة بعيدا عن دعوتهم،فالانتماء إلى الإخوان المسلمين فى القلب . وهم يهرعون إليه حيث يكون خلال رحلات علاجه حاملين له باقات الزهور والحب ، ملتمسين لديه حديثا عطرا عن ذكريات غالية عاشها ، أو مجددين عهداً وبيعة أو سائلين إياه فى أمر من أمورهم ، اتسع علمه وخبرته للفتوى فيه .

وحين عاد من رحلته ، عاود على الفور استكمال حلقات ذكرياته ليقول :

سافرت إلى أوربا وأمريكا وآسيا مرارا وتكرارا ، للعلاج من أدواء تحالفت على جسدى الكليل ، من كثرة ما تحمل فى زمن طويل . وفى كل مرة أسافر فيها إلى مكان أقصده للعلاج ، يتوافد إلى الإخوان من كل أنحاء أوربا وأمريكا لا للتهنئة بسلامة الوصول ، أو الدعاء بعاجل الشفاء وإن كان ذلك فى التقدير طبعا ، لكنهم يجيئون ليروا أخا عاشر الإمام الشهيد ، وجلس إليه وسمع منه وسعد بصحبته .. جاءوا يرون رجلا عاش فى الدعوة الطاهرة عشرات السنين قريبا من الإمام الشهيد الذى يتمنى كل واحد منهم أن لو رآه فى حياته ولو

مرة واحدة ، ليهنأ برؤية باعث الوعى الإسلامى فى العصر الحديث ، الذى أنار الطريق أمام جيله والأجيال المقبلة على كنوز هذا الدين ونفائسه الغالية ، التى تنقذ المسلمين مما هم عليه ، لو تمسكوا بتعاليمه ، جاءوا يرون صورة من صور الكفاح تروى لهم أحاديث الماضى القريب أو البعيد .. وتجلى لهم حقيقة هذه الدعوة ، وتدحض كل الأباطيل التى نسجت حولها ظلما وتزويرا .

ترى لماذا لم تحارب دعوة واحدة من دعوات الجماعات الإسلامية بمثل ما حوربت به دعوة الإخوان المسلمين من كل كاره لهذا الدين ؟ لماذا هذا التركيز فى التعقب والمطاردة على الإخوان المسلمين من أعداء الإسلام ؟ هل جاء الإخوان بدين جديد ؟ أبدا . هل اتبعوا غير الكتاب والسنة ؟ لا . هل نادوا بالعنف والإرهاب ؟ كلا على الإطلاق .

ورغم ما أفاضه الله على تلك البلاد — الأجنبية — من جمال رائع فإن كل هذه الروعة لا تساوى فى نظرى حفنة من تراب شارع مصرى أو طريق من طرق الحج المبرور .

## حسن البنا والقاضى

كان حسن البنا أشجع الناس فى إغاثة الملهوف ، متحديا كل أخطار الموقف . والشجاع ينقذ من يعرف ومن لا يعرف ، والجبان يفر حتى عن حماية أمه ..

مرت بمصر فترة انتشر فيها قطاع الطريق ليلا — وقد انتهت تلك الحال من زمن بعيد — يشيرون للسيارات بالوقوف إنقاذا لأزمة . فإذا وقفت السيارة انقضوا عليها وسلبوا أموال وملابس الراكبين . فى تلك الفترة كان الإمام الشهيد « حسن البنا » عائدا إلى القاهرة بعد منتصف الليل فرأى سيارة على جانب الطريق ، ورجلا يشير بالوقوف فلم يتردد لحظة وطلب من الأخ الذى كان يقود السيارة أن يقف . ونزل بمفرده يسأل الرجل عما يطلب . فأخبره أن بنزين سيارته فرغ ويطلب مددا من البنزين للوصول إلى أقرب محطة بنزين .. فى ذلك الوقت لم تكن الكلاكسات قد انتشرت بل كان التنبيه بالنفير — وهو بوق معدنى ينتهى بقطعة من الكاوتش مفرغة إذا ضغط عليها أحدثت صوتا — فنزع الإمام الشهيد الجلدة من البوق وملأها بنزينا عدة مرات من خزان سيارته وأفرغها فى سيارة الرجل . كل ذلك ولم يسأل الإمام الشهيد الرجل عن اسمه أو هويته أو دينه .. أو عمله شأن النبلاء من الرجال الذين يفعلون الخير ودهش الرجل من هذه المعاملة النبيلة فقدم نفسه إلى الأمام الشهيد قائلا :

أنا محمد عبد الرسول القاضى فى محكمة القاهرة .. فمن أنت ؟ قال الإمام الشهيد فى تواضعه المعروف : أنا حسن البنا المدرس فى مدرسة السبتية الابتدائية . فسأله القاضى حسن

البنا المرشد العام للإخوان المسلمين ؟ قال الإمام الشهيد : نعم . ومن يومها كان المرحوم الأستاذ محمد عبد الرسول أحد الألسنة الطاهرة التي تتحدث عن الإخوان المسلمين في الوسط القضائي . هذا موقف قصه على صاحبه يوم أن كان قاضيا في محكمة شبين القناطر . والله على ما أقول شهيد .

هذا هو حسن البنا الإرهابي الخطير الذي تحاول كل دول العالم الإسلامي محو ذكره .. وتحاول أن ترخي ستائر النسيان على مآثره وتاريخه الطويل العريض ، ولكن إنى لمخضوب البنان أن يمنع أضواء الشمس أن تنير الوجود ؟

## دربناهم على السلاح

ولو جاز للضباط الأحرار أن يحيوا ذكرى رجل من رجالات مصر لكان هذا الرجل هو حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين . فهو الذي مهد لهم الطريق وأعانهم على سهولة التنفيذ وهيأ الأذهان لتلك « الحركة » التي لولا جهوده لما تمكنوا من الوصول إلى ما وصلوا إليه .. حقا إن الحركة تمت بعد اغتياله بثلاث سنوات تقريبا . ولكن هل نسي الضباط الأحرار لقاءاتهم بفضيلته وبوكيله المرحوم الصاغ « محمود لبيب » أحد أبطال السلوم ؟ هل نسي الضباط الأحرار أنهم كانوا يتمرنون على الأسلحة في عزبة أحد الإخوان المسلمين وهو اليوم ، نائب في مجلس الشعب ويستطيع أن يقول الكثير ، ولكنه من الإخوان الذين لا يمنون على أحد بما قدموا في سبيل الله ، ومنتهى آمالهم أن يكون الله عنهم راضيا،هل نسي الضباط الأحرار لقاءاتهم مع اللواء صلاح شادي والأستاذين فريد عبد الخالق وصالح أبو رقيق والمرحوم الأستاذ حسن العشماوي وكلهم من الإخوان للاتفاق على قيام الحركة ؟؟

هل نسي الضباط الأحرار اجتماعاتهم مع الإخوان في منزل المرحوم فضيلة الشيخ محمد حسن الأودن ، وصلاتهم وتعهدهم بتطبيق شرع الله،بأي شيء أذكر ، وبأي شيء ؟ ! .

لو أنهم نفذوا ما اتفقوا عليه مع الإخوان ، لكان حال المنطقة كلها على غير ما هو عليه من فوضى وضعف واحتراب ، ولكن لله في كل ذلك مشيئته .

## أخلاقيات الإمام

هذا الرجل العظيم الذي أصبحت تعاليمه مدرسة بل جامعة عالمية لكل من أراد الدخول في طريق الإسلام عاملا فاهما مخلصا في كل أسفاره وتنقلاته لا تجد معه إلا حقيبة يد صغيرة من ذوات الثمن الزهيد . ليس فيها إلا جلبابه وزجاجة « كولونيا » ماركة « ٥٥٥ »

شبراويشى ! لا تسبقه فى رحلاته حقائب ولا تسير أمامه فى الطريق دراجات بخارية تكاليفها من أموال الأمة المسكينة .. ولا تسبقه إخطارات لكبار الموظفين ليستقبلوه فى أبهة ولا فخفخة، ومع ذلك فقد نسى الناس كل أولئك ، ولم يبق على صفحات الذكريات الغالية العذبة الرطاب ، إلا « حسن البنا » المرشد العام للإخوان المسلمين .

ليس « حسن البنا » فى حاجة إلى من يذكره ، لأنه أفضى إلى ما قدم من خير ولا نزكى على الله أحدا . ولكن الناس هم الذين فى حاجة إلى تذكرة ، يرطبون بها قلوبهم ، ويحيون بها عزائمهم . ويتشوقون من خلالها إلى طلائع النور المحمدى ، وأضواء هذا المد الإسلامى الذى ينتشر اليوم فى أرجاء الأرض إنتشار الأريج العبق فى خمائل العمل الصالح فى سبيل الله ﴿ **والعمل الصالح يرفعه** ﴾ .

لا يحرص على زى معين ، فتارة يرتدى الجلباب والعباءة والعمامة وطورا يرتدى البذلة لا يهمه أيهما أبهى أو أيهما أزهى .

ولو كانت هذه الرجولة تخشى أحدا إلا الله ، لقبع الإمام الشهيد فى منزله يأمن على نفسه البوائق ، ولكنه كان يدخل ويخرج وهو على يقين بأن الغدر يتربص به فى كل خطوة يخطوها،غدر دولة بأسرها لا غدر فرد أو جماعة . كان إيمانه بقضاء الله وقدره لا يعدله شىء، فله أجل لا تؤخره البروج المشيدة ، ولا تقدمه الجرأة والشجاعة السامية ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون** ﴾ .. إنى لا أعرض لهذا على أنه تاريخ فحسب ، لكنه دروس فى التربية وفى الشجاعة وفى التواضع والرجولة ، فى تحدى الأخطار ، وفى احتقار أعز ما يحرص عليه الناس .

لم يكن « حسن البنا » « كييف » شاى ولا قهوة لكنه لم يرفض أى شىء يقدم له فى بيوت من يزورهم من الإخوان أو غير الإخوان ، بل كان يثنى على مذاق ما يقدم له ويدعو لصاحب البيت ولأهله بكل خير ، دماثة فى الطبع ولين فى المعاملة ، وحسن استماع وكأنه يستمع إلى واعظ مجيد .

## عقلية منظمة

إن تنظيمه النشاطات الجماعية وتوزيع الاختصاصات وانتقاء القيادات من أدلة عقليته المرتبة المنظمة التى تقود من معها إلى أسلم الطرق وتجنبها المزالق والعثرات . فكان قسم الطلاب، والعمال والفلاحين والموظفين ، والمهن الحرة ، ونشر الدعوة والاتصال بالعالم الإسلامى خاصة والعالم كله عامة ، كل ذلك كان وليد تفكيره وتنظيمه . عبقرية مالها من

ضريب .. ومع ذلك فلا يزال الرسميون يتنكرون هذا النبوغ الذى لا يشرف مصر وحدها بل يشرف الإنسانية الطاهرة المحلقة فى أبهى مجالاتها ، وأنضر مظاهرها ، وأصفى أسرارها ودخائلها . لماذا ؟ لست أدرى . وإن كنت أدرى . فالقانون الوضعى يمنعنى !

كيف كان يحل المشكلات فى بساطة ويسر ؟ .. قضت ظروف أحد الإخوان أن يقيم فى مدينة من المدن ، بعد أن كان يقيم فى القاهرة . ورأى نائب شعبة الإخوان فى تلك المدينة ، أن الوافد الجديد أحق منه برئاسة الشعبة فرفض . وأصر كل منهما على رأيه ، حتى إذا ما جاء الإمام الشهيد إلى تلك المدينة تقدم إليه نائب الشعبة يطلب منه أن يأمر الوافد الجديد بقبول رئاسة الشعبة . وتفرس الإمام الشهيد فى وجه الوافد الجديد فرأى فى ملامحه تصميما على الرفض . فالتفت إلى نائب الشعبة وسأله : لماذا تريد التخلى عن رئاسة الشعبة ؟ فأجاب : لأنه أعلم وأكفأ منى . وقد عودتنا أن تضع الرجل المناسب فى المكان المناسب . فقال له الإمام الشهيد : هبك وأنت نائب الشعبة أخطأت ، فمن يصلح خطأك ؟ قال : فلان . قال الإمام : فإذا كان فلان هو نائب الشعبة وأخطأ ، فمن يصلح خطأه ؟ فسكت نائب الشعبة راضيا .

ليست الواقعة مقصودة لذاتها فى الذكريات . ولكن أسلوب التقريب بين رأيين مختلفين هو الذى يعنينى .. فلو أن كل مسؤول فى موقعه حرص على أن يأخذ بالأسلوب السمح اللين ، لذهبت الكثير من الخلافات بين الناس . ونتيجة لهذا الأسلوب البديع قل أن تجد بين الإخوان المسلمين خلافات مستحكمة أو مستعصية على الحل . فإن بلغ الخلاف مداه ، واستحال فضه وجه الله سبحانه غير المحق إلى الانسلاخ عن الجماعة فى هدوء .

## هذا هو التواضع

تطوع أحد الإخوان فى كتائب المجاهدين فى فلسطين وظن أبوه أن الأستاذ الإمام هو الذى أثر على ولده ، وحمله على التطوع . فجاء إلى المركز العام ثائرا وأخذ يناقش الإمام الشهيد فى حدة بالغة ويحمله تبعة هذا التطوع . وقدر فضيلته مشاعر الأبوة الحانية فأخذ يتلطف بالرجل . ويعده بأنه سيعيد إليه ولده من فلسطين حتى اطمأن الرجل . وكان ضعيف البصر ، وقد ترك حذاءه على باب الغرفة . فلما هم بالانصراف إذ به يفاجأ بما ليس فى حسبانه على الإطلاق .. فقد رأى فضيلة الأستاذ ينحنى ويحمل حذاءه إليه . ويضعه تحت قدميه ويهت الرجل . لأن هذا كان آخر ما يتوقعه من فضيلة المرشد بعد حديثه القاسى العنيف وقال : كأنما ألقى على المرشد بعض الماء البارد . يعنى أن كل ما كان فى نفسه قد زال .

ومرة أخرى ليست الواقعة محل اهتمامى ولكن خلق المرشد وبديع تصريفه للأمور وقدرته الفائقة فى تحويل الثائر عليه إلى محب له ومنقاد بكل عاطفة نحوه . ترى هل نرى لهذا المثل شبيها فى معاملة المسؤولين لمن هم دونهم ؟ . أم الحبس والتشريد والاتهامات لمن يقول لأى مسؤول « بم » !!

إن حب الشباب المسلم لهذه الدعوة وتأييده لها ، والسير فى طريقها ورفع شعاراتها والتحمل فى سبيلها كان سببه أن الإخوان يريدون العزة والمجد والقوة والحضارة للمسلمين ، يريدون القضاء على الاستغلال والاستعباد والسيطرة والتخلص من سلطان الاستعمار العسكرى والسياسى والاقتصادى والفكرى .

فكان الإمام يقول للمؤيدين له : ﴿ إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ﴾ .. ويقول للكارهين : ﴿ إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ ..

هذه هى القواعد التى زرعها الإمام الشهيد فى قلوبنا ، فاستمدت من دمائنا تدعيما ، وثبتت فى أخلاقنا تقويما ، وعلمنا الصبر والجلد والاحتمال والاحتساب والرضا .

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب

ما كان عنده شيء يعدل تلك الدعوة وما يجب أن يعمل من أجلها . حتى ولو تعالى من ليس مثله . ويهرب من لقائه من أراد القدر إلا يكون من لقائه بد .

لما تأزمت الأمور بعد مقتل المرحوم النقراشى باشا . وحاول فضيلته بمختلف الوسائل أن يصل إلى حل مع الحزب السعدى فكان يذهب إلى مكاتب مديرى الوزراء ليلتقى بواحد منهم فكان يترك فى مكتب مدير الوزير الساعة والساعتين . ثم يعتذر له مدير المكتب ، بأن الوزير خرج لأمر عاجل ولا يحتمل التأجيل . فلا يغضب ولا يثور ولا يعتبر الأمر ماسا بكرامته ، لأنه علمنا أن أى إنسان لا يستطيع أن يمس كرامة غيره أو ينال منها . ولكنه الإنسان نفسه هو الذى يهز قدر كرامة نفسه بما يأتيه من أفعال ، والمرء حيث يضع نفسه .

ويكرر الزيارة بلا ضجر حتى اغتالته يد الغدر والخيانة .

وكان الإمام الشهيد آية فى الذوق واللياقة والكياسة ومراعاة الأمزجة وما يصلح لها وما يناسبها . وما كانت تفوته فرصة دون أن تتجلى فيها كياسته ولباقته ولماحيته وأسلوبه الجذاب .

والأستاذ « عمر بهاءالدين الأميرى » من خيرة المجاهدين المعروفين فى الدعوة الإسلامية المعاصرة بذل فيها الكثير . وضحى من أجلها بأكثر من الكثير . كانت له صلاته الطيبة بالإمام الشهيد ، ويعرف فضيلة المرشد أن والد الأستاذ عمر الأميرى من عشاق الزهور تمجيدا للمبدع فى إتقان ما صنع .

وزار والد الأستاذ « عمر الأميرى » القاهرة ومكث فيها أياما ، ثم غادرها عائدا إلى بلاده .. ووصل إلى محطة السكة الحديد ، ولم يبق إلا خمس دقائق على مغادرة القطار للمحطة ، والأستاذ « عمر الأميرى » ينظر من شباك عربة القطار فإذا به يفاجأ بالإمام الشهيد قادما من أول الرصيف يحمل باقة من أجمل الورود والأزاهير ، ويسير بها مسرعا فيما يشبه الجرى السريع وما أن وصل إلى شباك العربة حتى قدم الباقة إلى والد الأستاذ عمر الأميرى مع التمنيات الطيبة بسلامة الوصول . فكان لهذه المجاملة الرقيقة أجمل الأثر فى نفس الأستاذ عمر الأميرى ووالده ، حيث قدر أن هذا المرشد الذى تضيق أوقاته بواجباته، لا ينسى فى زحمة مسؤولياته الجسام مثل هذه المجاملة الحلوة المخلصة .

إنه درس فى اللباقة ، فى التأثير فى التربية ، فى المعاملة الراقية والأدب العالى ، فى حساسية المجاملات مقرونة بالواجبات والمسؤوليات . لا تطغى إحداهما على الأخرى .. فيعد القائد إحدى خصائصه التى تؤهله لكسب المعارك . باختيار المواقف المناسبة والملابسات الدقيقة .

لقد كانت فى حياتك لى عظات　　　وأنت اليوم أوعظ منك حيا

ومن الناس من تؤذى رؤياه العيون . ومنهم من تحى ذكراه القلوب ، وما كل مصقول الحديد يمانى !!

* * *

# الحلقــــــة
# السابعة والعشـرون

- يا أهل مصـر احـذروا : إســرائيل ستعود لاحتـــلال ســـيناء .
- الإخـوان المسـلمون وحـدهم كانــوا هـدف اعتقالات الســادات .
- الأســـرار الحقيقيـة لأحـداث الزاوية الحمـــراء الأخـــيرة .

يفضح مائير كاهانا الحاخام العنصرى ، عضو الكنيست الإسرائيلى ، الوجه القبيح لإسرائيل ، بدعوته السافرة إلى طرد عرب فلسطين من الأرض المحتلة ، بدءا بسكان قرية « أم الفحم » .

إن « مائير كاهانا » هو حقيقة العدو الإسرائيلى ، بلا قناع من نوع « سلام كامب ديفيد » أو « السلام الآن » أو « حمائم حزب العمل » .. « مائير كاهانا » هو إسرائيل الحقيقية التى انتخبته ، وأوصلته إلى مقعد الكنيست ، ليجلس تحت شعار الحلم الصهيونى « إسرائيل .. من النيل إلى الفرات » .

إن الولوغ فى الدم الفلسطينى فى « صبرا و شاتيلا » ، فى غيبة النضال العربى والنخوة العربية ، أغرى العصابات الصهيونية بأن تبدأ عملياتها المجرمة لاستكمال أرض الإمبراطورية اليهودية ، دون خوف من وجود قوة عربية رادعة تتصدى لها وتوقفها .

والأستاذ عمر التلمسانى فى هذه الحلقة من مذكراته ، يطلق صيحة تحذير لمصر والأمة العربية ، موضحا المخطط الإسرائيلى الصهيونى ، الذى يسير بخطى واثقة نحو استعادة سيناء مرة أخرى من مصر بالقوة ، ليصنع خط حدوده على ضفاف النيل !!

يقول الأستاذ « عمر التلمسانى » : ما يرغبنى فى تدوين هذه الذكريات ، حرصى على أن أثير فى شباب هذا الجيل والأجيال المقبلة روح الغيرة على هذا الإسلام أن يمس من قريب أو بعيد، روح الغيرة على المسلمين وحالهم الزرى المهين بعد أن كان السلطان كله فى أيديهم ، ويرهبهم العالم كله . أصبحوا اليوم فى المؤخرة لا يأبه بهم أحد ، ويقضى فى شؤونهم دون علم منهم ولا إستئذان ، وكأنهم ذباب. روح الغيرة التى تجعلهم يحسون بمرارة الألم لما وصل إليه حالنا ، لعل هذا الإحساس يجعلهم يبيتون على أحر من جمر الجحيم يفكرون فى الخلاص من هذا العار الذى لحق بكل مسلم فى هذه الحياة ، العار الذى جلبه المسلمون حكاما ومحكومين على أنفسهم بمحض اختيارهم الذليل . إن أحدنا إذا مُس شرفه ثار وقتل ودمر، أما إذا مس ما هو أهم من شرفه وهو دينه وعقيدته وإخوانه المسلمون ، مر بالحال وكأنه لا يعنيه .

## جرائم اليهود

ويغتصب اليهود فلسطين المسلمة ، ومن المسلمين من يتعامل معهم حتى اليوم ، ويتبادل معهم الزيارات ، ويطبع العلاقات ، وكأن فلسطين ليست أرضا مسلمة ، وكأنما الفلسطينيون ليسوا مسلمين .

ويقتحم الروس أفغانستان ، ومن المسلمين من لا يسوؤه هذا الاقتحام ، بل ولعله يؤيده . وتحتل إسرائيل الجولان وجنوب لبنان ، ولا شيء إلا احتجاجات باردة ، تنزل على قلب إسرائيل أمنا وسلاما ، وتنزل على قلوب المخلصين حمما وضراما ، نريد الغيرة على هذه المقدسات فلا نسير غافلين ، ولا نحيا عابثين ، ولكن نروح ونغدو وفى أذهاننا فلسطين والجولان وجنوب لبنان وأفغانستان . ونمسى ونصبح ، ونحن نديم التفكير فى كيفية استخلاص هذه الأرض العزيزة الغالية .

إن مجرد التفكير فى الخلاص خطوة فى سبيل الاستخلاص وإن التهاون فى هذا مدرجة إلى ماهو شر منه .

إنى لا أتوقع ، ولكن كل تصرفات إسرائيل وأمريكا وروسيا والغرب والشرق ، تقطع بأنه متى أمنت إسرائيل جانب العراق وإيران بزوال قوتيهما الحربيتين ، نتيجة لهذه الحرب الضروس .. فستقضى إسرائيل على سيناء مرة أخرى ،كل هذه النذر الواضحة الدلالة ، والمسؤولون فى العالم العربى والإسلامى على ما هم عليه ، مما يثير غضب الحليم ، ويحطم أعصاب كل صبور حكيم .

نريد غيرة تعلن على الملأ ، أن الإسلام لا يزال حيا فى قلوب المسلمين وأن المسلمين مهما بدا على حالهم من سوء ، فإنه إلى حين ، وأنهم قادرون على استعادة أمجادهم ، وتبوُّء مكانتهم السامية ، بحركة عارمة تجتاح فى تدفقها مؤامرات الأعداء ومكائدهم .

## دعوة للنهوض

إننا إذا بذلنا الجهد ، ولم نصل ، وعلم الله ــ وهو العليم ــ أننا لم نأل جهدا فى الوصول ، تدخل استجابة للمضطر الذى تقطعت فى يديه كل أسباب الأرض ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض** ﴾ .

نريد غيرة تجعل هذه الذكريات حلوة حبيبة فى المستقبل الدانى منه والقصى .

إن أعداء الإسلام يعدوننا اليوم فى عداد الجثث الهامدة التى لا يرجى لها حياة،فهل أنتم كذلك يا شباب الجيل ! ؟

هكذا حركنا الإمام الشهيد ، حتى تفجرت الهمم ، ولاذت بالجهاد ، فلما أحس أعداؤنا بهذه الحيوية فى عزائم الشباب ، سلطوا عليهم من حكامهم من ناصبهم العداء ، واشتغل بمقاومة الدعاة إلى الله . بدلا من مواجهة أعداء الله هذه ذكريات من الماضى فهل لكم من ذكريات يفخر بها الأبناء والأحفاد ؟ ! .

إنها سبة الدهر ، وعار الأبد ، إذا لم تتحرك الشعوب الإسلامية وتنفض عنها غبار الذل والهوان ، فهل آن الآوان .

إن فى الأفق بصيصا من النور ، وفى سمت السماء طلائع للضياء ، وفى الله أكبر أهل الأمل عند العاملين المخلصين الأتقياء .

لا تستهينوا بأنفسكم ، ولا تقعدكم قوة أعدائكم ، والحياة حركة والتوقف موات ، والتراخى فوات . وما بعد اليوم من مستعتب ، وما بعد التحفز إلا الجنة ، وما بعد عدم المبالاة إلا النار فتخيروا لأنفسكم أحد المصيرين « **وما الله يريد ظلما للعباد** » .

## لو لم تقم دعوة الإخوان

من يدرى لو لم تقم حركة الإخوان المسلمين فى مصر عام ١٩٢٨ ماذا يكون الحال أيامنا هذه ؟ ! . كان الملك فاروق ــ رحمنى ورحمه الله ــ مستقرا على عرشه تسنده قوة الجيش

والشرطة . وكانت الأحزاب كلها تتملقه إلا سعد زغلول والوفد من بعده بزعامة النحاس باشا ، رحمهم الله جميعا ولذلك لم يل الوفد الحكم إلا سنين قليلة ، لكثرة ما يحدث من مواقف لا ترضى الملك فؤاد وفاروق من بعده ، وليس معنى هذا أنه لم يكن للوفد أخطاء ، فكل البشر خطاؤون إلا التوابين . ولعل مما آخذه على الوفد أنه لما طلب عبد الناصر — رحمنى ورحمه الله من الأحزاب — أن تطهر صفوفها من المستغلين والنفعيين وتجار السياسة ، بادرت الأحزاب كلها بما فيها الوفد إلى الاستجابة لهذا الطلب ، وامتلأت الصحف تنشر الكثير مما كان يدور داخل الأحزاب وتصرفات بعض أفرادها ، وذكرت أسماء ورويت وقائع كانت دليلا على المآخذ داخل الأحزاب ، قبل أن يطلب منها هذا الطلب ، وكانت فرصة اتخذها عبد الناصر تكئة فى إلغاء الأحزاب ، وبنى تصرفه على اعتراف الأحزاب بما كان فيها من مآخذ لا ترضى .

لو لم تقم دعوة الإخوان المسلمين ، وانتشار أعضائها فى جميع نواحى القطر يتحدثون عن فساد الملكية ، واستبداد الإقطاعيين بالفلاحين ، وإقتناع الشعب بما كان يقوله الإخوان ، لما فكر أحد فيما حدث من تغيير ، ولكن جرأة الإخوان فى التصدى للمساوىء فى ذلك العهد ، هيأت الأذهان لقبول أى تغيير .

ولو كان الإخوان يطلبون الحكم لاشترطوا على الضباط الأحرار اشتراكهم أو اشتراك ضباطهم فى الحكم ولصمموا على أن يكون أمثال الضباط عبد المنعم عبد الرؤف وأبو المكارم عبد الحى من بين أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وكان لضباط الإخوان فى الجيش منزلة ومكانة مرموقة ، ولهم فيه مواقف مشهودة ، كاتصال عبد المنعم عبد الرؤف بعزيز المصرى وغير ذلك من انتخابات نادى ضباط الجيش .

لو لم تقم دعوة الإخوان ورسائل إمامها ، وخطباء أفرادها ما كانت الأحداث السياسية أخذت هذا الموقف الذى يشبه هذه الأيام .

فالملك فى مباذله ، والأحزاب تتنافس على اكتساب رضائه ، والاحتلال البريطانى يثبت أقدامه فى مصر والسودان وغيرها ، وإيطاليا فى ليبيا ، وفرنسا فى تونس والجزائر والمغرب ، ولكنها الدعوة التى أيقظت كل هذه الشعوب ، ونبهتها من غفلتها ، وللأسف لم يكن الزعماء على مستوى المسؤولية ، فاستبدل كل قائد حركة ملكا بملوك متعددين ثم انفرد بالحكم المطلق دون الضباط الذين آزروه واستبعدهم واحدا بعد واحد حتى خلا له الجو فباض وأفرخ واستنسر .

لولا هذه الدعوة لتم التهام إسرائيل لفلسطين فى صمت واتخذ ذلك مظهرا عاديالا لوم فيه ، ولاتثريب عليه ولكن الإمام الشهيد حذر وأنذر ، وكافح حتى أحست الشعوب

الإسلامية بخطورة الأمور ، وأرغمت المسؤولين على التحرك ، ولكنهم للحسرة المحزنة تحركوا ليوقفوا حركة الشعوب الأسلامية ، ويخمدوا جذوتها بتصريحاتهم البالونية ، وأحاديثهم الجوفاء ، وإحتجاجاتهم « الفشنك » ، ولن ننسى تصرفات بعض حكام البلاد الإسلامية وإحدى الوزارات المصرية التى أتت أعمالا كانت تعين إسرائيل على تثبيت قدمها فى فلسطين خطوة بعد خطوة . ولا شك أن دخول وزارة النقراشي فى مفاوضات الهدنة مع إسرائيل ، كانت اعترافا ضمنيا بذلك الوجود ، كان الواجب ألا ندخل معها فى مفاوضات وكان الأجدر والأصح أن تكون المفاوضات بين مصر وانجلترا ، باعتبارها صاحبة الحماية على فلسطين من قبل عصبة الأمم دون أن نرضى بالقعود على مائدة المفاوضات مع إسرائيل باعتبارها طرفا فى ذلك النزاع ، وما هى بطرف .

ولولا دعوة الإخوان المسلمين لما اتفقت إرادة الولايات المتحدة وروسيا على محاربه الدعوة الإسلامية ممثلة فى تلك الجماعة ، ولما فكرت تلك الدول فى تكوين لجان لدراسة الصحوة الإسلامية ونموها وامتدادها ، وأسبابها ، وكيفية محاربتها ، فوقع ما وقع من تصرفات بعض الشباب المتحمس ، ولما ظهرت هذه الجماعات المتطرفة . بل ولوجدت الشيوعية الطريق أمامها ممهدا لاجتياح هذه المنطقة من أولها إلى آخرها ، ولولا محاولة بعض الحكام لاجتذاب مشاعر الشعب ، لما فكر واحد منهم فى أن يجعل الشريعة الإسلامية المصدر الأساسى أو الرئيسى للتقنين فى مصر ، ولما فكرت الأحزاب عند كل انتخاب أن تجعل البند الأول فى دعايتها الانتخابية تطبيق الشريعة الإسلامية .

ولولاها وما أصاب أفرادها فى السجون من تعذيب وتقتيل لما فكر الكثيرون فى إصلاح السجون وجعلها تابعة لوزارة العدل بدلا من تبعيتها لمصلحة السجون .

ولولا هذه الدعوة لسلم عبد الناصر والسادات من اللجوء إلى الأساليب التعسفية المضادة لكل شعيرة إنسانية من شعائر الحرية والكرامة وحرمة المواطنين، ذلك أن ما فعله السادات فى سبتمبر ( أيلول ) ١٩٨١ لم يكن مقصودا به المعارضة كلها ، ولكن الهدف الرئيسى من ذلك الاعنات كان الإخوان المسلمين وحدهم ، وما اتخذ ضد غيرهم ، لم يكن إلاّ غطاء لضرب الإخوان المسلمين .

ولولا الاستماتة فى محاربة الاخوان المسلمين ، لما بقيت الأحكام العرفية والقوانين الاستثنائية حتى اليوم .

## حرب صليبية جديدة

إن دعوة الإخوان المسلمين غيرت الأوضاع فى الشرق كله . لقد انتهت الحروب الصليبية منذ قرابة تسعة قرون ، ولكنها بدأت الآن وبطرق غير الطرق المألوفة فى ذلك الزمان ،

وبتنا نرى الشرق كله إما مع الولايات المتحدة ، وإما روسيا الشيوعية وكلتاهما لا هدف لها إلا القضاء على الدعوة الإسلامية الداعية إلى التحرير السياسى والفكرى والاقتصادى ، وليس أمامها من عدو مشترك إلا الإخوان المسلمين، وإلا فلماذا تجمع الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا فى « فايد » على إلزام الحكومة المصرية بحل جماعة الإخوان المسلمين ، وإلا احتلت القاهرة والإسكندرية . لماذا جماعة الإخوان المسلمين وبالذات ؟ ! .. أليس لهذا الإجماع من مغزى وهدف لا يخفى حتى على البلهاء ؟ ! وهل تلك الدول الثلاث أحن على مصر من حكومة ذلك العهد ، فتهدد بحل جماعة الإخوان المسلمين لأنها خطر على مصر ؟ ! .. لماذا الإخوان المسلمين بالذات ؟ ! .

ألانهم يهاجمون استغلال تلك الدول لهذا الوطن ، ويهاجمونها فى فاعلية وأعمال جدية ؟ وهل نسينا من الذى نسف مخازن الذخيرة فى أبى سلطان على ضفاف القناة فى الحرب العالمية الثانية ؟ ! .

إننى لم أستأذنه فى نشر اسمه « ع . ب . » حتى أخلده وعمله البطولى فى سبيل الله وحرية بلاده .. من أقدم على هذه المغامرة الجريئة ؟ إن تلك الدول التى لا تزال تستغلنا إلى اليوم تعرف حقيقة الإخوان المسلمين ، ولذلك لا هم لها إلا تعقبهم فى كل مكان ودولة إسلامية بمختلف الأساليب الشيطانية .

وسيعرف الناس قريبا أو بعيدا من هى اليد الآثمة التى دبرت أحداث الزاوية الحمراء ، وألصقتها بالإخوان المسلمين . إن أنس لا أنسى أن وزير الداخلية فى ذلك العهد ، استدعانى صبيحة يوم ذلك الحادث ، فقدمت له أسماء شهود عدول على ذلك الحادث ، فاستدعاهم واستمع إليهم ، لكن التحقيق أخذ مجرى غير صحيح لإثبات أن الإخوان المسلمين هم الذين اقترفوا ذلك الحادث . ولا يزال أصحاب الفضيلة المشايخ سليمان ربيع ومحمد الغزالى وحافظ سلامة وصلاح أبو إسماعيل وغيرهم أحياء يشهدون باجتماعاتنا مع وزير الداخلية فى ذلك العهد ، وبذل كل الجهود لإطفاء تلك الفتنة ، وسمانى يومها « أمير الأمراء » ، وإن كنت لا أدعى هذه التسمية بأى حال من الأحوال .

## مضايقات فى المطار

لولا الإخوان المسلمون لما زال حكم فاروق وظهر طغيان عبد الناصر الذى كان لا يخفى تصرفاته الجائرة ، ولما كان السادات الذى كان يحاول ستر استبداده بقوانين يقرها مجلس الشعب، أترك حسابه على الله ، حتى يصبح انفراده بالحكم مغلفا بقانونية التشريع، إننى ما زلت إلى اليوم محل مضايقات فى المطارات كلها ، ففى مصر ( اللهم إلا آخر عودة لى يوم

الخميس ١٥ أغسطس ( آب ) ١٩٨٤ ) ــ يؤخذ جواز سفرى عند الخروج ويعطل قيام الطائرة ، وعند العودة يؤخذ جواز سفرى وأنتظر الساعات الطوال حتى يرد لى ، ويؤذن لى بالخروج من المطار وفى بعض المطارات الأجنبية ، عندما يطلع ضابط الجوازات على الصورة والإسم تدور بينه وبين المسؤولين محادثات لاسلكية ، وقد حجزت مرة فى مطار ميونخ مايزيد على النصف ساعة حتى أذن لى بالخروج .

ولئن ظن المستبدون أنهم فى مأمن من أحداث الزمان ، فإن الله يمهل ولا يهمل ، حتى إذا أخذنا الظالمين ، أخذهم أخذ عزيز مقتدر وكل ما يصيب الإخوان فإنهم يحتسبونه عند الله لأنهم يعلمون أن الذين يعتدون عليهم لم يعتدوا عليهم نزاعا حول شركة تجارية أو ملكية عقار مثلا . ولكنهم يحاربونهم لأنهم الدعاة الحق إلى تطبيق شرع الله العزيز العليم . فالخصومة ليست بين الظالمين وبين الإخوان ، ولكنها بين الله وبين المعتدين والله أقوى الأقوياء ، لأنه على كل شيء قدير .

ولولا دعوة الإخوان المسلمين لما دخل عشرة من الدعاة إلى الله مجلس الشعب ، والبقية تأتى ، وإن غدا لناظره قريب . وكلمة الله هى المسيطرة فى خاتمة المطاف على أيدى الإخوان المسلمين أو غيرهم من الدعاة المخلصين .

ولولا دعوة الإخوان المسلمين لما طبق شرع الله فى السودان وسيلحق به غيره فى القريب إن شاء الله ، ولما ظهرت المجلات الإسلامية فى كل وطن إسلامى ، ولما انتشرت المؤلفات الإسلامية فى كل مكان ، ولما أخذ الكتاب الإسلامى مكانه فى كل معارض الكتب ، ولما عقدت المؤتمرات الإسلامية فى البلاد الإسلامية وغيرها ، ولما قامت الإتحادات الطلابية فى كل مكان تدعو إلى تطبيق شرع الله والاستمتاع بفضائله ومزاياه الإيجابية الفعالة ولما ولى علماء الدين وفقهاؤه وزارة الأوقاف بعد أن كانت وقفا على الباشاوات المطربشين ، ولما حرص كل وزير على التحدث عن الاهتمام بالدعوة الإسلامية وترشيدها ، وما كنا نسمع شيئا عن هذا من قبل ، ولولاها لما انتشرت البنوك الإسلامية ، تطهر المعاملات المالية من الربا الذى عبر عنه رب القدرة أنه محاربة لله ورسوله ، ولما نجحت هذه البنوك هذا النجاح الذى هز البنوك من جذورها ، حتى أصبح الشغل الشاغل للاقتصاديين فى العالم الربوى ، لأنهم لا يأخذونه مأخذا ماليا فحسب ولكنهم ينظرون إليه نظرة سياسية لها ما بعدها .

## الاسلام على الطريقة الأمريكية !

ولولاها لما فكر أعداء الاسلام فى احتواء الدعوات الإسلامية لتجعل إسلامها إسلاما أمريكيا أو شيوعيا ! ..

وهيهات فلحمها مر ، وعظمها صلب ، وفكرها ناضج ، ومن تكن تقوى الله نصرته يعز على كل طامع أو ظالم أو مخادع .

ولولاها لما بنى كل صاحب عمارة مسجدا فى عقر داره ، ولما قامت لجان الزكاة فى كل مسجد ، ولولاها ما امتلأت النقابات المهنية بالدعاة إلى الله ، وتبوئهم عضوية نقابات تلك المهن .

ولولا دعوة الإخوان المسلمين لما أممت قناة السويس ، ذلك أنه لما أحس عبد الناصر باستياء الشعب من مظالمه وحكمه الديكتاتورى ، أراد أن يلهى الشعب بمظاهرة وطنية جوفاء ، فأعلن من الإسكندرية تأميم قناة السويس . ويرى فريق كبير من الساسة والأقتصاديين ، أن هذا التأميم كبدنا من الخسائر ما ناءت به ميزانيتنا ، فقد غزت انجلترا وفرنسا وإسرائيل مصر بجيوشها ، ولولا تدخل إيزنهاور رئيس جمهورية الولايات المتحدة لوقع احتلال منطقة السويس كلها ، هذا إلى أنّ عودة شركة قناة السويس ومؤسساتها إلى ملكية مصر بعد ثلاث عشرة سنة من ذلك التأميم ، دون أن ندفع مليما واحدا للشركة ، بينما كلفنا ذلك التأميم المتسرع قيمة الأسهم والمؤسسات لكنها المظاهرات البطولية الجوفاء التى يقوم بها الطغاة لستر مظالمهم بمثل هذه الحركات ، بدليل أنه لما وقع الخلاف بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم ، وخرجت المظاهرات فى بغداد تهتف بسقوط عبد الناصر ، كان رده على ذلك أن قال لعبد الكريم قاسم ، إننا أنا وأنت — تعرف كيف ندبر مثل هذه المظاهرات لأننا « دافنينه سوا » . وتلك هى أساليب الطغاة فى تخدير الشعوب ، إذ يعترف عبد الناصر بسر هذه المظاهرات وكيف تتم وتدبر وتفتعل .

ولولا دعوة الإخوان المسلمين ومحاربة عبد الناصر لرجالاتهم بالتعذيب والتشريد لما هاجر الآلاف من المثقفين من مصر إلى الأقطار العربية المجاورة لها شرقا وغربا ، فنشروا فيها العلم والثقافة والجامعات ، ولهذا شبيه عندما احتل الأتراك القسطنطينية فهاجر علماؤها إلى أوربا فقامت بها النهضة التى مازالت تزدهر إلى اليوم من الناحية المادية البحتة .

لولا دعوة الإخوان المسلمين لما حدثت كل هذه الأحداث السياسية و الاقتصادية والعلمية وغيرها مما لا يحصيه عد ولا بيان .

ثم يتساءل المغرضون ماذا فعلت دعوة الإخوان المسلمين ، ولكن الغرض مرض وعندما تنتهى هذه الحرب المريرة للإخوان ودعوتهم ، وتنشر الوثائق ، وتعرف الحقائق ، سيعلم حتى من بأذنه صمم ، وبعينه رمد ، وبفمه سقم ، ماذا فعلت دعوة الإخوان المسلمين ، وما أظن أن هذا اليوم بعيد بفضل الله .

لقد قلت وما أزال أكرر إن أحداث هذه المنطقة منذ عام ١٩٣٦ إلى اليوم تدور اجتماعيا وسياسيا وعسكريا واقتصاديا حول محور واحد ، دعوة الإخوان المسلمين .

إن أعداء الإسلام يرون فى هذه الدعوة الواضحة الجريئة الصابرة ، النذير الصادق ، على أفول نجم سيطرتهم على هذه المنطقة .

إنهم لن يستعبدوا مصر ، وإن كانوا يضايقونها ، ولن يتمكنوا من استرداد خيبر ، وإخراج جثمان النبى ﷺ ، ولن يصلوا إلى هدم الكعبة الشريفة وستظل دعوة الإخوان المسلمين تنفخ فى بوق الحياة حتى يتحرك كل هامل ويستيقظ كل نائم ويجد كل كسول ﴿ **يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ .

* * *

# الحلقـــة
# الثامنة والعشرون

- هــذه هــى قصـــة علاقاتنــا بالشــيعة وهـــدفنا للوحـــدة .
- أئمـة الشـيعة أقـروا المكتبات الإسلامية ويوسع الخلاف معهم هدف الأعداء .
- لو كان حســن البنا حيــاً لســمعنا منه القول الصحيح فى أطفال الأنابيب .

**على الرغم من الموقف الإيرانى الرسمى المعادى للإخوان المسلمين وقيادتهم ، وعلى الرغم من الاتهام الموجه إلى شخص الأستاذ « عمر التلمسانى » بالعمالة للأمريكان ، من جانب نظام الحكم الإيرانى فإنه رفض مرارا مناقشة الخلاف المذهبى بين الإخوان المسلمين والشيعة ــ خلال حلقات هذه المذكرات ــ ترفعا عن الدخول فى معركة مذهبية مع طرف غير مهيا لهذه المعركة فى الظروف الحالية ، بسبب معاركه الدموية مع أشقاء له فى الإسلام . كان من الأجدى والأنفع أن يحل مشاكله معهم بالطرق السلمية ، بدلا من هذه الحرب المدمرة التى استنزفت أقوى قوتين عسكريتين إسلاميتين فى آسيا .**

**فى هذه الحلقة من مذكراته يمس الأستاذ« عمر التلمسانى » قضية الخلاف المذهبى بين الشيعة والإخوان .. فيقول :**

كان الإمام الشهيد رضوان الله عليه ، شديد الحرص على قيام الوحدة الإسلامية ، ولا يزال الإخوان المسلمون وسيظلون يعملون لقيام هذه الوحدة مهما لاقوا فى سبيل هذا المطلب الجليل لأن المسلمين أمة واحدة بنص القرآن : ﴿ **وإن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ .

وفى الأربعينيات على ما أذكر كان السيد القمى ــ وهو شيعى المذهب ــ ينزل ضيفا على الإخوان فى المركز العام ، ووقتها كان الإمام الشهيد يعمل جادا على التقريب بين

المذاهب ، حتى لا يتخذ أعداء الإسلام الفرقة بين المذاهب منفذا يعملون خلاله على تمزيق الوحدة الإسلامية .

## الخلاف السنى الشيعى

وسألناه يوما عن مدى الخلاف بين أهل السنة والشيعة ، فنهانا عن الدخول فى مثل هذه المسائل الشائكة ، التى لا يليق بالمسلمين أن يشغلوا أنفسهم بها ، والمسلمون على ما نرى من تنابذ يعمل أعداء الأسلام على إشعال ناره .

قلنا لفضيلته : نحن لا نسأل عن هذا للتعصب أو توسعة لهوة الخلاف بين المسلمين ، ولكننا نسأل للعلم ، لأن ما بين السنة والشيعة مذكور فى مؤلفات لا حصر لها ، وليس لدينا من سعة الوقت ما يمكننا من البحث فى تلك المراجع .

فقال رضوان الله عليه : اعلموا أن أهل السنة والشيعة مسلمون تجمعهم كلمة لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وهذا أصل العقيدة ، والسنة والشيعة فيه سواء ، وعلى التقاء،أما الخلاف بينهما فهو فى أمور من الممكن التقريب فيها بينهما . قلنا وما مثال ذلك ؟

قال : الشيعة فرق ، تشبه على التقريب ما بين المذاهب الأربعة عند أهل السنة .

فالشيعة الإمامية مثلا ، يقولون إن الإمامية أصل لازم فى الإسلام ولابد من تحققه ، وهم لا يقاتلون إلا مع إمامهم المنتظر ، لأن الإمام هو الذى يحافظ على الشريعة ، وقوله فصل فى أحكامها ، وطاعته ملزمة على الإطلاق .

وهناك بعض فوارق من الممكن إزالتها كنكاح المتعة ، وعدد الزوجات للمسلم وذلك عند بعض فرقهم ، وما أشبه ذلك مما لا يجب أن نجعله سببا للقطيعة بين أهل السنة والشيعة . ولقد قام المذهبان جنبا إلى جنب مئات السنين دون أن يحصل احتكاك بينهما إلا فى المؤلفات مع العلم بأن أئمتهم قد أثروا التأليف الإسلامى ثروة لا تزال المكتبات تعج بها . « انتهى رأى الإمام الشهيد » . ولولا أن الموقف اليوم بين إيران والعراق على ما هو عليه ، لتوسعت فى هذه الناحية ولكن من الخير دينا ألا نشتغل بأمر يوسع هوة الخلاف ، بين الشيعة والسنة ، وهو هدف من أهداف أعداء الإسلام .

فلا يجب الخوض فى هذه المسألة اليوم ، حتى يصفو الجو ، وتعود المياه إلى مجاريها ، وهناك ينشط كل من الفريقين فى بيان وجهة نظره ، إن شاء الله . وقد اكتفينا بهذا القدر فى مناقشة ذلك الموضوع تنفيذا لأسلوب الإمام الشهيد فى القضاء على الخلاف بين المسلمين .

# اتهامات المستشرقين

قلت إن أعداء الإسلام ومن نحا نحوهم من بعض المسلمين الذين يقدرون مؤلفات المستشرقين ، هؤلاء وهؤلاء هاجموا الإمام الشهيد فى قسوة ، واتهموه بزعامة الإرهاب والعنف . وقد وضح فضيلته والإخوان من بعده فساد هذه الاتهامات الباطلة ، ولكن الله سبحانه وتعالى يبعث لهذه الدعوة بين الحين والحين ، من يدافع عنها لوجه الحق دون أن يكون من بين أفراده ، وعلى سبيل المثال : فإن التليفزيون المصرى ، يذيع مساء الجمعة من كل أسبوع برنامجا اسمه « ندوة للرأى » يشرف عليه الأستاذ « حلمى البلك » ويحضر هذه الندوة علماء من الأزهر وغيرهم . وفى مساء يوم الجمعة ٢٦ من ذى القعدة ١٤٠٤ — ٢٤ أغسطس ( آب ) ١٩٨٤ « كنت أستمع إلى فضيلة الشيخ» عطية صقر » من كبار العلماء وعضو فى مجلس الشعب ، وهو يتحدث في تلك الندوة ، فإذا بى أسمع من فضيلته شيئا عجيبا يرويه على سبيل التاريخ .

قال فضيلته حفظه الله :

كنت أعمل فى الصعيد ، والتقيت مرة بداعية إسلامى كان يزور شعبة فى تلك المنطقة ، فسألته عن أسلوبه فى نشر دعوته فقال لى : نحن كمن يزرع قطنا ، والقطن يستمر فى الأرض عدة شهور تبلغ الستة أو السبعة ، ننقيه من الحشائش الضارة ، وننقيه من الدودة ، ونقضى على الحشرات الضارة به ،

ونرعاه حتى يستوى على سوقه ويستغلظ ، وتطيب ثمرته فنجنيها طيبة نافعة ، هكذا نحن ندعو على مهل ، ونربى على مهل ، وننتظر الثمرة على مهل ، فلا نقطفها قبل أوانها ، ومن أراد أن يتعجل الثمرة قبل نضجها فليس من أسلوبنا ما يفعل . « انتهى » .

هذه شهادة بريئة خالصة من شيخ جليل قال الحق من أجل الحق . بلا سابقة إعداد ولا تخطيط . فماذا يقول المغرضون فى هذه الشهادة ؟ ! .

أليس الله بكاف عباده المخلصين ، بمثل هذه الألسنة الصادقة ولا نزكى على الله أحدا ، صحيح أن فضيلة الشيخ « عطية صقر لم يذكر إسما بذاته ، ولكن العالم كله يعرف من هو الداعية الإسلامى الذى كان يجوب القطر من أقصاه زائرا لشعبه ومناطقه فى أرجاء مصر ، ويحدد هذا أن فضيلة الشيخ عطية صقر عندما تحدث عن ذلك الداعية قال : « رحمه الله « وبذلك حدد الإسم على وجه التخصيص .

## الإسلام والعلوم الحديثة

يعادى بعض المسلمين دينهم ، ويتهمونه بأنه لا يصلح للعصر الحديث ونهضته ، ولكن حسن البنا رضوان الله عليه ما كان يعادى علوم أوربا وأمريكا . ولكنه كان يحض شباب الإخوان على الاغتراف من تلك المناهل ودراستها والتعمق فيها ليصبحوا مكتشفين ومخترعين ففيها نفع للإسلام والمسلمين ، والحكمة ضالة المسلم ، يلتقطها ، أنى وجدها ، إن فضيلته كان يحض على التفكير فى علوم الفلك ، والنظر إلى أبعد ما تقع عليه أعيننا ، وذلك قبل أن تظهر فى الوجود سفن الفضاء ، كان يطلب منا أن نكون أساتذة فى التشريع والطبيعة والكيمياء والفلك ، وكثير منها لسلفنا المسلم فيها بحوث وآراء ، كجابر والفارابى وابن سيناء ، ومن لا يحدهم عد ولا حصر ، كان ينفى عن الإخوان فكرة التعصب ، فقد كان يرتدى البذلة الأفرنجية والطربوش التركى ، ويجلس إلى المائدة مستخدما الشوكة والسكين إذا استدعى المقام ذلك . كان يحمل زجاجة العطر فى حقيبة يده دائما . وكان يستقبل غير الإخوان واقفا ومرحبا ومبتسما . ولو كان حيا لسمعنا منه القول الصحيح فى أبناء الأنابيب ، وتحديد النسل . وغريب حقا أن يدعو بعض المسلمين إلى تحديد النسل فى الوقت الذى يجدُّ فيه علماء الغرب ويعلنون عن نسل الأنابيب ، وكأنه لا يكفيهم نسل الآدميين . حتى أنه لما عارض كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » للدكتور طه حسين ، رحمه الله ، كانت معارضته ألا نأخذ من الغرب المر والشر ، ولكن نأخذ الحلو والخير ، وهذا منتهى التسامح فى التقليد والبعد عن التعصب . كل ما كان عند أوروبا وأمريكا مما ينفع الناس ، كان يأمرنا بأن نتعلمه ونأخذه ونستعمله .

## ســـؤال !

هل لى أن أسأل ذاكرتى سؤالا ؟

يكتب الكتاب فى القارئين عن الإخوان المسلمين فى قسوة ، وفى اتهام ، وفى تركيز عن التشهير ، ويجاريهم فى هذا المجال الظالم بعض الكتاب فى مصر . وفى مصر ، وفى غير مصر جماعات إسلامية أخرى تخطىء وتصيب ، هذه حقيقة ، أليس كذلك ؟

وقد تستغرق هذه الكتابات الناقدة عن بعض الجماعات الإسلامية الأخرى حينا ثم تتوقف الكتابة ، وتنتهى الاتهامات والهجمات بعد حين ؟ وهنا يأتى السؤال الذى يراودنى

دائما ألا وهو : لماذا استمرت الهجمات على الإخوان المسلمين حتى اليوم ؟ لماذا تلاحقهم هذه الأقلام بصفة مستمرة ؟ ألم يفعل الإخوان إلا الأخطاء المتلاحقة ؟ ألم يفعل الإخوان المسلمون شيئا طيبا أبدا ؟

ألم تكن هناك حسنة واحدة ؟ لماذا لم تكتب هذه الأقلام ــ إذا كانت منصفة ــ عن هذه الحسنة اليتيمة مقالاواحدا ؟ هل اختص الله الإخوان وحدهم بالخطأ الدائم المستمر ؟

ما السبب ؟ ما الدافع ؟ هل يرى هؤلاء أن ما يثيرونه من غبار حقق لهم شيئا من آمالهم ؟ هل ضعفت قوة الإخوان ؟ هل توارت ؟ هل تجمدت ؟ كل ذلك لم يحصل ، بل العكس هو الذى حصل ! قوة وانتشار وازدهار . لماذا هذه المعاناه وهذا العنت ، الذى يسبب الكثير من التوقف ، الذى يكبد الأوطان الكثير من المتاعب والتأخر والعجز فى الإنتاج ؟ هل يستطيع أحد أن يكشف القناع ؟ لاشك أن هناك من يقول الحق ، ولكن قلة أجهزة الإعلام الإخوانية ، فى مواجهة ضخامة وقوة وانتشار أجهزة الإعلام المعادية ، هى السبب فى عدم حصول الإخوان على وسيلة تعينهم على مواجهة كل ما يشاع ضدهم ، ويظهر جمال وجلال دعوتهم ، ومع هذا كله ، فإن الله يمن عليهم بالذيوع والاتساع ، وقدرة الله لا حد لها ولا قيود .

## جــزاء سنمار

لما قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، والإخوان على قوتهم ، كان من الممكن أن يسببوا الكثير من المتاعب للحلفاء . لكن الإمام الشهيد حسن البنا ، أصدر أوامره إلى كل الشعب والمناطق أن تلتزم جانب الهدوء ، وأن تتفرغ لنشر الدعوة ، وأن تعطيها كل اهتمامها وجهدها بعيدا عن الاستثارة ، حتى انتصر الحلفاء .

وكان موقف هذه المنطقة ــ التى تعج بالإخوان المسلمين فى كل مكان ــ سببا من أسباب انتصارهم ، ولكنهم جازوا الأمام الشهيد والإخوان جزاء سنمار ! . ألا يستحق موقف الإمام الشهيد من تلك الأحداث فى ذلك الحين ، أن يسجل فى صفحات الخلود ، إنها ليست خلافات فى وجهات نظر ، ولكنها الرغبة الجارفة فى القضاء على الإسلام والمسلمين ، الذين أيقظتهم هذه الدعوة من غفلتهم ، ونبهتهم إلى أن الإسلام ليس هو الأركان الخمسة ، ولكنه الصرح الشامخ القائم على هذه الأركان ، هو الوضع الذى يبدو فيه المسلمون قوة ومنعة وحضارة وتقدما ، وإن فرض العين لا ينفع إلا صاحبه ، أما فروض الكفاية فإن تركها يؤثم المسلمين كافة وبلا استثناء .

وغير المسلمين لا يحبون أن يروا المسلمين على هذا الجلال . وهنا بيت العلة ، ومكمن الداء ، والكل يعرف مكان الجرثومة ، ولكنهم لأمر ما يضيعون ويضيعون !

## عضوية النقابات

لقد فكر الإمام الشهيد فى النقابات منذ زمن طويل ، وكان يرى أن شغل بعض الإخوان لعضوية هذه النقابات فيه خير كثير للنقابة والنقابيين . وما كانت هذه الفكرة بالأمر المبتدع ، فى الحكومات الإسلامية ، فقد كان للنحاسين شيخ ، وللفحامين شيخ ، وللتجار شاهبندر ، ولكل مهنة مرجع لفض مشاكلهم ، وتحقيق مصالحهم ، ففكرته امتداد لعمل كان معروفا ، وإن تغيرت الصور والأساليب . ولذلك أنصح الشباب المحب لدينه أن يعنى بهذه الناحية عناية فائقة ، وأن يكون له وجود محسوس فى النقابات كلها ، الأصلية منها والفرعية ، وإنه لأمر سهل المنال لو صحت العزائم ، وإنطلقت الهمم . هذه هى النظرات البعيدة التى كانت تراود الإمام الشهيد آمالا ، وأسأل الله أن تكون حقائق اليوم ، التى تقنع العالم بأن الإخوان ليسوا عباد أشخاص ، ولا يقدسون مخلوقا ، ولكنهم أصحاب عقيدة تمكنت من قلوبهم ثم ظهرت أعمالا مادية فى مجالات الحياة ، سواء كان على رأسهم حسن البنا أو غيره وإن كان الفضل للمتقدم .

## ماذا يريد الإخوان المسلمون ؟

ترى ماذا يريد الإخوان المسلمون اليوم ؟

سؤال قد يراود الكثير من الخواطر ، خاصة لدى الذين يزعمون أن شرع الله لم يعد صالحا لمواءمه الحياة العصرية بعد هذا التطور الهائل ، وتفتق عقول علماء الكشف والاختراع ، عن الروعة المزهلة فى الوصول إلى حقائق ، ما كانت ترد على بال أحد فى الأمانى أو الأحلام .

والجواب غاية فى البساطة والوضوح عند الإخوان خاصة .. أن ما نريده اليوم هو ما أردناه منذ عام ١٩٢٨ :

- تطبيق شرع الله فى كل شؤون الحياة ماجل منها وما هان .
- الاغتراف من بحار العلم أيا كان مصدرها ومأتاها حتى ولو كانت من عند أشد

الناس عداوة للذين آمنوا .

● الوحدة الأسلامية وإزالة هذه الحدود الجغرافية المصطنعة التى ما أريد بها إلا التعصب للقومية التافهة ، والوطنية المحدودة المعالم .

● العودة بالمسلمين إلى رفعة ناضرة ، وقوة باهرة ، وحضارة سوية طاهرة ، وسلام يسود علاقة البشر كلهم مهما اختلفت أجناسهم ومللهم ، وجعل التفاهم أساسا لحل كل المشكلات العالمية على أساس من الحق الواضح ، لا سيادة ولا استعمار ولا امتعباد ولا استغلال .

قد يرى البعض أن هذا خيال ، ولكنه كان واقعا أثبته التاريخ فى كثير من مراحله . فنحن إذن واقعيون نحيا الحياة بكل معانيها وتطورها وظروفها وملابساتها ، ونعيش كما يعيش أى إنسان مؤمن طاهر نظيف شريف .

هل يرضى المعاندون ، أم هم مصرون على موقفهم من دعوة الإخوان المسلمين ؟ وإنى لأتوجه بالرجاء إلى كل المسؤولين فى العالم الإسلامى ، أن ينظروا إلى هذه الدعوة نظرة إخلاص وإنصاف ليتبينوا ما فيها من خير لهم ولشعوبهم ، ففى محاربتهم لهذه الدعوة الطاهرة البريئة النظيفة ، وفى تفرقهم ، وفى احترابهم ، وفى اعتدادهم بما فى أيديهم من سلطان موهوم ، وقوة تافهة ، فى كل ذلك نهاية شعوبهم وهم على أثرها . ليكونوا على ثقة قاطعة بأن فى الغد يوما قال فيه علام الغيوب .

**﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ، فبأى ألاء ربكما تكذبان ، فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، يعرف المجرمون بسيماهم ، فيؤخذ بالنواصى والأقدام ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ .**

أليس إصلاح التشريع ممكنا ؟ وكذلك التعليم والتربية ، وكذلك الخلق والاجتماع ، وكذلك الجد والنشاط والاجتهاد ، ففيم إذن التوانى والإحجام ؟

لكم علينا عهد الله ، ونحن صادقون ، ألا نعارضكم إلا بالنصيحة الخالصة ، والرغبة الصادقة فى حب الخير لكم ، فصلاح السلطان عندنا ، أمل ووسيلة وغاية ، فبصلاحه تصلح الأرض ومن عليها . دعوكم من تقارير المباحث والمخابرات ، واطلبوا الحقائق ، فأنتم بشعوبكم و شعوبكم بكم . والله من فوق الجميع مدبر الأكوان .

* * *

# الحلقـــــة
# التاسعة والعشـرون

- الهضيبى أقـــال الباقـــورى مـــن الإخوان ثم ذهب إلى الوزارة وهنأه ! .
- البنـا وافق على انضمـــــام مـــدمن خمـــر إلى الإخـــوان .
- أصـــدقائى فى أمـــريكا و أوروبـا يتولـون نفقات ســفرى وعــلاجى .

الذين لا يعرفون « عمر التلمسانى » يتساءلون ــ بعضهم فى شك ، وبعضهم فى دهشة ــ من أين يأتى هذا الرجل بنفقات سفره وترحاله بين المدن الأمريكية والأوروبية ؟ ! .. وأية جهة فى العالم توفر له نفقات العلاج فى أكبر المراكز الطبية فى أوروبا وأمريكا ؟ من أين ينفق« عمر التلمسانى » على نفسه ، وهو لا يملك إلا معاش نقابة المحامين ؟

الذين يعرفون « عمر التلمسانى » من الإخوان هم الذين يتحملون عنه كل هذه النفقات .. يبعثون إليه بتذاكر السفر على الطائرات ويحجزون له فى المستشفيات ، ويرجونه أن يبقى بينهم أطول فترة ممكنة . والرجل لا يخفى شيئا . لقد رفض كل مساعدة مباشرة وغير مباشرة تأتى له من حكومات تجل له دوره حتى لا تلقى تلك المساعدات أية ظلال على مواقفه السياسية . كما رفض مرارا أن يتقاضى أجره عن محاضرات ألقاها ، أو مقالات كتبها ، لأن الداعية لا يتقاضى أجر الجهاد من أجل دعوته إلا من الله سبحانه وتعالى » .

ويواصل الأستاذ « عمر التلمسانى » شريط ذكرياته فيقول : ؟

لما قبل فضيلة الشيخ الباقورى الوزارة دون إذن من فضيلة المرشد حسن الهضيبى رضوان الله عليه ، وسأله المرشد . ما الموقف ؟ قال : استقيل من مكتب الإرشاد . قال

له : ثم ماذا ؟ ! قال : واستقيل من الهيئة التاسيسية . قال له : ثم ماذا ؟ قال : استقيل من جماعة الإخوان المسلمين . فقال له فضيلة المرشد : هذا هو الحل ، ثم ذهب إليه فى وزارة الأوقاف وهنأه . وفى ذلك الحين سئل فضيلة الشيخ الباقورى عن موقفه إزاء المرشد . فقال للصحفى السائل : أنت ترانى أجلس مع فضيلة المرشد جلسة الطالب من أستاذه . وكانت الصحف قد نشرت صورة للباقورى أمام المرشد فى وزارة الأوقاف كلها لياقة وأدب ، كنا نعرفهما فى فضيلته وغفر الله لنا جميعا .

وأذكر أنه من بين من حكم عليهم فى ديسمبر ( كانون أول ) ١٩٥٤ ، المرحوم الأستاذ منير دلة ــ بالأشغال الشاقة المؤبدة ــ والدكتوران محمد كمال خليفة وحسين كمال الدين .

## مواقف مشهورة

والدكتور حسين كمال الدين نجل المرحوم العالم العلامة فضيلة الشيخ أحمد إبراهيم عميد كلية الحقوق فى ذلك الحين ، رحمه الله ، رحمة واسعة .

وأما الدكتور محمد كمال خليفه فهو زوج شقيقة الدكتور حسين كمال الدين ، والأستاذ منير دلة رحمه الله زوج كريمة المرحوم محمد باشا العشماوى وزير المعارف .

ومن المواقف المشهورة لفضيلة الأستاذ الهضيبى رضوان الله عليه أنه رغم ما كان يقدره من تربص عبد الناصر به ، أبدى رأيه فى معاهدة الجلاء التى اتفق فيها عبد الناصر مع الإنجليز ، أبدى رأيه فيها بغاية الصراحة والوضوح ولم تمنعه خطورة هذا الرأى من إشهاره فالحق عنده هو حياته التى قامت على الحق محاميا وقاضيا ومستشارا ومرشدا . ولا أكتم الناس حقيقة قد لا يعرفونها وهى أن فضيلة الأستاذ الهضيبى لم يقبل أن يكون مرشدا للإخوان المسلمين ، إلا بعد رجاء منهم والحاح نظرا لحالته الصحية وضخامة المسؤولية التى ألقيت على عاتقه،ولكنه إزاءحرصه على وحدة الصف الإخوانى ضحى بصحته فى سبيل هذه الغاية النبيلة وهوعلى علم كامل بعاقبة هذا القبول .

## ذكريات لا تنسى

خرجنا مع فضيلته مرة فى رحلة إلى صحراء حلوان ووادى حوف ، وأدركنا وقت الغداء فأكلنا على الأرض والرمل . وبعد الغداء اضطجع كما هو ببدلته على الرمل فنام قليلا . وحرصت على أن أصوره على هذه الحالة الفريدة فى عالم الزعماء ، ولما أطلعته على الصورة

وإستأذنته فى نشرها ، أبى قائلا : ما بالمسلمين من حاجة إلى دعاية ، وحسبهم أن يعرفهم ربهم وفى ذلك سعادتهم وظلت تلك الصورة عندى إلى أن أخذها أعوان عبد الناصر ضمن ما أخذوه من بيتى عام ١٩٥٤ . وإنى على يقين من أن نظرة فضيلته الهادئة ، وعلمه فى القضاء عشرات السنين ، كانت أكبر دليل على بعد الإخوان عن الإرهاب الذى يرمينا به أعداء هذه الدعوة السلمية المسالمة . ولكن حيلتنا فيمن يختلق ما يقول قليلة أو بالأصح معدومة !

كنت معه فى سجن مصر ، فى زنزانة واحدة ، ودخل عليناالمحافظ القاهرة فى ذلك الحين ــ وقد غاب عنى اسمه ــ فقمت تلبية ل « شخطة » العسكرى : انتباه .

أما هو ــ رحمه الله ــ فلم يتحرك من مكانه ، وكأنه لم ير أحدا ، ولم يسمع صيحة الشاويش . فقال له المحافظ :

لو كنت على حق لنصرك الله علينا .

فرد عليه وهو فى جلسته الهادئة : إن المسلمين هزموا فى موقعة أحد ، وهم على الحق ، فليس ما تقوله عن حقكم وباطلنا كما تقول . فلم يرد المحافظ وانصرف ساكتا . وبعد خروج المحافظ لامنى فضيلته على قيامى ، وعلمنى أن الظالم لا يحرق أعصابه إلا عدم اهتمام الناس بمظهره وقوته الجوفاء وكان درسا .

فى دم الظالم غريزة خوف الناس منه ، ويسعد بهذا الشعور فإذا حرم من هذا ، ذاب كبرياؤه ، وانطفأت غطرسته .

وقالوا لفرعون : ما الذى فرعنك ؟ قال : لم أجد من يردنى . إن الظالم لا يملك من نفسه وخلقه صفة الاستعلاء والاجتراء على كرامة الناس ، ولكنه يتلمسها فى جنده الذين حوله . فإذا جرد من هذه المعونات والمقويات ، بدا أذل من العير . فى حين أن الداعية المخلص يجد القوة فى دخيلة نفسه وفطرة طباعه فهو وقد تجرد من السلاح المادى وبدا أعزل وحيدا ، يجابه أطغى الطغاة ، وأظلم الظلمة فى جرأة وتحد ، لأنه لا يخشى إلا الله أقوى الأقوياء .

قال ظالم لمظلوم : سلنى ما شئت أعف عنك .

قال المظلوم : أطل عمرى . قال : ليس هذا بيدى .

قال : فأدخلنى الجنة . قال الظالم : ذلك شأن الله .

قال المظلوم : إذا لم يكن بيدك شىء من أمر الدنيا أو الآخرة فماذا تملك لى،أليست هذه حقيقة أيها الخائفون من الظالمين ! ؟

## شارب خمر بين الإخوان !

إن حسن البنا أو حسن الهضيبى ماكانا يجابهان أحداً بما يكره ، حتى المنحرفين ما كانوا يقسون عليهم فى المجابهة . ذهب فضيلة الأستاذ البنا رضوان الله عليه إلى مديرية البحيرة فى إحدى رحلاته المتواصلة واستضافه أحد الأثرياء فى تلك المديرية وأحد وجهائها ، وما كان له سابقة علم بفضيلة الإمام الشهيد . فلما جلس إليه واستمع منه ، قال : إن ما تحدثنى به شيء جميل وإنى لرجل خير ، أحسن إلى الفقير وأساعد المحتاج وأصلى وأصوم ولكن فى عيب كبير أظن أننى لا أستطيع الإقلاع عنه .

قال فضيلته : وما هو هذا العيب الذى لا تستطيع الإقلاع عنه ؟

قال الثرى : إنى أشرب الخمر أحيانا ، وهذا ما يمنعنى من الانضمام للجماعة . إن إنسانا لا يستطيع أن يتصور ماذا كان جواب الإمام الشهيد . شيء غريب حقا ! ولكن إذا تمعنت فى خفاياه ألفيته ليس بالغريب . قال له الإمام الشهيد : تعال إلينا ، إننا نقبلك بحالتك . فذهل الرجل .

ليس معنى هذا أن الإمام الشهيد يقر الرجل على شرب الخمر ، كلا وحاشاه . ولكنه كان ينظر إلى بعيد .

لو ترك الرجل على حاله لاستمر فى شرب الخمر واستمرأه . ولكنه إذا انضم إلى الجماعة وخالط أفرادها رأى نكر ما يفعل ، فالبيئة الصالحة والكلمة الحسنة والنصيحة الهادفة الهادئة ، كفيلة بأن يقلع الرجل عن ذلك . وهذا ما حدث .

أقصد من هذا أن الإخوان أبعد ما يكونون عن التزمت وإغلاق باب التوبة فى وجه الآيبين والتيئيس من رحمة رب العالمين ومن كان هذا أسلوبه فهو أبعد الناس عن العنف والإرهاب .

## اســـتطراد

لما بدأت جريدة الشرق الأوسط تنشر هذه الذكريات جاءنى البعض من الإخوان وغير الإخوان يعتبون على أنى ذكرت من بين ما ذكرت أننى كنت أشرب الدخان وأمارس الرقص الأفرنجى فى بعض الصالات وكان يجب أن أخفى هذامراعاة لمكانتى الحالية ، فكان أن هدأت

من ثائرتهم وقلت من بين ما قلت لهم : إننى أروى جانبا من حياتى فلابد وأن أكون صادقا فى العرض ، لأنى لست من الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم فى السر والعلانية ، كما أننى أحببت أن يعرفنى الناس على حقيقتى فيكونون على بينة من أمرى ، فلا تُخْفى عنهم منى مظهرا ولا مخبرا هذا إلى أنه من النفاق أن يظهر الإنسان الجانب الطيب منه للناس ثم يخفى عنهم ماهو غير ذلك ، قد يقال : إنك تجاهر بذنب فأقول : إن المجاهرة بالمعاصى أن يفاخر بها الناس وأن يتحدث بها فى مجالسه ، وأن يعتبرها من مميزاته ومدنيته وحضارته ، وكل هذا غير وارد عندى ، فما أنا بالمجترىء على الله بمعصية ، إذا قلت لا أقول إلا الحق خاصة إذا كان ما أقول متعلقا بى ، ثم إذا رأى البعض إنتقادى فما عساهم قائلين فى كافر أسلم أو فى مذنب تاب ، أو فى شاب لم يرتكب كبيرة من الكبائر ثم أقلع عما سواها وما دونها بعد أن كرمه الله بأن حفظ عليه نصف دينه بزواج مبكر فى مطالع العشرين من عمره ، وبعد فهكذا كنت وهكذا أصبحت فمن يرانى غير جدير بالدعوة إلى الله فله مايرى ، ولست على رأيه بمسيطر ، ومن يرى أن الله قال لنبيه : ﴿ **قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا** ﴾ ، ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ، فله مايرى إذ لم يحجر واسعا ورحمة الله وسعت كل شىء وما أنا إلا شىء من الأشياء . هل يكفى ذلك الناقدين ؟ أم يظلون على رأيهم مصرين ؟ وكفى بالمرء نبلا أن تُعَدّ معايبه ، وحسبى الله ونعم الوكيل .

## مصادر نفقات العلاج

ويتحسس الأستاذ البنا رضوان الله عليه مواطن الرغبات فى الإخوان ، ويصل من وراء ذلك إلى حقيقة اتجاه الأخ فى حياته العملية . من أمثلة ذلك أنه سألنى مرة :

ألا تريد أن تعمل فى سلك القضاء ؟ وكان جوابى أنه يسعدنى حقا أن أكون من بين القضاه فى مصر تقديرا لشرف العمل . ولكن القاضى تقيده مهنته بكثير من القيود الأدبية والمعنوية ، فلا يباح له الكثير مما يباح لغيره ، وفى فطرتى حب الحرية ، والانطلاق فى الحياة واسع الروحات والجيئات فى كل مالا يغضب الله ورسوله عليه الصلاة والسلام .

وأحب أن تكون أوقاتى ملك يمينى ، وليست خاضعة لقيود الوظيفة أيا كان سموها . وإن هذا لا يتوفر لى إلا فى مهنة المحاماة التى أعتز بها ، وأغدو وأروح فى جوها الحر الطليق . وقد أحسست إن جوابى أرضاه ، فلم يعاود السؤال مرة أخرى .

وبهذه المناسبة أذكر أن المملكة السعودية طلبت منى عن طريق المرحوم السيد عمر نصيف أن أعمل قاضيا بنجد لما تعرفه عن جدى رحمه الله وصلته بالمذهب الوهابى الذى

تأخذ به تلك المملكة فاعتذرت لأنى لا أفضل على مصر مكانا أقيم فيه أو أعمل به مهما لاقيت فيها من عنت .

ومازلت إلى اليوم كلما سافرت للعلاج فى أوروبا أو الولايات المتحدة ، أجد حنينا طاغيا فى العودة إلى مصر ، ولو طالت فترة العلاج أقطعها شوقا إلى العودة إلى الحبيبة مصر .

كذلك لا يفوتنى أن أذكر أننى ما سافرت يوما إلى الخارج أو عولجت على نفقتى الخاصة ، لأنى لا أملك حتى ما يكفى ثمنا لتذكرة الطائرة،ولكن الإخوان فى الخارج ، فى كل مناحى الأرض ، يستدعوننى وبالحاح ويدفعون نفقات السفر ، وفى الدرجة الأولى من الطائرة ، فإذا ما حللت ببلد تكفلوا بنفقات إقامتى وعلاجى ، إلى أن أسافر إلى بلد آخر ، فيستضيفوننى بمثل ذلك . فأظل أنتقل من بلد إلى بلد على هذا المنوال . وفوق ذلك كنت أعود مثقلا بالهدايا من كل شكل ولون فإذا ما وصلت مصر ، أهديت منها لبعض الأقارب أو الأحباب ، حتى بت أحس منهم أنهم يطالبوننى بالسفر كل شهر .

وإزاء هذا الفيض من نعم الله كنت أستهين بكل المضايقات التى ألقاها فى المطار ذهابا وإيابا . فنعمة اللقاء تمسح كل معاناة فى سبيل رؤياهم والجلوس معهم ، وأسأل الله أن يكون ذلك كله من أجله وفى سبيله وابتغاء مرضاته ، ولعل فى هذا البيان ما يريح بال الذين يتساءلون من أين أحصل على نفقات هذا السفر المتصل بعضه ببعض .

## أنا الهوى !

وفى كل مكان كنت أحل فيه ، أرى من الشباب المسلم فى تلك البلاد ما يشرح الصدر ، ويبشر بأن هذه الدعوة لن تموت ، لأنها بعون الله ورعايته .

ذهبت مرة إلى بلد إسلامي . وحان وقت المحاضرة فراعنى ما شاهدت من ازدحام القاعات ، لا القاعة الواحدة ، بآلاف الشباب المسلم ، وقد ضاق بعدده الألفا مكان . وسمعت من بعض المسؤولين أن هذه القاعات لا تحظى بمثل هذا العدد من الشباب ، إلا إذا كان المحاضر أو المتحدث من الإخوان المسلمين ، لأنهم يراعون قواعد اللياقة فى محاضراتهم فلا يورطون ولا يتورطون إنهم دعاة وحدة وسلام ، لا قطيعة وخصام ، ويروقنى فى هذه الذكريات أن أعرض فى كتابتها لمبادىء الإخوان ومنهاجهم ، لأن ما أكتبه ليس بمذكرات ولكنه ذكريات وشتان ما بين من يتقيد بالمكتوب وبين من يسبح فى عالم التذكر واستدعاء الخواطر من دنيا الذكريات . أحدهما تقيده الحروف والكلمات والآخر تنطلق به الخواطر إلى عالم فسيح لا قيد معه ولا حدود له . وما أسعد الإنسان أن يحيا حياته لا حياة غيره ما دام

لا يسىء إليهم أو يتخطى تقاليدهم وعوائدهم هذا إلى أنى إذا سبحت مع ذكرياتى لا أجد ما يربطنى بهذا إلا دعوة آمنت بها وعملت فى صفوفها طاهرة الذيل خالصة النية بريئة القصد ، سليمة الأسلوب واضحة المنهاج منزهة عن الأهواء والأغراض .

إن هذا الدين لا يؤمن به حقا ويبلغ فى حبه منزلة الأبرار إلا من يحبه ويهواه ويهيم فى وديان نقائه وأجواء صفائه وتسمو تعاليمه . الحب للدين هو الأساس فى رسوخ العقيدة . إن الاقتناع بأمر من الأمور ، لا يكفى للتفانى فى سبيله والتضحية من أجله . ليس هذا ابتداعا منى أو مغالاة أو خيالا . قرر رسول الله ﷺ هذه القاعدة يوم أن قال ما معناه : « لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » أرأيت كيف يحدد صاحب الرسالة حدود رسالته ، وعلى أى شىء يقيمها ويبنيها ويدعمها . إن الإنسان صاحب المشاعر الحية الدفاقة ، هو الذى يحب ويهوى ويعشق .

ولولا هذا الهوى والتفانى فيه ، لما سمعنا عن تلك المثل الرائعة ، والمواقف النبيلة التى لا يقوم بها إلا من يحب ويهوى ولا يكون رضاه إلا ما يرضى من يحب ويهوى . أليس الاتباع الملزم هو دليل الحب ؟ وماذا قال رب الخلق أجمعين ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ فمن أحب الله عرف قدرته ، ومن عرف قدرة الله هانت عليه الدنيا بزخرفها وبهجتها وسلطانها وجاهها ومغرياتها ﴿ **قل الله ثم ذرهم** ﴾ كيف أستطيع أن أكتب ذكرياتى ، دون أن يسبح قلمى هائما فى جنبات هذه الدعوة كلاما وكتابة واستعراضا وشرحا وبيانا ، وهل فى غيرها من ذكريات ؟ . ولئن سألونى عن الهوى فأنا الهوى وابن الهوى وأبو الهوى وأخوه . علينا أن نحب الله ودينه ورسوله حبا يحمينا من كل نزعة شيطان ، أو وسوسة إنسان أو اتقاء سلطان ﴿ **وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه** ﴾ .

فإلى الله جميعا أيها المسلمون . يحفظكم ويرعاكم ويقويكم وينصركم ، ويثبت خطاكم ، ويذلل كل صعب أمامكم أو فى طريقكم ، إرتفعوا ببشريتكم حبا فيه يرفعكم بإلوهيته مكانا كريما .

## آثارنا تدل علينا

كان كل الإخوان عند المرشدين السابقين محل العناية والاهتمام . فما من فرح أو مناسبة سعيدة لأحد الإخوان إلا شاركا فيها بحضورها أو إرسال مندوب عنهما ، أو برقية منهما . وفى المناسبات الأخرى كان الحضور شخصيا من أبرز مجاملاتهما للإخوان ومشاركتهما ما يهمهم أو يسوؤهم . إنها رباط بين الداعية وأنصاره دون التفريق بين الغنى منهم أو الفقير ، فالمكانة الاجتماعية عندهما ما كانت ترقى لمنافسة الصلة فى الدعوة ، والاجتهاد فى

أمورها كان الإخوان يرونهما القدوة لهم فيحرصون على التأسى بهما ، ولذلك نرى المناسبات السعيدة أو غيرها عند أحد الإخوان ، قد اكتظت بالإخوان الوافدين من كل حدب وصوب للمشاركة المادية والمعنوية بل إن معرفة الإخوان بأن فضيلتهما كانا من المبرزين فى دراستيهما ، وفى مقدمة الصفوف العلمية الطلابية ، جعلتهم يحرصون بدورهم على التحصيل العلمى والعناية والتفوق على أقرانهم ، وإذا رجعت إلى نتائج امتحانات هذه الأيام فى كافة مراحل التعليم وما تكتبه الصحف ، لعلمت أن الأوائل من الفتيان من أصحاب الدين والأوليات من الفتيات من المتحجبات بالحجاب الاسلامى وهذا أثر من آثار دعوة الإخوان المسلمين فى المحيط الطلابى على مختلف مراحله . إن الدين حافز ووقاية .

إن فضيلة الإمام الشهيد أسس هذه الدعوة وأرسى قواعدها وحدد برامجها وجاهد فى سبيلها حتى لقى الله شهيدا . وجاء من بعده فضيلة الإمام الهضيبى . من كان يظن أن هذا المستشار الذى نيف على الستين من عمره يرضى ويقبل أن يتحمل عبء قيادة هذه الدعوة مع ما كانت عليه صحته اللهم إلا إيمانه وحبه وتفانيه ؟ إن الكثيرين من زملاء فضيلة الأستاذ الهضيبى كانوا إذا أحيلوا إلى المعاش ، التحقوا بأمهم الرؤوم مهنة المحاماه حيث يقدمون علمهم وخبرتهم لنصرة المظلومين ومهضومى الحقوق وما تدره هذه المهنة من الرزق الوفير . أما أستاذنا الهضيبى ، فقد آثر العمل لله وبلا مقابل مع ما فيه من تبعات ومتاعب . آثر ذلك على كل شىء حبا منه وتفانيا فى الأول الذى ليس قبله شىء والآخر الذى ليس بعده شىء والظاهر الذى ليس فوقه شىء ، والباطن الذى ليس من دونه شىء . لقد نسى التاريخ والناس كل المدرسين والمحامين والقضاة والمستشارين ، ولكن الناس والتاريخ لن ينسوا المدرس حسن البنا أو المستشار حسن الهضيبى .

« تلك آثارنا تدل علينا / فانظروا بعدنا إلى الآثار » .

وأى أثر أخلد على مر الزمان من العمل فى سبيل الله والدعوة إليه ، والجمع عليه والتمسك به والدفاع عنه ، والوقوف إلى جانبه فى حالتى العسرة واليسرة .

لكل سجن مأمور ، وفيه أطباء ومع المأمور ضباط وجنود ، ومع الأطباء ممرضون . وكان المسجونون السياسيون محل التضييق والإعنات من الرؤساء فى السجن .

وكان الرؤساء غاية فى الدقة من ناحية التضييق على المسجونين أو المعتقلين السياسيين ، والإخوان المسلمين بنوع خاص .

ولكن المعتقلين والمسجونين السياسيين ما كانوا يحسبون لهذه المضايقات ، لأن السجانين والممرضين كانوا من رقة القلب والعطف عليهم أيسر الناس توصيلا وتحقيقا لرغبات المعتقلين السياسيين من المنازل أو الأسواق على السواء . كانوا رسل رأفة وشفقة بين المعتقلين

والمسجونين وبين أهليهم ، رغم كل الدقة والاحتياطات التى يبذلها الرؤساء تنفيذا لأوامر رؤساء الرؤساء وهكذا كان الله جلت قدرته يوجد للمظلوم فرجا من حيث يظن الناس أنه فى ضيق فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لن يكون ، مهما أوتى المخلوق من قوة وبطش وسلطان .

*　*　*

# الحلقـــــة
# الثـــلاثـــــون

- عـندما اقتحـم المندوب السامى البريطانى وجنوده مكتب سعد زغلول .
- مقـاتلو الإخوان فى حـــرب فلسطين اعتقلوا فى مـــيدان القتال .
- الرئيس مبـــارك أزال التعتيـــم المتعمد عن تاريخ الزعامات المصـــرية .

**الذين تتبعوا هذه المذكرات يسجلون لعمر التلمسانى إعجابهم بحبه العظيم لحسن البنا ذلك الحب الذى لا وجود لمثله فى هذا الزمان .**

**لهذا بقى الحب وتجلى الوفاء فى أروع صوره وأزهر الولاء الصادق أحلى ثمراته فى قلب عمر التلمسانى .**

يقول المرشد العام الثالث للإخوان المسلمين :

قد يكون البعض من غير الإخوان فى حاجة إلى معرفة جانب من أخلاقيات الإمام الشهيد وسلوكياته،ولزاما على أن أعرض لهذا الجانب استيفاء لهذه الذكريات التى سبحت فى الماضى والحاضر بلا ضابط ولا انتظام إلا ما تسعف به الذاكرة حينا بعد حين .

كان رضوان الله عليه صورة ناصعة للبساطة فى كل شىء . ملابسه ليست بالغالية الثمن أو من أجود الأصواف،لكنها ليست زرية . كانت نظيفة مستوية جميلة المظهر لا هى بالمرقعات ولا بالمنقوشات . بسيطا فى كلامه لا تعقيد ولا « تقعر » فى الألفاظ،ولا التواء فى الحديث، يفهمه الجاهل والمتعلم على السواء .. بسيطا فى لقائه بالناس ، لا يشعر الضيف بتعال عليه ولا يحس القوى بخضوع أمامه .. اعتزازه بالله يسر له كل شىء . وهل أدل على بساطته فى تناول الأمور أكثر من أنه بدأ دعوته متنقلا فى مقاهى الإسماعيلية ، ولا جدال أنه

منظر غريب أن ترى مدرسا يحمل سبورة صغيرة ينتقل بها ما بين هنا وهناك ، وأن بساطته وجهته لأن يلقى الدهماء ورواد المقاهى قبل أن يقصد النوادى والصالونات . إن هذه البساطة فى فطرة الإمام الشهيد جاءت من نتائج المد الإسلامى واليقظة الإسلامية بما لم تأت به دول أو مؤسسات إسلامية .

ورغم جلال الأزهر الشريف ورجاله فقد كان حسن البنا من أهم العوامل التى حركت عواطف المسلمين إلى ذلك الصرح المنيف . بلا انتقاص من قدر أحد، وانتقل إلى القاهرة فكان مقر دعوته فى دور أرضى، ثم فى لوكاندة البرلمان . بساطة تلاحقه فى كل تحركاته . لا دعاية ولا كهرباء ولا واجهات كما تفعل الهيئات الأخرى . كان يزور القرى والنجوع البعيدة فى أحضان جبال الصعيد سائرا على قدميه أو ممتطيا حمارا أو راكبا معدية نهرية تئز أخشابها كلما أصطدمت بأمواج النهر الواهية المتهاوية يجلس على الحصير وعلى المصطبة وعلى الأرض إن لم يوجد ما يفرش عليها، لكنه ما كان ينسى المسجد فهو وجهته الأولى عند النزول فى أى مكان .

## البنا وقيادة الأمة

أجمع خصومه وأنصاره على تمتعه بذكاء وقاد حتى لقد توقع بعض كتاب الفرنجة بأنه سيقود العالم الإسلامى كله لا مصر وحدها . وكان هذا الذكاء من أسباب تحالف قوى الشر على اغتياله قبل أن يبلغ مناه . ولو كانت الدعوة دعوة حسن البنا لانتهت باغتياله، لكنها دعوة الله الغالب على كل شيء والمعين على كل شيء والمحقق لكل شيء متى أراد. ماحاجج أحدا حتى حجه دون أن يشعر محدثه أنه انتصر عليه . كانت ذاكرته فى الأسماء والأحداث لا مثيل لها على الإطلاق . والله يهب ما يشاء لمن يشاء .

هذا الذكاء الخارق مكنه من أن يمسك زمام الأمور كلها بين يديه فى دعوة الإخوان المسلمين . فتراه محل الحب والتقدير والاحترام بين كل أتباعه رغم اختلاف نشأتهم وبيئتهم وثقافتهم وعلمهم . الكل كان يشعر أمامه شعور الطالب بين يدى شيخه الجليل فى غير ما تعال على أحد . بل كان يشعر الجميع بأنه منهم ومن بيئتهم ما كانت الأوضاع الاجتماعية — مهما علت أو انحطت — سببا فى الحيلولة دون شعور الجميع بأنهم فى حضرة شخصية لها الطاعة والولاء . ليس هذا فحسب بل أحبه كل تلاميذه وزملائه وأنصاره حبا لم يصل أحد سواه إلى مستواه .

وهى نعمة من الله إذا أحب مخلوقا قال لجبريل عليه السلام إنى أحب فلانا فأحبه . فيحبه جبريل ثم ينادى فى ملائكة السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه . فيحبوه ثم ينادى أهل

السماء فى أهل الأرض إن الله يحب فلانا فأحبوه فتوضع له المحبة فى الأرض بين الناس ألا إنها نعمة من الله لا يحظى بها إلا القليل ولا حرج على فضل الله، لأن « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

واستفاد من هذه المنة الكبرى فسخرها فى سبيل الدعوة إلى الله . ففى المناسبات الإسلامية كالهجرة وغيرها كان يستأذن إدارة المدرسة بالاحتفال بهذه المناسبات . فيجتمع الطلبة والمدرسون ، ويظل حديثهم حتى يحس أنه وصل إلى أعماق قلوبهم فيكف حتى لا يملوا .

كانت ثقته فى الله بلا حدود فهى فوق كل وصف أو تشخيص ، هذه الثقة أورثته ثقة فى نفسه لا مثيل لها .. كان يقدم على العمل وليس لديه من وسائله ما يطمئن إليه لكنه واثق من ربه ثم من نفسه فلابد وأن ينجح العمل الذى قصد إليه مهما ظن الناس استحالته . هذه الثقة التى جعلته يشترى المركز العام وثمنه ثمانية آلاف جنيه . ليس فى جيبه منها سوى خمسمائة جنيه، وما هو إلا الأسبوع أو بعض الأسبوع حتى اجتمع لديه الثمن كله .. من ثقته بالله ونفسه، قدم استقالته من وظيفته وهو لا يملك شيئا يعيش منه .

ولكن الثقة والرجولة كفيلتان بجعل الأحلام حقائق فى الواقع المحسوس، هذه الثقة جعلته عبقريا حقا . وإلا لما أقدم على حمل أعباء دعوة عجزت عنها هيئات ودول . حتى أصبحت مدرسة عالمية فى كل بقعة من بقاع الأرض . هذه الثقة وهذه العبقرية جعلتا منه رجلا صادقا فى مواعيده ، فى عمله ، فى تعامله ، فى وفائه ، فى تضحيته ، فى هجره كل متع الحياة الدنيا فى سبيل الوصول إلى غايته الجلى . زهده ، بساطته ، تواضعه ، ثقافته ، حرصه على التكلم بالعربية الفصحى من السهل الممتنع . كونت منه هذه الشخصية التى لن تنسى . كان صادقا مع نفسه ، ترك السفاسف والمهاترات والتزم عظائم الأمور ولما نضب معين الصداقة بين الناس كان هو الصديق لكل الناس . كان صادقا مع الناس لم يغشهم ولم يخدعهم . يصارحهم بكل ما يتوقع ، حتى إنه صارح الإخوان قبل غيرهم أن طريق الدعوة وعر وشائك ، وسيعاديهم كل خصوم الإسلام ، وسيلقون أياما عصيبة فمن أنس فى نفسه الوفاء لدعوة الله فليعتمد وليحتسب . ومن لا فلينج بنفسه قبل أن تحيط به الصعاب .. وكان صادقا مع الناس فى كل شىء، فالجنة محفوفة بالمخاطر، والنار محفوفة بالشهوات .. وكان صادقا مع ربه فكان العبد الخاضع المتواضع المتهجد العارف بقدر من برأه وسواه ، فما عصى أمر ، وما اجترأ على نهى ، وعجز كل خصومه عن غمزه من هذه الناحية .

## إنذار بريطانيا

يحضرنى من الذكريات العامة أنه فى فبراير ( شباط ) ١٩٣٢ صدر ما يسمى

بالتحفظات الأربعة بعد مفاوضات دارت بين عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء حينذاك وبين انجلترا . اتفق على رفع الحماية عن مصر ، مع تحفظات بريطانية أربعة :

١ ـــ حماية النظام .
٢ ـــ حماية الأقليات .
٣ ـــ حماية طرق المواصلات بين انجلترا ومستعمراتها عن طريق مصر .
« ونسيت التحفظ الرابع » .

لكن سعد زغلول رحمه الله حمل حملة شديدة على تلك التحفظات واقتنع الشعب بوجهة نظره لأنها تجعل من استقلال مصر استقلالا صوريا .

وطلب ثروت من سعد زغلول أن يتحاكما . ولكن سعد زغلول رد عليه فى الصحف رافضا هذا التحاكم . ومن بين ما جاء فى ذلك الرفض عبارة لا تزال عالقة فى أذنى، قال سعد زغلول يرد على عبد الخالق ثروت : « أمامك المنابر فاعتليها إن وجدت سامعا وأمامك الصحف السيارة فاكتب بها إن وجدت قارئا .. أما التحاكم فشرف لا يناله إلا الأكفاء » .

وأذكر لسعد زغلول كذلك هدوء أعصابه فى الأزمات . وعلى سبيل المثال : لما قتل السردار .. « لى ستاك » وكان قائدا للجيوش البريطانية فى مصر والسودان حضر المندوب السامى البريطانى فى مصر الجنرال « اللنبى » إلى وزارة الداخلية فى كوكبة عسكرية ودخل على سعد فى مكتبه بالوزارة دون استئذان . وأخذ يتلو على سعد إنذارا بريطانيا فيه شروط مجحفة من بينها انسحاب الجيش المصرى من السودان . فلم تهتز أعصاب سعد وظل جالسا فى كرسيه إلى أن انتهى اللورد « اللنبى » من إنذاره وقال له فى منتهى الهدوء أو فيما يشبه الاستهزاء والسخرية من هذا المشهد الذى لا يتفق مع أبسط مظاهر اللياقة بين المسؤولين قال له بالفرنسية « ما الخبر » ؟ هل أعلنت الحرب ؟ وانسحب اللنبى محرجا متعثرا ..

ولا يفوتنى فى ذكرياتى السياسية أن أذكر أن الوفد ـــ كان صاحب الشعبية الكاسحة ـــ لم يتول الحكم خلال الحياة النيابية التى دامت من ١٩٢٤ ـــ ١٩٥٢ سوى ثمانى سنوات مما يدل على أنه لم يكن على وفاق مع الإنجليز . هذا وإن لم تخل مدة حكمه من بعض الأخطاء .

## مبارك وتاريخ مصر

ومن ذكرياتى كذلك حرص رجال الانقلاب يوليو ( تموز ) ١٩٥٢ على طمس معالم تاريخ كل من حكم مصر فى العصر الحديث وحصر الزعامة فى أنفسهم، وقد خلت الكتب

المدرسية من ذكر حسن البنا وأحمد حسين وسعد زغلول ومصطفى النحاس وأمثالهم ممن كانت لهم مواقف فى تلك الحقبة من التاريخ . ظل هذا التجهيل طوال عهد عبد الناصر والسادات . حتى جاء الرئيس الحالى السيد حسنى مبارك فأزال جانبا من هذا التجهيل وبقى أن يزيل الباقى حتى يعرف الشباب تاريخ وطنه ومن هم الزعماء الذين أدوا خدمات لا تنسى .

كان مأمورو السجون التى فيها الإخوان يتبارون فى مضايقة الإخوان ليثبتوا فى التقارير السرية ولاءهم للحكم القائم . وكان بعضهم يتفنن فى الإيذاء إلى حدٌ لا يليق بمأمور يتعامل مع سجناء شرفاء أبرياء .

كنا فى الواحات،وفى شهر شعبان أخبرنا مأمور سجن الواحات — لا داعى لذكر اسمه — أنه سمح لنا أن نطلب من بيوتنا مانشاء من طعام فى مناسبة حلول شهر رمضان وجاء رمضان وبدأ أهلونا يرسلون إلينا طعاما منزليا كل أسبوع .. فما كان منه — إمعانا فى الإيذاء — إلا أن أحتفظ بذلك الطعام حتى انتهى رمضان ، وفسدت محتويات العبوات الكرتونية ثم أعاده جميعه إلى المنازل التى أرسلت هذه الأطعمة . ولك أن تتصور مدى الحسرة التى ملأت قلوب الأهل عندما عاد إليهم كل شيء فاسدا وحسرتهم على أن من أرسلوا إليهم هذا الطعام لم يطعموه رغم تشوقهم إليه .

هذا فوق المال والجهد الذى بذل فى شراء هذا الطعام وتجهيزه وإرساله .. إنها صورة مصغرة لفراعين صغار إرضاء لفراعين كبار بما خلا جملة وتفصيلا من كل معانى الإنسانية والخوف من الله . وكم أذل الحرص الذاتى من أعناق أشباه الرجال :

ومما يلفت النظر حقا فى تاريخ مصر أن كل من اشترك فعلا فى مقاومة اليهود فى فلسطين من قادة الإخوان المسلمين قتلتهم الحكومات المصرية . فالإمام الشهيد اغتالته حكومة إبراهيم عبد الهادى . والشهداء الشيخ محمد فرغلى وإبراهيم الطيب ويوسف طلعت قتلتهم حكومة عبد الناصر . وهى ظاهرة ملفتة للنظر فعلا ، ويجب التوقف عندها كثيرا . وفى تأمل وتفكير : هل حدث ذلك مصادفة ؟ إنها لمصادفة عجيبة،هل حدث ذلك عن غير الصدفة ؟ من يدرى ؟

## الأسلحة الفاسدة

إنها تساؤلات . ولو كان عندى الدليل القاطع عليها لقدمته ، ولكنها أحداث فيها من الغرابة ما يثير الدهشة ويبعث على التساؤل . لقد ثبتت قضية فساد الأسلحة عند اشتباك الجيش المصرى باليهود ومعنى ذلك التضحية بشبابنا وتعرضه للصدام العسكرى بأسلحة

فاسدة تقضى على من يحملها ولا تؤثر فى أعداء ميادين القتال . وثبت تاريخيًّا أن لقاءً تم فى الفالوجا المحاصرة وفى شرم الشيخ بين عبد الناصر وبعض المسؤولين اليهود . ألا يحق للذين يستقرئون الأحداث أن يتوقفوا طويلا أمام هذه الصور ثم يربطون بينها وبين إقدام تلك الحكومات المصرية على اغتيال وقتل زعماء الإخوان الذين اشتركوا فى حرب فلسطين وقضُّوا مضاجع اليهود ؟ وكان الاغتيال والقتل بأسلوب أوهى من خيوط العنكبوت .

وإن أنس لا أنسى أن النقراشى — غفر الله له — قبض على الإخوان المجاهدين وهم على أرض المعركة فى فلسطين .. واستحضرهم مقبوضا عليهم، فلما وصلوا مصر أودعهم المعتقلات، ماذا يقول المعلقون التاريخيون ؟ بماذا يفسرون هذا الترابط العجيب وبماذا يسمون من ساهم فى قتل واعتقال المجاهدين وهم فى ميدان القتال بعد أن ثبتت فاعليتهم هناك ؟ أين المنصفون الذين يربطون بين المقدمات والنتائج وبين المسببات والأسباب ؟ ولولا أنى من الإخوان المسلمين ولولا أن الدليل ينقصنى لذكرت الكثير مما يقوض المنازل التى شيدت للعمالقة والأفذاذ الذين لا يعلم إلا الله « عملاقيتهم » و « فذاذيتهم » . وحسبنا الله ونعم الوكيل

ولئن تأخر التاريخ فى كشف حقيقة الأحداث فسيأتى اليوم الذى يعرف فيه الناس قاطبة من هم « فلان » و « فلان » وما مدى إخلاصهم لوطنهم ؟ ومهما نبطن فالأيام كفيلة بإظهار ما خفى وهاقد ظهرت الصحف تتحدث عن « فلان » و « فلان » وهم أبناء من ؟ أو أصهار من ؟ ومن أين هبطت عليهم مئات الملايين التى زكمت رائحتها الأنوف السليمة . وكيف تسربت إلى خارج مصر ليشتروا قصورا وصحفا وتحفا . والاتجار فى الأسلحة . وفى غير الأسلحة مما أحل الله أو حرم . لا يهم . المهم القرش أولا . أما من أين يأتى فشىء لا قيمة له مادام يأتى بالملايين .. ألا من حياء أو خجل ؟ ألا من تحرج أو تأثم ؟ ألا من خوف أو حسبان للغد ؟ أما نزال نضفى بثياب البطولة والزعامة التى أتلفت كل شىء ؟

## من أى ثقب تهبط الملايين ؟

إننى لا أهاجم التغيير أو الانقلاب الذى حدث فى عام ١٩٥٢ ، لأنى من بين أفراد الجماعة التى عملت للوصول إليه سنوات طويلة، إننا ننتقد تصرفات الذين شاء قدر الله أن يكونوا هم القائمين به .. إننا ننظر إلى فيلات فى المنتزه وغير المنتزه وشركات نقل بحرية وملايين خرافية يتمتع بها الأزواج والزوجات من أين جاءت ؟ ومن أى ثقب فى خزائن الدولة أو مواردها تسللت ؟ فى الوقت الذى تدق من حولها دفوف البطولة والزعامة .. وتلويث سمعة الشرفاء الأطهار، كيف حصل عليها هؤلاء ؟ .. هل تفتحت تحتهم كنوز أم جاءت إليهم بها

سفن الفضاء من خلال صخور القمر ؟

الحمد لله الذى لم يجعل لنا بهؤلاء من صلة قرابة أو نسب ، فنجونا من ألسنة حداد ، راحت بسيرتهم وجاءت بين تلال من الأقاويل والشائعات .. صحيحة أو باطلة .. فغدوا مضغة فى الأفواه وإن كان لا دخان بغير نار ولا حجب رؤية بغير غبار . ولا أنغام بغير مزمار . والقدم يدل على المسير . والبعرة تدل على البعير ولله فى خلقه تبديل وتغيير ..

## وسائل إعلام الإخوان

انتهز فرصة هذه الذكريات لأشيد برسالة جامعية للأستاذ الفاضل « محمد فتحى شعير » عن وسائل الإعلام المطبوعة عند الإخوان . وخير ما راقنى فيها أنه لم يتعرض للخلافات الشخصية التى لا تفيد أحدا فى شيء وكان موضوعيا بحتا فجزاه الله خير الجزاء عن تحريه الصدق والأمانة والفائدة ويهمنى أن أشير إلى ما كتبه عن مبادىء الأخوان حيث آثار هذه النقاط :

١ ــ سلامة الاعتقاد .. وأعلق على هذا المبدأ بأنه الركيزة الراسخة التى لا تتزعزع عند الإخوان المسلمين والتى أسأل الله من كل قلبى أن نلقاه عليها خالصين مخلصين .. اليقين القاطع فى الوحدانية ورسالة محمد ﷺ والبعد عن المتشابهات ونبذ الدخول فى الصراعات الفكرية التى تدور حول الجزئيات والفرعيات .

٢ ــ الاجتهاد فى الطاعات . وأعلق على هذا المبدأ بأنه البرهان الواضح على سلامة الاعتقاد .

٣ ــ الحب فى الله . وأضيف أنه التقاء بين المسلمين على الله ، ونفور مما عداه .

٤ ــ الاعتصام بالوحدة الإسلامية . وأقول إنها الملجأ الوحيد ــ بعد الله طبعا ــ إذا ما أردنا أن يعود المسلمون إلى ما كانوا عليه من عزة وأمجاد .

٥ ــ تربية النفس . وأقول إن قوامها الصدق وحسن المعاملة والوفاء بعهد الله وتوثيق الصلة بين العبد وربه وبينه وبين الناس . وبينه وبين نفسه .

٦ ــ الاجتهاد فى نشر الدعوة . وأقول إنها من أهم أسباب استمرار الدعوة واضحة عند الجميع .

٧ ــ التأدب بآداب الإسلام . وأقول هل هناك من آداب تصل إلى مستوى آداب الإسلام ؟

٨ ــ الثبات على المبدأ وأقول:إنه الإيمان الذى لا يتحول بالصبر والتضحية والشجاعة فى مواجهة خصوم الإسلام والظالمين .

٩ ــ حب الحق والخير وأقول:إنهما عماد تربية النفس .. والدليل على صفائها وتقواها . وهل الإيمان إلا أن تحب لأخوتك كما تحب لنفسك ؟

إن للإمام الشهيد أكثر من عشرين رسالة تلمس فى زواياها الاهتمام بقضايا العالم الإسلامى كله لا بقضايا مصر وفلسطين وحدهما . ولقد قلنا وكتبنا أكثر من مرة : لسنا طلاب حكم ولا خصوم مبدأ قيام الأحزاب . فاقرأ فقرة من خطاب الإمام الشهيد إلى رئيس الوزراء فى ١٢ يونيو ( حزيران ) ١٩٤٨ ، يقول : « كل هذه المواقف لا ننكر نحن الإخوان أنها مواقف عظيمة يسجلها لك التاريخ ونسجلها لك نحن رغم ما أحاط بدعوتنا على عهدك من تضييق وإعنات . ذلك لأننا أصحاب دعوة مبرأة من الشبهات منزهة عن الأحقاد » .

أرأيت كيف يتعامل الإخوان المسلمون حتى مع الذين يلاحقونهم بالظلم والاضطهاد ؟ . ثم يفترون علينا بأننا أرهابيون ، ذوو حقد أسود وأزرق ومطين .. اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين .

## دين ودولة

كان الإمام الشهيد من أوائل الذين نادوا بالوحدة الكاملة مع السودان لأن النمو والتقدم لا يتم إلا عن طريق هذه الوحدة الكاملة الشاملة . ثم جاء عبد الناصر ففصل السودان عن مصر فى ارتجالية جوفاء تظاهرا بالحرص على استقلال الشعوب : وفاته فى هوجة المظاهر المسرحية أن مصر والسودان وطن واحد ، لا حياة لأحدهما دون الآخر . وها هو السيد محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية الحالى يحاول إصلاح ما أفسده عبد الناصر . ولولا أن ما فعله عبد الناصر كان خطأ محضا لما حاول الرئيس الحالى إصلاحه .

كانت صحافة الإخوان مثلا عاليا فى المساجلات الصحفية ، فقد أصدر بعض الإخوان « مجلة الكشكول الجديد » وسلكوا فيها أسلوبا مماثلا لتلك الأساليب . فغضب الإمام الشهيد وكتب قائلا : « فإنى لا زلت أخالفكما فى الأسلوب على الصورة التى رأيتها فى الكشكول الجديد ولذلك أرجو أن تسلكوا مسلكا آخر ( وسائل الإعلام عند الإخوان ــ ٢٩ أغسطس ( آب ) ١٩٤٧ ) .

إن النزاع بين الإخوان والحكومات قديم طويل . فنحن نرى أن الإسلام دين ودولة . وهذه الرؤية السليمة للإسلام . والنظرة الصحيحة فى دين الله . والحكومات تنكر علينا هذا

الفهم الحق لديننا العظيم الذى جاء لإصلاح كل شىء فى هذه الدنيا التى نعتبرها مزرعة للآخرة، فكل ما نزرعه هنا من الصالحات ، سنحصده فى الآخرة حسنات ودرجات .

وسيظل هذا حال الحكومات معنا حتى يشرح الله صدورها لهذا الفهم القويم . وقد بدت البشائر تلوح فى الأفق ، فكل السياسيين فى مصر بدأوا يطالبون بتطبيق شرع الله . وكفى بهذا نصرا للإخوان المسلمين . فالمبدأ أصبح متفقا عليه بين الجميع ، ويبقى البدء فى التنفيذ ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده .. ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ .

اللهم اجعل كل ما كتبت فى هذه الذكريات خالصا لوجهك الكريم ، واغفر لى ما أخطأت عن غير قصد . إنه لا يغفر ولا يرحم سواك .

* * *

# الحلقـــة الأخـــيرة

- ســيد قطــب لـم يقصــد تكفير المجتمع فى كتابه « معالم على الطـريق » .
- عبد الناصــر احتوى عبد الرحمن السندى فأفشى له أسرار « النظام الخاص » .
- أقــول للشباب المسلـم : لا ترهبــوا قوة أمريكا ولا روسيا ولا إسرائيل .

فى الحلقة الأخيرة من مذكراته يوجه الأستاذ « عمر التلمسانى » نداء إلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يأملوا فى وجه الله خيرا وألا يرهبوا أعداءهم أو يخافوا سطوة الولايات المتحدة وروسيا أو رعونة إسرائيل . فالتاريخ يقول إن القوة لا تدوم لأحد وأن الضعف ليس حليف شعب بذاته .. ولكن الأيام دول ومن سره زمن ساءته أزمان !

وهو يعلن أنه يعلم أن مذكراته هذه سوف تغضب الإخوان المسلمين لكنه يأبى إلا أن يرى الناس سوأته ــ إن كانت هناك سوأة ــ حتى يتعامل معه الناس كما هو لا كما يتصورون عنه .

وهو يأخذنا من خلال هذه الحلقة الأخيرة من مذكراته إلى رجال عرفهم وشخصيات عاصرها خلال مسيرة الدعوة .. فيقول :

قد يبدو لبعض الناس أن يقارن بين المرشدين « حسن البنا » و « حسن الهضيبى » فمن يتعرض لنشأتهما والبيئة التى صاحبت الرجلين من بدء حياتهما والدراسة ، والعمل ، وطبيعة العمل نفسه الذى مارسه المرشدان رضوان الله عليهما ، والوظيفة التى أدياها فى همة وإخلاص ، كل هذه فيهما من أوجه الشبه والاختلاف ما يعطى المحللين والدارسين مجالا واسعا للكتابة والتأليف الذى يرضى البعض ويغضب البعض ، وللعوامل النفسية فى هذه الناحية دخل كبير . المهم هو أن يصل القارىء إلى الحقيقة من وجهها الصحيح . أما الأخ

المسلم الذى أعطى البيعة لكليهما فإنه لوفائه فى بيعته للمرشدين لا يحب أن يقحم نفسه فى هذا الميدان الذى لا يرى من ورائه أية فائدة تعود على الدعوة أو عليه أو على الإخوان المسلمين .

ويكفينى كأخ مسلم بايع المرشدين أن أذكر تصريحا لفضيلة المرشد الأستاذ حسن الهضيبى رضوان الله عليه فقد قال أو كتب : « كان الناس إذا تحدث الأستاذ البنا تعلقت أبصارهم بشفتيه تتحدر منهما الألفاظ تحدر اللؤلؤ والياقوت والمرجان ، وانجذبت قلوبهم إلى حديثه حتى إذا ما انتهى ، استردوا جميعا قلوبهم إلا أنا فيبقى قلبى معه » .

وهكذا ستبقى الدعوة التى قام بها إمامنا الشهيد ــ بفضل الله وتوفيقه ــ الشمس التى تخبو أمام توهجها وسطوعها ، كل نجوم المجرات وهى فى أماكنها لا تتزحزح ولا تغيب . ولو أننى عدت إلى اليوم الذى سعدت فيه بلقاء الإمام الشهيد وخيرونى بين سلوك الطريق نفسه أو سلوك غيره لاخترت بلا تردد ، الطريق الذى هدانى الله إليه على يد الأمام الشهيد .

## حديث السلبيات

لقد تكشفت لى خلال هذه المسيرة المضنية الطويلة حقائق ما كنت أظننى أهتدى إليها ، لولا دعوة الأخوان المسلمين . نمت بين أضلعى بذرة الحب والارتباط بكل المسلمين فى جميع أرجاء العالم ، فإذا جاع مسلم فى القطب الشمالى شعرت بمغصة الجوع بين أحشائى . وإذا أريق دم مسلم مظلوم فى أى مكان شعرت كأنما الدم فى شراينى وأوردتى هو الذى يقطر ألما وتوجعا وحزنا . إذا ديست أرض مسلمة خاصمنى الرقاد . أحس بأن القرش الذى فى جيبى ليس ملكى ، وقد دعا الإمام الشهيد إلى سهم الدعوة ، وهو مبلغ يحدده كل أخ حسب طاقته بخلاف قيمة اشتراك الأخ فى دعوته . ما أهمتنى نفسى بقدر ما أهمنى شأن المسلمين ، وهذه هى الحياة على وجهها الصحيح . والناس فى هذا المجال فريقان القلة تأخذ ، بقول شاعر إنسان :

**« فلا نزلت على ولا : بأرض        سحائب ليس تنتظم البلادا »**

وفريق وهم الكثرة يعيشون مع شاعر أنانى حيث يقول :

« **إذا مت ظمآن فلا نزل القطر** » وكلا الفريقين يدب على وجه الأرض ويأكل ويشرب ويعمل ولكن شتان بين من يأكل ليعيش وبين من يعيش ليأكل . بئر نابضة ، وبئر ناضبة ، أرض تعطيها الماء فتنهر ، وأرض تعطيها الماء فتتحجر وهكذا تمضى الحياة ، وويل للشجى من الخلى !

إنه لم يخرج الشعوب من الظلمات إلى النور ولم ينقذها من الاستبداد والاستعباد إلا هذه الفئة القليلة الحية ، التى لا تزال قائمة بالحق ولو خالفها الناس هل أنا فى حاجة إلى تذكير الناس بفتى يافع أيقظ النفوس فى عهد حاكم ظالم ، فحاول التخلص منه بمختلف الوسائل ، يعود بعدها الفتى اليافع سالما فلما أعيته الحيل ، استحضر الشاب ، وقال له : لقد أفسدت على شعبى ، فكيف أتخلص منك ، وأنت لا تريد أن تخضع لغيرك . فقال الغلام : الأمر أيسر مما تظن . قال : كيف ؟ قال : تجمع الناس يوم الزينة ضحى ، وتوقفنى على نشز ، ثم تصوب سهمك إلى قلبى صائحا بملء فيك : « اللهم باسمك أقتل هذا الغلام » . وفعل الحاكم ما طلبه الغلام ، وخر الفتى شهيدا ، فآمن الشعب كله برسالة الغلام لعلمهم أن الحاكم حاول مرارا أن يقتل الغلام فلم يفلح . هذا الغلام الذى ضحى بحياته فى سبيل دعوته ، هذا هو النوع من الشباب الذى قامت دعوة الإخوان المسلمين من أجله ويوم أن تزول الموانع ، وتفتح الأبواب ، فسيرى العالم كله من هم الإخوان المسلمون الذين كتبت لهم القوة فى كتاب الله .

إنه لمن المؤسف حقا أن تتحدث الصحف عن كل شيء إلا الإخوان المسلمين . قد يكون لهم — على الأسلوب الصحفى — سلبيات وإيجابيات ، ولكن صحفنا لا تتحدث إذا تحدثت عن الإخوان ، إلا فى مايسمونه سلبيات أو سيئات . مع أنها إذا تحدثت عمن له إيجابيات وسلبيات ، فلا تتحدث عن سلبياته حديثها عن توافه الأشياء رغم قسوة تلك السلبيات . إن الأخوان فى غنى — بفضل الله — أن يتحدث عن إيجابياتهم فى كل أرجاء العالم . لكننا نريد من صحفنا أن تبتعد عن التحيز والممالأة . وأن تلتزم جانب الأنصاف فى كل ما تكتب للقراء ، فالحائد عن الحق له وصف معلوم لسنا فى حاجة إلى أن نذكر به أحدا .

لقد علمت الدنيا بأسرها دور الإخوان المسلمين فى انقلاب ٢٣ يوليو ( تموز ) ١٩٥٢ ولن تجنى صحفنا شيئا من إغفال هذا الدور الرئيسى فى هذا الانقلاب . الكل يعلم بصلات عبد الناصر بالإخوان المسلمين من قبل أن يخرج التغيير إلى حيز الوجود ، وإنهم أول من اتفق عبد الناصر معهم على موعده . وإن الضباط الأحرار كانوا تلامذة للمرحوم الصاغ « محمود لبيب » وكيل جماعة الإخوان . فما السر فى هذا الإخفاء ؟ أو الإغفال ؟ أو إخراج دور الإخوان من الصورة . وجر ذيول النسيان على دورهم فى الانقلاب . ؟ أهى دوافع ذاتية أم داخلية أم خارجية ؟ أهى توارد الخواطر ؟ أم أنها عودة إلى أسلوب الفرعون رمسيس الثانى عندما أخذ يمحو من آثار من سبقوه أسماءهم لينفرد وحده بالمجد والفخار ؟ أهو حقد الحاسد على من لم يستطع أن يبلغ شأوه فيغفل ذكره ؟ أم هى محاربه الدعوة الإسلامية التى تسوى بين الجميع مهما اختلفت المراكز ؟ ماهى الحكاية أيها السادة ؟

## حقيقة « معالم فى الطريق »

أذكر أن الشهيد « سيد قطب » له مؤلفات عدة وجيدة على مستوى رفيع منها : « فى ظلال القرآن » و « العدالة الاجتماعية » و « معالم فى الطريق » .

وتمتاز هذه المؤلفات بالنقمة على الظلم فى كل مظاهره ، والحرص على رفع المعاناة عن كل الطبقات وأن تسود مصر الحرية التى ليس لها حدود إلا فيما أحل الله أو حرم ،

وما تواضعت عليه الأمم الراقية ذات الحريات الواسعة.هذه هى المبادىء والمتطلبات التى تسود مؤلفاته والتى سعى إلى تحقيقها طوال حياته مع إيمانه الكامل بأن ذلك لن يكون إلا إذا طبقت الحكومات شرع الله . فهو لا يرى فى غيره إصلاحا ولا نجاحا . فليس إذن فى « معالم فى الطريق » جديد فى فكر سيد قطب ولكن بما أن معالم فى الطريق كتبه الشهيد فى السجن بعد أن ذاق ألوان العذاب على مختلف قسوتها ووحشيتها ، فقد بدت نقمته على مخالفة الشرع أوضح وأظهر وما أراد الشهيد الأستاذ سيد قطب فى يوم من الأيام أن يكفر مسلما لأنه من أعلم المسلمين بأن رسول الله ﷺ قال فى أكثر من حديث : إن من قال لا إله إلا الله مؤمنا بها قلبه لن يخلد فى النار . ونحن نعلم أنه لن يخلد فى النار إلا الكافرون . وهم الذين ينكرون وحدانية الواحد القهار . هذه واحدة والثانية أن كثرة ترداده لكلمة « المجتمع الجاهلى » لم يقصد بها تكفير المجتمع ، ولكن تشديد النكير على الظلمة والطغاة والمستغلين والمشككين .

وهو أسلوب تعرفه اللغة العربية ففى العذاب وهو ترهيب وتخويف يقول الله ﴿ **فبشره بعذاب أليم** ﴾ والبشرى لا تساق إلا فى مجال الخير والنعيم . وفى كثير من أحاديث رسول الله ﷺ « ليس منا من فعل كذا أو قال كذا » ولم يقصد بذلك التكفير ، ولكن أن ذلك ليس من سنتنا أو من عملنا . إنما القصد تقليل الدرجات وضعف الحسنات . والذين يعرفون الشهيد سيد قطب ودماثة خلقه وجم أدبه وتواضعه ، ورقة مشاعره يعرفون أنه لا يكفر أحدا ، إنه داعية إسلامى من عيون دعاة المسلمين ، ظلمه من أخذ كلامه على غير مقاصده ، ومن هاجموه متجنين لما رأوه من عميق تأثير كلماته وكتاباته على الشباب الطاهر النظيف . هذا موجز مقتضب للمبادىء التى قام عليها كتاب « معالم فى الطريق » وقد كان لى شرف الاطلاع عليه قبل طبعه . ونحن فى مستشفى « ليمان طرة » ولا يتسع المجال لأكثر من ذلك فى موضوع يحتاج إلى مؤلفات .

لقد تحدثت عن الشهيد « سيد قطب » بما فيه الكفاية ، وأضيف أنه لما أفرج عنه أول

الأمر أرسل الى وأنا فى السجن يخبرنى أن الجمهورية العراقية طلبته يعمل فى مجالات التعليم والتربية هناك . واستشارنى فى الرفض والقبول . وكان رأيى أن يقبل لتخوفى مما كنت أتوقعه بالنسبة له من رجال الانقلاب . ولكنه آثر البقاء فى مصر ليدافع عن رأيه . وهو قدر الله الذى لا ينفع معه احتياط ولا حذر . وأما الشهيد « عبد الفتاح اسماعيل » فإنى لا أعرف عنه الكثير ، لأنى كنت فى السجن أقضى العقوبة المحكوم بها على » .

* * *

أذكر أن عبد الرحمن السندى رحمه الله كان من أكثر الأخوان التزاما بمبادىء الإخوان ومن أكثرهم طاعة للإمام الشهيد حسن البنا . ولكن لما ترسخت قدماه فى قيادة « النظام الخاص » وظن أن أعضاء النظام أطوع له من طاعتهم لمرشدهم بدأ يعارض قيادته فى بعض الشؤون . لكن هذا لم ينفعه فى شيء إذ أنه لما خرج على فضيلة المرشد حسن الهضيبى خلعه أفراد « النظام » من قيادته .. والتزموا جانب الطاعة لمرشدهم رغم حبهم للسندى . لست أريد أن أنقد السندى رحمه الله بعد وفاته .

وأذكر أن الشهيد عبد القادر عودة وكيل جماعة الإخوان . كان قاضيا مشهودا له بالعلم والكفاءة . وأذكر أن بعض أفراد الإخوان اتهموا فى أمر وقدموا للمحاكمة وكانت الجلسة تحت رئاسة المرحوم الشهيد عبد القادر عودة وترافع محامون من الإخوان فأصدر حكمه بالبراءة لغير الأسباب التى تقدم بها المترافعون . وهذا موقف يبين لنا كيف يكون القاضى وعلى أى شيء يقوم اقتناعه بالبراءة أو الأدانة .

فالقضاء اقتناع رغم شهادة الشهود أو الاعترافات وما أظن أن أحدا ينكر على الشهيد عبد القادر عودة كتابه الفذ فى التشريع الجنائى . ولقد كان المرحوم عبد القادر عودة من أشد الإخوان تعاونا مع عبد الناصر فى أول الأمر ، ورغبته فى الإنفراد بالحكم ، عارضه وقاوم فيه هذه النزعة مقاومة شديدة فكان ذلك سببا من الأسباب التى دعت عبد الناصر إلى التخلص منه فى قضية ملفقة ليس لها أساس !

وقد قص على الشهيد عبد القادر عودة أنه فى حوار جرى بينه وبين عبد الناصر أن الأخير قال إنه على استعداد للتخلص من كل معارضيه مهما بلغ عددهم فرد عليه الشهيد عبد القادر عودة إن الذين تريد أن تتخلص منهم مهما بلغ عددهم لن ينتهوا قبل أن يقاوموا من يعتدى عليهم مهما بلغ عددهم . وكان ذلك مما أخاف عبد الناصر منه .

وقد كان الشهيد عبد القادر محامى مذكرات علمية رائعة مدعمة بالأدلة القاطعة أكثر منه محامى مرافعات يعتمد على التأثير بالأسلوب الخطابى . كان رحمه الله عالما أكثر منه أى

شيء آخر . وكان الإخوان شديدى الحب والتعلق به . وفى أثناء محاكمته طلب رد المحكمة العسكرية التى تحاكمه لأنها الخصم الذى لا يجوز شرعا ولا عدالة أن تحاكمه . وقد رفضت المحكمة هذا الدفع . وكان شديد المؤازرة للسيد محمد نجيب رئيس الجمهورية حينذاك . وكان سببا من الأسباب التى دعت عبد الناصر للتخلص منه .

وأذكر أن الأخ الفاضل الأستاذ صالح أبو رقيق كان مستشارا فى الجامعة العربية وهو منصب لا يناله الكثيرون ، وإنه كان شديد الصلة بالمرحوم عبد الرحمن عزام باشا الذى كان رئيسا للجامعة العربية ويعتبره كابن له . وهو من الذين اتهمهم عبد الناصر بالأشتراك فى الاتصال من وراء ظهره ، وحكم عليه بالسجن المؤبد بعد أن عذبوه عذابا مريرا ، وهو لايزال يؤمن بدعوة الإخوان المسلمين ويعمل فى صفوفهم . شفاه الله وأطال حياته .

## لا ترهبوا إسرائيل

وقبل أن أصل إلى ختام هذه الذكريات ، أرجو وألح فى الرجاء أن يأمل المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها فى وجه الله خيرا ولا تخيفهم قوة الولايات المتحدة الأمريكية ولا ترهبهم سطوة روسيا ولا حقد إسرائيل فإن الله أقوى من هؤلاء جميعا .

وأمامنا التاريخ الذى قطع فى كل مراحله بأن القوة لم تدم لأمة من الأمم . وأن الضعف ليس حليف شعب بذاته . ولكن الأيام دول . ومن سره زمن ساءته أزمان على شرط واحد ، أن نتقى الله حق تقاته وأن نتوكل عليه وأن نحسن أعمالنا وليس الإحسان فى الصدقات والصلاة وغيرهما . وإنما الإحسان فى العمل ، فى إتقانه ، فى الكشف فى الاختراع ، فى الاتجار ، فى التعامل ، فى بذل الجهد ، فى الوعى الأسلامى الذى بدأ يأخذ دوره فى شتى مناحى الحياة . وفى هذا المد الأسلامى الذى أخذ ينتشر هنا وهناك . وهذا الشباب المسلم الذى استيقظ من رقدة لم يستيقظ منها سلفه منذ خمسة قرون تقريبا ، كل هذه بشريات أراد الله أن ينعش بها آمالنا ، ويشحذ بها عزائمنا ، حتى نواصل السير إلى منتهاه . ألا نقرأ كل يوم تقريبا أن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة . ولقد سرنا خطوات ، وأبشر شبابنا إن إخلاصه الذى يكلل كل حرياته وصبره واتزانه واحتماله المكاره فى سبيل دينه كل ذلك كفيل — بفضل الله — أن يحقق آماله ويوصله إلى هدفه الغالى العزيز . وانتبهوا إلى أنه جل وعلا يقول لكم إنكم تأكلون من رزقه . لا من الأرض التى تمشون فى مناكبها ذلك لأننا لو كنا نأكل من الأرض . لانتهت من زمن بعيد ولما وسعتنا جميعا . ولكننا نأكل من رزقه هو ورزقه لا ينتهى ولا يبيد لأن بيده مفاتيح السموات والأرض . فاذا لم تكفنا الأرض وما فيها .. ففى السماء رزق العباد وما يوعدون . فياليتنا ننتبه ونتدبر . ولأضرب مثلا قريبا على قدرته

الفائقة فوق كل ما يتصور البشر .. أطلقت الولايات المتحدة سفن الفضاء التى أسمتها « أبو للو » واحدة بعد أخرى ، فكانت تنطلق وتعود سالمة . وعندما انتهى العد التنازلى للسفينة التاسعة ، وضغط على أداة الانطلاق احترقت فى مكانها بمن فيها . أين كان العقل البشرى حتى يمنع هذه الكارثة ؟ ألم يطلقوا قبلها ثمانى سفن فذهبت ثم عادت ؟ أين كانت آلات الوقاية والإنذار ؟ أين كل قوى العقل البشرى ، أين ذكاؤه ونبوغه حتى يحمى « أبوللو » . تلاشى كل شىء وتجلت قدرة القادر واضحة جليلة . أمام كل من يظن أنه قد استوى على عرش العلم والاختراع والإبداع .

إن البراكين تجتاح البلاد وليس لأحد عليها سلطان . إن العواصف ترفع السيارات بمن فيها كما يرفع الطفل لعبة . إن الحرارة تنخفض حتى يغطى الثلج وجه الأرض ويمنع القطارات من السير والسيارات والطائرات فتتعطل كل المصالح . وغير ذلك الكثير من قوى الكون الغلابة .. أين العقل البشرى . وأين الاختراع وأين التقدم الحضارى ؟

كل هذه أمور ندعو إليها ونحبذها ولكن لنعلم جميعا أن فوق كل ذلك قوة قاهرة جبارة تفعل ما تشاء ولا يتم إلا ما تريد . فوق ذلك كله « الله » .

## الحرية هى الطريق

هذا الشرق كله — مسلموه وغير مسلميه — لن ينصلح حاله ، ولو اجتمعت كل قوى الأرض على إصلاحه إلا بالحرية . كذلك كل الدول الأفريقية والآسيوية لن تقوم من كبوتها إلا إذا تمتعت شعوبها بحرياتها الكاملة . قد يقال : إن المستوى عندنا غيره عندهم . ولذلك لا يمكن القياس لعدم توافر أركانه . والرد على ذلك أن تلك الشعوب لم تنل حريتها ، إلا بعد مرورها بمحن وعقبات وأهوال . وحتى لو كان للحرية بعض الأضرار بسبب من يستغلونها لمآربهم الشخصية أو مؤامراتهم أو تدبيراتهم الخفية . فإن كل ضرر من أضرار الحرية — هذا إن كان لها أضرار — أخف آلاف المرات من الحكم المطلق . وأنا إذا كنت أطالب أن يتسع مدى الحرية فى مصر لا إلى مثيله فى الدول القوية ولكن بحيث يتسع نطاق الحرية فى مصر إلى الحد الذى قرره كتاب الله وسنة رسوله .إن صورة الحرية فى الغرب تتسع إلى حد ارتكاب المخازى والسيئات علنا فى الطرقات .

أما حرية الاسلام فهى شىء غير ذلك بالمرة ، إنها حرية الفضيلة والنبل والعدالة والمساواة . فهل من سامع مستجيب ؟

# لا أخجل من ذكرياتى

وأحب أن أسجل شيئا قبل النهاية : إن بعض ما كتبت قد لا يحبذه بعض الإخوان أو كلهم . ولقد كان هذا فى تقديرى تماما عندما بدأت فى رصد هذه الذكريات الذاهبة فى الماضى البعيد الضاربة فى بطون التاريخ فيما نيف على الثمانين من الأعوام وياله من عمر طويل . ثقيل التبعات ، عسير الحساب وافر المسؤوليات خاصة فيمن كان مثلى . لم يفكر يوما أن يكون حيث هو الآن العلم عندى قليل . أو أقل من القليل . والإيمان لست أدرى ما الله فاعل فيه . وعزيمة ليس فيها من الصلابة والقدرة ما يعينها على الآداء الحق فيما تمارسه .

أقول عندما بدأت أروى هذه الذكريات كان يسيطر على خاطر واحد لم أستطع منه فكاكا . حرصت أن أعرض نفسى على الإخوان خاصة وعلى الناس عامة كما أنا كما كنت وما أنا كائن فيه اليوم ، بعيدا عن الزيف والخداع ، وإعطاء صورة غير دقيقة عمن يزعم أنه يخشى الله وما دمت لا أستخفى من الله فلا قيمة لى إذا حاولت أن أستخفى من الناس الذين لا يملكون لى ، ولا لأنفسهم ضررا ولا نفعا .

أحببت أن يعرفنى الناس على حقيقتى عبدا من عباد الله ، الذين يخطئون ويصيبون وأحببت كذلك أن أتحدى كل مفتر . أن يلحق بى هنة تمس الدين والخلق والشرف . وأنى لأشكر ربى راكعا ساجدا أن حال بينى وبين الحرام فى حياتى وفى عملى . يقول رسول الله ﷺ « الحلال بين ، والحرام بين وبينهما أمور متشابهات » لقد ألزمت نفسى الحلال وجنبنى الله بقدرته الحرام . أما الأمور المتشابهات ففى رحمة الله متسع لكل من لحق به ظل هذه المتشابهات . لقد أحصنت مبكرا وأنا فى شهادة البكالوريا ، وكان أطفالى يلعبون حولى وأنا أستذكر دروس كلية الحقوق . وكانت حياتى الزوجية سعيدة هانئة . لم أخلق عابسا أو نكدا . ولكنى أميل للمزاح البرىء والنكتة النظيفة ، والقفشة الرقيقة . قد يقول المتشددون « استر ما ستر الله عليك » ولا ينطبق هذا القول على حالى لأنه جاء فى مجال من قارف ما أغضب الله . وما أرانى حاولت أن أغضب الله عامدا . وأنا أسير مع رسول الله ﷺ إذا ما خير بين أمرين فاختار أيسرهما ، ما لم يكن إثما . فلا داعى للامتعاض أو الاستنكار . إنى أريد أن يكون كل إنسان عرفنى أو قرأ عنى على بينة من حقيقتى ، ومن الخير أن يعرف الناس بعضهم بعضا فى وضوح لا تعمية فيه حتى يعرف كل واحد مع من يتعامل ، فذلك أضمن لترسيخ الثقة وييسر التعاون .

## لسنا ملائكة

إن كاتب هذه الذكريات كمحام ، هو فى غمار الآلاف من المحامين لا يعرفه ولا يشعر به أحد إلا من تعامل معه أو اقترب منه . أما وهو ذو وضعية اجتماعية يعرفها العالم عامة وجماعة الإخوان المسلمين خاصة ، فما يباح لزيد قد لا يباح لعمرو . أليس هذا مما قد يدور فى خلد البعض ، ولكن حسن الظن وطبيعة الأدب قد تمنعه من الكلام .. محتمل !! ولكنه درس يجب أن يعرفه العالم إلى جانب ما يعرفون عن الإخوان .

إن الإخوان ليسوا ملائكة ولكن من أوضح مميزاتهم أنهم يعرفون سيئاتهم كما يعرفون حسناتهم . والعصمة للرسل والأنبياء والكمال لله وحده .

إننا لا ندعى ما ليس لنا ، ولا نتظاهر بغير ما نبطن ، ولا نكابر فى خطأ وقعنا فيه ، ما دمنا من التوابين . هل آن للناس أن يعرفوا هذا عنا حتى إذا ما رضوا عن بينة وإن غضبوا فعن بينة كذلك .

هذا إلى أن ما كتب عنى فى الصحف الداخلية والخارجية ، شىء كثير فكان لا موازنة بين المتجنين وبين المحبين . فليعرف الكاره أنه لا مقتل . وليعرف المحب أن لا كمال . وأن أبدو كما أنا حتى لا يغرنى بالله الغرور .

أيها الناس فى كل مكان : إن الإخوان المسلمين لم يقولوا لأحد : تعال إلينا ، على أننا شىء متميز عن المسلمين . ولكننا قلنا ونقول وسنقول بفضل الله « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » .

لا نقول للناس اتبعونا فلسنا أفضل ولا أعلم من أحد ، ولكن نقول : اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ونفذوا الأوامر واجتنبوا النواهى . ثم بعد ذلك لا عليكم أن تكونوا فى جماعة الإخوان المسلمين أو لا تكونوا . وإن كنا نناديكم اليوم فإننا ننادى لنحقق قوة الوحدة والتضامن .

وآخر دعوانا : ﴿**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به . واعف عنا واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين**﴾ . صدق الله العظيم .

رقم الإيداع ٢٦٠٠ / ١٩٨٥

دار النصر للطباعة الإسلامية
١٢ ش نشاطي - شبرا مصر

دار الإعتصام
٨ شارع حسين حجازى - تليفون ٢٦٠٣١/٣١٧٤٨ - ص.ب ٤٧٠ - القاهرة
للطبع والنشر والتوزيع



٢٧٥ قرشا